مكتبة
522

ديك الجن

The Game

اللعبة



الكتـــاب : اللعبة

المـــؤلـــف : ميك الجن

تصميم الغلاف : احمد صلاح زردق

رقـــم الإيــداع : 2018/14371

978-977-6541-74-6 : I.S.B.N

اللعبة

ديك الجن

مكتبة | 522



عصير الكتب للنشر و التوزيع

الإهداء



تبدو لي فكرة أن أهدي لك هذا الكتاب فكرة مبتذلة وسخيفة. ما معنى أن نهدي السماء نجمة؟ أو أن نمنح الحقل زهرة؟ وأي إضافة نعطيها للنهر إذا ما سكبنا في تياره الجارف قطرة ماء؟

كل كلمة قلتها في صحو أو غفو أو فرح أو ترح أو ليل أو نهار. إنما سرقت حبرها من عينيك. وكل فكرة دارت يومًا في مخيلتي إنما نسجتها من خصلات شعرك.

أنا رسول جمالك إلى هذا العالم أيتها السيدة. وكفى بها منزلة.

ديك الجن

اللعبة

- اللعبة كالآتي. سنضعك في عمّان. وسنأتي بعد 160.24 يومًا لنأخذك من لوس أنجلوس. وهذا تقريبًا أكثر بقليل من 66 عامًا وهو معدّل جيد عمومًا. ستولد لعائلة عربيَة مكونة من أب وأم، وأختين. في سن الخامسة والعشرين ستفقد والدك. وبعدها بعشرة أعوام ستفقد والدتك. ستكون هذه الأحداث محزنة جدًا في وقتها. لكنك بقليل من الصبر والحكمة ستتجاوزها. بينما ستتوفى أختاك بعد وفاتك.

-هل سأكون بصحة جيدة؟

-جسدك سيكون جيدًا. ستزن عند الولادة قرابة 3 كغم. وهو معدل طبيعي، ستنمو كطفل عادي، لكنك ستكتسب بعض الوزن الزائد فترة المراهقة، سيتسبب ذلك في بعض الإزعاج لك. لكنك سرعان ما ستخسر هذا الوزن مع بدء الشباب. وسيثبت وزنك تقريبًا بعد ذلك. قبل سبع سنوات من وفاتك. ستبدأ بخسارة بعض الوزن نتيجة السكَري، لكن لن يهمك كيف ستبدو حينئذ.

-ماذا عن عائلتي؟

-ستحب ثلاث فتيات قبل أن تتزوج. ومع أنها كلها ستنتهي نهايات حزينة. إلا أنها ستكون مفيدة لتوازنك العاطفي، وستتذكرها لاحقًا كتجارب سخيفة لكن حميمية. في سن السابعة والعشرين ستتزوج. ومع أنك ستعيش بدايات زواج صعبة جدًا. إلا أن كل هذا سيختفي بعد ثمان سنوات. وستكتشف عندها أن هذه المشاكل لم تكن انتقاصًا أو عيبًا في الزواج بل جزءًا منه، وأن زوجتك هي امرأة طيبة بعد كل حساب وأنكما كنتما مختلفين لا أكثر. ستنجب لك زوجتك ابنين وابنة. سيعيش أبناؤك معك لفترة ما قبل أن يسافروا ويتركوك، بينما ستموت ابنتك في العشرين من عمرها تحت وطأة المرض. لذلك حاول أن تستمتع بأبنائك قدر الإمكان.

-هذا سيكون صعبًا.

-بالطبع، لكن لن يكون بمقدورك تغييره، وستحمل معك هذا الحزن لفترة طويلة، لكنه بعد كل حساب، جزء من اللعبة.

-ماذا عن النقود؟

-ستكسب أول قرش لك في سن السادسة عشرة، وبشكل عام ستكسب في حياتك ما مقداره 467،333.4 دولارًا، ستنفق منها 511،871.2 دولارًا، وستترك عند وفاتك 956،461.1 دولارًا، بالإضافة لبيتك الذي تملكه، ومزرعة تتقاسمها مع زوجتك، وسيارتك وملابسك.

-هذا يبدو جيدًا، ماذا سأعمل؟

-الأمر ليس كما يبدو، توزيع النقود لن يكون متساويًا، ستتخرج من الجامعة بشهادة في هندسة الميكانيك، ستعمل لعدة سنوات في وظائف بسيطة وغير مجدية، ستكون أقرب للعبد، وستواجه تحديات صعبة ويومية، لكن الأمور ستتحسن بعد ذلك، في الثالثة والثلاثين ستلتحق بشركة لصناعة السيارات، وسيتحسن دخلك حينئذ.

بعد وفاة ابنتك، ستترك عملك لعجزك النفسي عن القيام به، وستسوء أمورك مع دخول أبنائك للجامعة، كما ستصاب بالسكّري، وستصاب زوجتك باكتئاب منتصف العمر، ستعيش سنتان من المعاناة، لكنك ستتغلب على ذلك بافتتاح عملك الخاص، وهو ما سيجعل الأشياء أفضل.

-يبدو هذا الأمر معقدًا، خصوصًا في ذلك السن.

-صحيح، لكنه أيضًا جزء من اللعبة .

-لقد قلت أنني أموت في لوس أنجلوس، كيف سأموت ؟ ولماذا سأذهب هناك؟

-بعد النجاح الكبير لعملك الخاص، تقوم ببيعه، وتقرر أن تتقاعد، فتذهب في رحلة سياحية مع زوجتك، وتموت هناك إثر حادث دهس.

-هذا مؤلم.

-لن يدوم الألم أكثر من ثلاثة وخمسين ثانية، وأنت مصمم لاحتماله.

-وما هو المطلوب مني؟

-كما ترى هنالك العديد من اللحظات المفرحة، وما يقابلها من اللحظات المحزنة، سيكون مطلوبًا منك أن تسعد في اللحظات السعيدة، أما في تلك اللحظات التي تضيق بك الأرض، سيكون أمامك تحدي أن لا تفقد إيمانك ولا توازنك، وألا تبحث عن أحد لتلومه، فقط تشبّث بالهدوء، كما يطلب منك أن تكون على تواصل دائم مع الله، وثق بأنه يرى ويسمع كلّ شيء، فإذا ما شعرت بالضعف والوحدة، بإمكانك دائمًا طلب المساعدة، وستأتيك، وإن كانت الاستجابة ليست دائمًا لحظية.

إن معرفة أن كل هذا هو شيء مؤقت، قد تدفع للعبثية، لكنها تدفع أيضًا نحو الاستمتاع، لذلك استمتع بكل لحظة تعيشها، ولا تسمح للقلق أبدًا أن يسكن رأسك، كما ترى، كل شيء محدد سلفًا، وقلقك أو توترك لن يغير من الأمر شيئًا، فقط قم بما هو مطلوب منك، واترك الباقي يسير حسب الخطة، كما حاول أن لا تسطو على الآخرين، مهما فعلت، لن تأخذ سوى ما هو مكتوب في ورقتك، وهو زائل على كل حال، ولا تعامل الدنيا بالكثير من الاهتمام، تذكر دائما أنها ستزول في يوم ما، هذا تقريبًا كل شيء، هل تعتقد أنك جاهز لبدء اللّعبة ؟

-أرجو ذلك.

-حسنًا، الآن سنقوم بمسح كل شيء سمعته من ذاكرتك، سنقوم بإخفائه، ونطلق عليه اسم الغيب، وستتذكر فقط الوصايا التي أوصيناك إياها، جاهز؟

- جاهز.

***

-طمنيني يا دكتورة الله يطمنَك، شو صار؟!

-تطمَن أخي، المدام بخير، وجابت ولد زي القمر.

- ياما أنت كريم يا رب، الحمد لله، الحمد لله.

شيء ما في قلبي

ديك الجن قبل ما تكمل، أقول لك شي، هلأ أنت عقلاني و هيك، وبتعرف تحكي وكل شي، ومثقف و بتقرأ و بتعطي حلول وما شاء الله عليك، بس مرات يعني مرات، بحسك بياع حكي و مفلسف، يعني ما تزعل مني، بس عندك شوية فلسفة، بتتفلسف، ما تزعل طيب؟ ولا أقول لك إزعل! إزعل، اليوم إزعل، بس خليني أحكي اللي بقلبي الله يخليك، وبوعدك، والله بكره غير أراضيك، بس اليوم برضاي عليك، خليني أحكي براحتي ولا تقاطعني، الله يرضى عليك.

هلأ القناعة، مفهوم كتير حلو، زهري هيك و مهفهف وريحته حلوة وشعره ناعم ويقبر قلبي ما أحلاه، وكل الناس بحبوه ونفسهم يكون عندهم ولد زيه، وكل الناس بحكوا انهم قنوعين، وبحمدوا الله على كل شي،، بس برأيي أنا إنهم كلهم كذابين، . وأنا مش كذابة، ومش قادرة أحكي الحمد لله على كل شي، يعني أنا مش من مشركين قريش، ولا مرته لأبو سفيان، وبعرف إنه لازم أكون راضية وأحمد ربنا على كل شي، بس فعليًا من جوا جوا والله ما أنا راضية، مقهورة، مقهورة، مقهورة كتير يا زلمة، ومش قادرة أكون قنوعة، والله ما أنا قادرة، حاولت قد ما بقدر، . خلص مش قادرة، لأنه القناعة برأيي مفهوم مشقلب أصلًا، يعني القناعة هي الرضا بالنقص، والنقص بشعرني بالضيق،، فكيف بدي أقول إني راضية بشي بتسبب لي بالضيق؟ خنقتني كلمة بالضيق هاي، إستنى أشرب، فالمهم هاي شغلة مش عقلانية وضد الطبيعة البشرية، وأنا مش قادرة أكون قنوعة.

وقرأت لرجال الدين في الموضوع، وكلهم بحكوا لي أصبري يا أختاه وليكن قلبك عامرًا بالإيمان، وارضي بما قسم الله وهيك، بس كلام ما دخل عقلي، كله عاطفي، بتأثر فيه بس أسمعه وبروح بصلي ركعتين وبستغفر. بس برجع تاني يوم لنفس الشي، إشي هيك زي كريم النيفيا، بطري بس ما بطيب، لأنه القناعة برأيي وحتى لو كانت ممارسة قلبية، بس ما ممكن تتشكل بدون وعي عقلي، والوعي العقلي لسه عندي ما اكتمل، بهاي الجزئية على الأقل.

هلأ شوف أقول لك. في كتير نقص. بس انا مش راح أحكي عن شغلة إنه أنا صار عمري 30 سنة و ما تزوجت. مع إنه هاد الموضوع مضايقني. فالجني في الحقيقة. لأنه أنا زي ما تقول شرشت في بيت أهلي. عارف؟. طلع لي شروش تحت البلاط. جذور. ضاربة في عمق الأرض والوطن والأمة. مش قادرة أتزحزح من مكاني. صرت معلم من معالم هاد البيت. وبعد ما إمي غيرت التلاجة الأسبوع الماضي. صرت أنا أقدم شي موجود فيه كمان. حتى التوتة اللي بره هاي؟ انا أقدم منها أنا بشهرين على فكرة. اه والله. عفنت هون يا رجل. والله عفنت. طلع على جلدي هاد الأخضر اللي بطلع عالخبز. عرفته؟ وما حدا الله عمى على قلبه أو إمه غضبت عليه واجا يشيلني. حتى لو بالدين. ما فيه. إنه معقول كل هالدنيا الواسعة ما فيها حدا يحبني؟ والله غريب.

ومع كل هاد. ومع كل دموعي وحرقة قلبي لما أشوف صاحباتي وخواتهم اللي أصغر منهم مخلفات. إلا إنه أنا مش زعلانة. عارف ليه؟ لأنه تفسيري العقلي للموضوع. أنه هذا شيء مؤقت من جهة. ويمكن بأي لحظة يتغير. ومن جهة ثانية. إنه لا اللي تزوجوا تزوجوا بشطارتهم. ولا اللي قعدوا قعدوا بكسلهم. الموضوع كله من ترتيبات ربنا. "خلق لكم من أنفسكم أزواجًا". يعني ربنا هو المأذون الحقيقي. هو اللي بزوج وهو اللي بعطي ولاد وهو كل شي. فهو عنده مرجع الأمور. وما بإيدنا شي. فقاعدة وساكتة. صحيح بحزن وببكي. بس برجع برضى. عملت اللي علي وقنوعة من هاي الجهة أنا. وحتى لو تزوجت و ما خلفت أو تطلقت أو فسخت أو أي شي. هاي الترتيبات الاجتماعية كلها. عندي وعي عميق. وعي قبل كل شي. وإيمان عميق إنها من ربنا. فمش مشكلة.

نيجي لموضوع الفلوس. اللي برضه مش راح أحكي عنه. ولا أشكي منه. مع إنه زي ما أنت عارف. الشحادين اللي في مخيمات اللاجئين في الصومال معهم فلوس أكتر مني. يا زلمة أنا صحيح بشتغل. بس الوصف الملائم إلي إني شحادة. شحادة. شد على الحاء ومد الألف لينجرح حلقك وقلقل الدال كمان. شحححاااادة. وشحادة مش مرزوقة كمان. يعني مش الصدقة تجوز علي. الصدقة عليَ فرض عين على كل مسلم ومسلمة حتى لو كانوا أطفال. وهي باب من أبواب الجنة. ويعني شو بدي أقول لك؟ يا رجل. بتصدق عمري ما امتلكت في محفظتي أكثر من خمسين دينار؟. . شو خمسين؟ ولا عشرين حتى. نفسي بس نفسي هيك خمسين ليرة تظل معي يومين. يومين بس. أحفظ فيهم ملامح الملك. ما بدي شي تاني. ما

في. غير أنا والختيار الشايب الحزين اللي على هالدينار. بنظل نسولف ونسهر سوا. أشكي له و يشكي لي، وأغني له عتابًا، ويغني لي ميجنا.

يعني أنت عارف وضعنا، مش غشيم. . ربينا عالمي والخبز الحافي. وما في إلا تقاعد الوالد، ومن يوم ما تخرجت من الكلية، وأنا بشتغل في نفس الروضة. عند هاي الشيطانة أم دحروج. أكالة الكبود. إلهي ينتقم منها بجاه محمد. بديت معها ب 40 دينار. قال شو إحنا بإربد وما في رواتب. وهلأ صرت 120. وبس أقولها هدول ما بكفوا. بتبدا سميفونية شايلوك. "راتبك تضاعف تلات مرات يا سناء. تلات مرات. ولسه بتطلبي؟ شفت الأولاد زاد قسطهم 3 مرات؟ طيب من وين أجيب لك أنا؟ أقطع من لحمي؟" الله يقطعك ويقطع لحمك يا بعيدة. المهم. ال 120 ملطوش هدول. بعد ما أشيل منهم فلوس السرفيس. واللي بحطه في البيت. وقسط الإنترنت اللي ربته نار وسعار على شركة النت. وقسط الموبايل اللي بستمر لل 2030. بضل إلي منهم 23 دينار فقط لا غير. تخيل.

هدول ال 23 دينار فقط لا غير هم الاحتياطي النقدي الشهري عندي. رصيدي بالعملات الصعبة. بنكي المركزي. وهم اللي بخطط لهم طول الشهر. عشان أشتري فيهم الأشياء اللي بحتاجها. بعمل لهم ميزانية بتمزقهم شر ممزق يا أخوك. وبا دوب أشتري فيهم شي. أواعي من العصر العثماني. كندرتي أجلك الله من قبل فك الارتباط. وعندي إشارين بحطهم على راسي. واحد منهم من عمر تامر حسني. والثاني لسه صغير. السنة الجاي بدخل المدرسة.

ومع هيك، ومع حرقة قلبي لما أشوف هالناس بشتروا وبتشروا. وأنا عاملة بس زي حكم الراية واقفة بتفرج.. ومع نفسي اللي بتهف على فستان حلو ألبسه في حفلة. أو قلم حومرة، أو حتى حبة بوظة. بتصدق إني مرات بشتهي البوظة ما بقدر آكلها؟. مع هيك أنا مش زعلانة. وراضية بقسمتي و نصيبي في قصة الفلوس هاي. وعندي كمان وعي عقلي فيها قبل الإيمان القلبي. لأني مؤمنة إنه هاد شي مؤقت. وممكن بكره يتغير الحال ويصير معي فلوس. وهاي أرزاق الله قسمها بين الناس. والسما ما بتشتي دهب ولا فضة. الله برزق الناس من الناس. ممكن ألاقي شغل جديد، ويصير وضعي أحسن. وممكن لأ. شغلة الرزق هاي بإيد ربنا. العبد عليه يسعى. وأنا بسعى و بشتغل و بتعب. ممكن لازم أشوف مكان تاني؟ صح. ممكن. وبحاول. وبدعي الله يرزقني. بس قنوعة و راضية. ومش مستسلمة بنفس

الوقت، عايشة على قدي ومبسوطة بالموجود، وعمري ما لقيت سبب لحدا يشكي من الرزق، اللي بسعى برتزق، واللي برضى بعيش.

نيجي هلأ للموضوع اللي نوعًا ما مربك و محرج، الشكل، القوام، القد المياس يا عمري، اللي دمر الإحساس في صدري، هلأ أنا يعني، خلي الواحد يكون صادق مع نفسه، لأنه الكذب خيبة، أنا مش حلوة ياخوك، يعني مش لا تحسبين جميلة جدًا، لا تحسبين جميلة أبدًا، أبدًا أبدًا مش موهوبة في جزئية الجمال هاي، يعني، من وين أبدأ المأساة مش عارفة، استنى أشرب.

هلأ أنت متل أخوي، وأكيد أكيد الشيطان مش معانا، زمان أصلا إفترفت أنا وإياه، بيتنا كله بدخلوش، المهم يعني، أنا الشغلات اللي البنات بفتخروا فيها، وضعها عندي، يعني، طحلي تقريبًا، فش كلمة أصدق من هيك، شعري، أنت ما شفته، ولا في داعي تشوفه، هو زي شعر عمك مصطفى بالزبط، غابة متشابكة الأغصان والسيقان والجذور، وارفة الظلال، طلع لي عضلات من تمشيطه، ولولا الإشارب بسحل كان ما خليت منه ولا شعرة لا والعظيم، وجهي زي ما أنت حضرتك شايف، مقبول نوعًا ما، ما فينا نحكي شي، بعطي على يونس شلبي بشبابه، الطول طبعًا من الله مش راح نحكي فيه هو كمان، وبحس كمان إنه الناس عندها بردقان وأنا عندي ليمون، لو فاهم عن شو بحكي، فشو بدي أقول لك لأقول لك؟

يعني يمكن هاي أكثر شغلة بتجرحني، مش قادرة أشكل لها وعي عقلي يريحني، لأنها من جهة شيء دائم، ومن جهة تغييرها صعب جدًا، وأهم شي إني بنت، والبنت راس مالها جمالها، فالموضوع عن جد مؤذي، والمقارنات في عقلي وفي عيون الناس ما بتنتهي، يعني الفقر والوحدة ممكن الإنسان بشوية عقلانية وصبر يتحملهم، بس موضوع الشكل هذا، بلزمه جهد إضافي شوي، جزئية الغيرة والحسد هاي، إنه هاي ليش هيك شكلها وأنا هيك شكلي، لو عندي عيونها، . أو خصرها، هاي الأمنيات المستحيلة، بتتعب قلب الواحد، لأنه الشكل بالنهاية شيء شخصي، مش عابر التأثير وسطحي زي الفلوس، ولا اجتماعي زي الوحدة، شيء في صميمك، في تكوينك، إطارك في الحياة.

ومع هيك، صدقني نوعًا ما روضت حالي، وآمنت إنه ربنا قال "إنا كل شيء خلقناه بقدر"، يعني كل سم طول، محسوب، وكل شعرة محسوبة، وكل غرام

محسوب، وربنا خلقه لسبب، شو مهو ما بعرف، وما بهمني، بس أأ هيك، وما راح أقدر أكون إلا هيك، واخترت أحب حالي هيك.

لأنه بالنهاية، وبعد مسار سنين في درب الالام هادا، لقيت قدامي طريقين، واحد اسمه طريق الأحلام، وهو طريق مشيته كتير، وبتلخص هاد الطريق إنه كل يوم في الليل قبل ما أنام، أنفصل عن الواقع، وأصير أتخيل إني واحدة تانية، طويلة و شعرها ناعم وحلوة و جسمها حلو، وأقعد أسرح بخيالي مع فارس الأحلام، اللي بمدح جمالي، ومبهور في، وأنام وأنا مبسوطة بأحلامي، بس لما أصحى الصبح وأشوف حالي في المراي، ببدا أتحوقل وأتحسبن، والفرحة الوهمية اللي كنت أفرحها بالليل او أزوّرها بالليل تروح، ويا ربت بس تروح وخلص، لأ، بتقلب على نكد قد هداك الفرح مرتين، وأصير أتحسر وأبكي، وهكذا دواليك.

فجربت الطريق التاني، طريق المواجهة،، وهو إني أعترف لنفسي وبصوت عالي، إنه أنا هيك، وأنا بحب حالي هيك، فخورة، بشعري المسماري، بطولي المتواضع، بوجهي الحلوف، وحتى بصدري الصغير، خلص أنا هيك و فخورة بحالي هيك، وهاد مش كذب على الذات، و لا أنا خيالية ولا عايشة بعالم ثاني.

بس لو ما حبيت حالي ما حدا راح يحبني، وكمان اللي راح يحبني، راح يحبني زي ما أنا، زي إمي وأبوي، بحبوني زي ما أنا، فانا أكون متصالحة مع نفسي ورايقة، ومبسوطة بحالي، وبستنى شخص يحبني زي ما أنا، أهم بكتير من إني أزعل وأبكي وأتحسر لأني مش حلوة بنظر ناس يمكن ما بهمهم أمري، طز فيهم كلهم، هيك هيك، هم ما بهتموا لأمري، ومش راح أموت لأني مش حلوة بنظرهم، وهاد مش معناه إني بطلت أحلم أحلام يقظة، لسه بحلم، بس أخف شوي، لما يزيد الوجع كتير كتير بحلم.

فأخيرًا يا صاحبي وهاد الأهم، اقتنعت بالنهاية إني أنا كل متكامل، مش جسد بس، أنا نفس و روح وجسد و عقل، لو الجسد فيه شوية عيوب، ماشي الحال، ما راح أقدر أغيرها، بس بشتغل على الأشياء الثانية، اللي ممكن أعدلها وأغيرها، عشان تصير الصورة الكبيرة على الأقل حلوة ومقبولة، ولو فيها عيوب، ومين فينا بالاخر صورته الكبيرة ما فيها عيوب، يعني بقرأ ومثقفة و بحكي و بسولف و اجتماعية وصحتي منيحة، وبشتغل، في أشياء كثير عندي، الحمد لله.

فترة صمت

بتعرف؟ مرات الواحد بحكي الحكي للناس، لكن في نفس الوقت يبدو بحكيه لحاله كمان، كأنه بسمعه لأول مرة، يعني إذا أنا هيك زي ما قلت لازم أكون راضية، صح؟، طيب معقول أنا راضية فعلًا؟، ولا قولتك الرضا شي في القلب والعقل ما دخله؟ ولا الرضا هاد شي بيجي و بروح؟ ولا اللي أنا فيه استسلام ولا شو؟ الرضا مش حكي بس، مزبوط؟

تنهيدة و فترة صمت

، وجعت راسك أنا، . بس كان من زمان نفسي أفضفض وأحكي مع حدا، وشكرا إنك سمعتني،

قول لي عاد، شو كنت بدك تقول؟

عرض حالة

يا ربت الناس الحلوين، اللي عارفين إنهم حلوين، وإنا بنحبهم، يبطلوا مشغولين، أو يحكوا لنا متى هم بكونوا فاضيين، لأنه أكيد في بحياتنا شغلات أهم من إنا نسنتاهم، زي إنا نتفرج على صورهم مثلًا، أو نقرأ محادثاتهم القديمة، أو نستحضر ضحكاتهم اللي بتفرحنا، . هاي أنشطة كثير بتوخذ وقت، كمان احنا عارفين إنه عندهم أهل وأحباب، وبقعدوا معهم مرات، بس يعني هاي مش مشكلتنا، إحنا ملناش دخل بالموضوع هذا، ومش عارفين نقعد بصراحة.

كمان، يا ربت الناس اللي ساكنين جنبهم، وبشوفوهم كل يوم، أو حتى الأواعي اللي بلبسوهم، والمعالق اللي بوكلوا فيهم، إنهم يحمدوا ربنا على النعمة هاي، . لأنه غيرهم مش محصلها، وبالشكر تدوم النعم، ويا ربت الشتا يلتزم بمهمته اللي انخلق عشانها، وهي سقاية الزرع، . ويبطل يذكرنا فيهم على الطالعة والنازلة، لأنه الشتا مش مرسال غرام، وهاي مش شغلته، فخليه بشغله أحسن، كمان الواحد قلبه مش متحمل يعني، يقعد مع كل شتوة، يتذكر مشاوير وخطاوي وحكاوي وضحكات وكلمات، ولا سنّه ولا لياقته بسمحوا بهذا الكلام.

كمان يا ربت، إذا ممكن، الناس هاي، في حياة ثانية، ما تكون عيونهم حلوة هلقد، ولا شعرهم مموج هلقد، ولا عطرهم حلو هلقد، ولا روحهم خفيفة هلقد، ولا يحكوا الشي اللي بنتمنى نسمعه، ولا تكون حتى سخافاتهم حلوة، يكونوا بشر عاديين زينا، والأحسن إنهم ما يدخلوا حياتنا فجأة ويكركبوها هيك، لأنه كنا بألف خير قبل ما يسرقونا من حالنا، وكان عنا صحاب وأهل وهوايات نمارسها وكتب نقرأها وقرايب يزورونا ونزورهم، وكانت الدنيا ماشية يعني.

وبالختام، بنطلب منهم ما يبعتوا طيفهم عند كل قصيدة بنقرأها أو أغنية بنسمعها، خلينا نعرف نستمتع بالفنّ الإنساني بحيادية وبدون تنهيدات، وعلى ذكر الأغاني، بنطلب من الست فيروز الله يطول عمرها، تشوف لنا حل غير "لا قدرانة فل ولا قدرانة أبقى". لأنه مش حل، وشكرًا.

الساحر

كل فيلم بنحضره في السينما، ممكن ناخذ الانطباع الأول عنه من الزمن اللي بظهر في أول مشهد. لو كان التصوير الصبح في مكان مفتوح والجو لطيف و الشمس طالعة، بنتفاءل فيه. أما لو أول مشهد كان بمكان مغلق، والجو شتا وبرد، والدنيا ليل، بكون الانطباع الأول سيئ وكئيب. وأنا قصتي بدأت في صباح يوم جميل.

أول مشهد كان الصيفية الماضية. كنت صاحية بكير وقاعدة بشرب كابوتشينو على طاولة المطبخ و وبقرأ الجريدة. كان آخر يوم لحبيبي أيمن في المدرسة. آخر أيام الصف الثاني. وأنا بقلب الجريدة، انتبهت إنه عيد ميلاده ضايل له أسبوع. وكأني كنت ناسية تمامًا هاد الموضوع. وأخدت قرار أعمله عيد ميلاد على مستوى.

كنت وقتها وصلت لهاي المرحلة في الحياة اللي بسميها مرحلة الهدوء. عبرت التلاتين بشوي. زواج ناجح هادي. بيت ملك. وضع مادي ممتاز ومستقر. وعلاقات اجتماعية ما فيها مشاكل. ما في شي شاغل بالي. ولا في احتمالات ولا مشاكل ولا هموم ولا شي. وكل سنة تقريبًا بتكرر اللي قبلها. مع بعض الإضافات الجميلة. وكنا وصلنا أنا ورضوان لاتفاق إنه أيمن بكفي. وما بدي أخلف كمان. فكان عندي نوع من الهدوء. اللي يمكن قرب من الملل. فقلت لازم يكون عيد الميلاد هاد اشي مميز. وبدأت أخطط له.

بعد ما طلع حبيبي أيمن على المدرسة. وطلع رضوان على شغله. قعدت على الطاولة. ومسكت ورقة و قلم. وبديت أحضر لعيد الميلاد. وعملت قائمة بكل شي راح أعمله. وبديت أعمل اتصالاتي و تحضيراتي للموضوع. وشو الأشياء اللي لازم أشتريها ومين المدعوين. وشو راح نجيب وكل شي.

ما إجا الضهر إلا كنت محضرة تقريبًا كل شي. المكان عنا بالبيت. الحديقة واسعة و بتكفي. جهزت بطاقات الدعوة. ووصيت على طاولات وكراسي. ووصيت

على ألعاب من اللي بنفخوا، ووصيت على الكيكة. جبت رقم مهرج من هديل، كنت شايفته في عيد ميلاد بنتها، وكتير حبوه الأطفال، واتفقت معه، وعملت قائمة تسوق لأكياس الهدايا و الطواقي وكل شي، تقريبًا كل القائمة كانت خلصت، إلا شي واحد.

كنت بدي أجيب ساحر، أيمن كتير بحب السحر، بس ما عرفت من وين أجيبه هاد، وخطر لي أحكي كمان مرة مع المهرج أسأله لو بعرف ساحر، فقال لي إنه كان يعرف واحد شاطر، وراح يدور لي على رقمه و يرد لي خبر. ومر يوم ويومين و تلاتة، وما عرف المهرج يجيب رقم الساحر.

ومر أربع أيام تقريبًا، وصار كل شي جاهز للحفلة، إلا الساحر هاد. رجعت حكيت مع المهرج، فأعطاني رقم، حكيت معه مرتين ما رد، فبدأت أتوتر من الموضوع. . إنه مش معقول ما أجيب له ساحر، بدي عيد الميلاد يكون شي مرتب، بس الله ستر ويومها العصر رن علي رقم الساحر هاد، وبكل الكسل واللا مبالاة و الاستهتار في الدنيا بدأت المكالمة مع اللي يبدو إنه أنا صحيت جلالته من النوم.

-صمت.

- ألو، ألو.

- مممممم. . (تثاؤب) أنت رنيت علي اليوم؟

- اه أنا رنيت عليك، أنا اسمي مرام وأعطاني رقمك سعيد اللي بشتغل مهرج، و قال لي إنك ساحر، وأنا عندي عيد ميلاد لابني كمان يومين، ومحتاجة ساحر يكون في الحفلة ضروري.

- بعرفش حدا اسمه سعيد.

- عفوًا.، بس يعني أنا مخربطة ولا أنت ساحر، بس ما بتعرف سعيد؟ ولا كيف؟

- انا بعمل ألعاب سحرية، اه، بس بعرفش سعيد.

- طيب يا أخي، ما علينا من سعيد، ممكن تيجي على الحفلة عنا تعمل لنا ألعاب سحرية؟

- ممكن اه، بشوف، بس أيمتا الحفلة؟ أي ساعة؟

- يوم الجمعة الساعة 4 العصر إن شاء الله، في بيتي في الرابية، وأتمنى ما يكون عندك ارتباطات تانية.

- (تثاؤب)، لا ما عندي ارتباطات، (تثاؤب)، بس ما بتقدروا تعملوها المسا؟

- (تنهيدة مكتومة)، لا والله صعب، صرنا موزعين البطاقات، يا ريت حضرتك خبرتنا قبل بوقت، موعدها على الأربعة، وفقرة الساحر يمكن أربعة و نص، وأنا بحب الدقة في المواعيد كتير.

- طيب ما عليه، بس قولي لي، في ولاد كتير بالحفلة؟

- ههههه، حضرتك قول لي كم ولد بناسبك، عشان يعني ما أدعي البقية، و نغلبك يعني.

- يعني مش أكتر من 20، عشان ما بحب الضجة.

(هون انا كنت راح أنفجر بس مسكت حالي)،

- عفوًا، أنت إيش اسمك؟

- اسمي؟ اسمي أيهم، (تثاؤب)، أقول لك، خلص ابعتي لي عنوان البيت مسج وبحاول أكون موجود، . باجي باجي إن شاء الله.

- أستاذ أيهم أقول لك شي.

- طوط طوط طوط.

طبعًا وقتها كان نفسي أطلع من التلفون و أخنقه على قد ما هو لا مبالي و متعجرف الحيوان، وقررت فعلًا أرجع أتصل وأبهدله، بس رجعت قلت إنه ما في وقت أتخانق معه وأدور على واحد تاني، وبديت أحضر للحفلة وقلبي على إيدي منه.

يوم الحفلة كان أسطوري بكل المقاييس، عملنا زي STAGE صغير، وجبنا SLIDE كبيرة، و POP CORN MACHINE، والكيكة طلعت بتعقد، وكانوا كل الأولاد مبسوطين، وأهلهم كمان مبسوطين، إلا أنا، إيدي على قلبي من الساحر هاد ما يجي، لأنه أيمن حرام آكد علي أكتر من مرة أجيب ساحر، ووقتها رنيت عليه يمكن 4 مرات و ما رد، فالضغط عندي صار مليون، وصارت الساعة 4:30 و مش مشرف حضرته، واستنينا كمان ربع ساعة وبرضه ما اجا و ما برد عالتلفون.

فقررت خلص ما نستناه، ورحت على المطبخ أجيب الكيكة، وأنا هناك سمعت صراخ أيمن والأولاد، بحتفلوا بجية الساحر، فتركت الكيكة و طلعت أتفرج على البلوة اللي رفع ضغطي.

كان شاب في أواخر العشرين، أسمر شوي، واقف هادي على ال STAGE ولابس لبس سحرة، وما بعرف كيف عرف إنه أنا مرام اللي حكيت معه، بس أول ما شافني ابتسم لي، وكان هاد أول سحر بعمله، كل الغضب و الكره لشخصيته على التلفون اختفت، كان شخصية مختلفة تمامًا، وما بعرف هو شاطر بالسحر اللي بعمله أو لأ، أكيد كان شاطر لأنه الأولاد كانوا مبسوطين و بصرخوا، بس أنا كنت في عالم تاني، مركزة بس بعيونه، من هاي العيون اللي بتأسر الروح مباشرة، بتصير روحك معلقة بهالعيون، إشي زي الاستعباد الفوري، جذب بطريقة مش معقولة، كأنه كل روحه مركزة بعيونه و بتجذبك، لدرجة إني ما انتبهت كيف خلص عرض السحر، بس حسيت إنه لازم أبعد عنه و بسرعة.

عشان هيك أول ما خلص العرض، قلت لرضوان يحاسبه، وإنه ما اتفقت معه على شي، ورحت أحضر الكيكة، وأنا قلبي بدق و عيوني زايغين، وبحاول أشيل عيونه من بالي، إشي تيار كهربا ضربني، وقد ما زعلت من حالي، فشيت خلقي في الشغالة، . ونمت ليلتها وأنا أفكر فيه، وكل شوي أفتح التلفون على رقمه، وحاولت أشوف صورته مرة تانية في الواتس اب، طلع ما عنده، كنت سخيفة، لدرجة استسخفت حالي وقلت شو هالهبل؟، و نمت بسرعة عشان أنسى كل شي.

لما صحيت من النوم تاني يوم الصبح اتأكدت إنه ما كان شي عابر، كنت حلمت فيه، إنه اجا على الحفلة، وبس خلص سحر قعدت أطعمي فيه من الكيكة، بس ما كنا في بيتنا، كنا في بيت أهلي زمان، وكانوا كل أهلي موجودين، وتأكد لي وأنا بشرب قهوتي الصبح، إنه هاد شي مش عابر، حتى لو فكرت إنه عابر أو حاولت أقنع حالي إنه عابر، فصدعت كتير، وقمت تحممت وقررت أطلع أغير جو، وحكيت مع أسماء عشان نروح عالنادي.

وأنا على التريد ميل كانت صورته وهو ببتسم لي مش راضية تروح من بالي، وقعدت أفكر إنه أنا ست متزوجة، وهاد شاب عزابي، أو متزوج يمكن، بس ما بعرف إلا اسمه الأول، وتلفونه، ومش ممكن أفكر فيه هيك، إنه غلط، أكبر

غلط. أنا عمري ما كنت هيك. ولا بحياتي. وطول عمري بكره خولة قريبتنا من حركاتها الصبيانية هاي. وكيف بتمزح وبتحكي مع شباب. إنه هي سافلة. بس أنا لأ. ووصلت لقناعة. إنه ممكن عيونه يكونوا حلوات صحيح. بس يعني هاد مش كل شي. وأنا مش مراهقة. ومتزوجة و مبسوطة. وهاد كلام فارغ. وإعجاب لحظي زي ما الإنسان بيعجب بلوحة أو كتاب أو منظر طبيعي. أو بتعلق أغنية في باله. وقررت أنسى الموضوع. لولا اللي صار المسا.

كان مخططنا إنه الصيفية هديك نطلع على براغ. وكنا تقريبًا حاجزين كل شي. ومجهزين حالنا كمان أسبوع نطلع،. بس وقتها رضوان فاجأني و قال إنه لازم يسافر على الصين في موضوع جدًا ضروري. وراح يقعد أسبوعين. ووعد غير نروح على براغ أسبوع وعلى هاليستات أسبوع. كنوع من التعويض. وزعلت كتير أنا. مش لأنه تأجلت روحة براغ. بس لأنه من جهة ما كنت بدي رضوان يسافر و يتركني لحالي. خصوصًا هلأ. ومن جهة لأنه كنت يمكن محتاجة رحلة براغ. كان لازم أهرب. ما أنترك لحالي. ولازم رضوان يضل جنبي. بس ما صار هيك. ولا قدرت أروح معه على الصين حتى كون صاحبه طالع معه.

ولقيت حالي أول ما رضوان سافر. وأيمن اعتكف في غرفته يلعب. رجعت أفكر فيه. أحاول ألهي حالي بالقراءة. بالرياضة. بشغل البيت. ألقى حالي رجعت أفكر فيه. اشي زي المراهقين. زي أيام ما كنت أحب عمر ابن جيراننا بس على أدهى وأمر. عمر ما كانوا عيونه هيك. وكنت يمكن أحبه عشان اهتم في. يعني على الأقل كان في أساس. هاد بدون أساس. اشي فاضي. بس قوي. وعشان تكمل معي. اتصلت في صاحبتي سمر. كانت عاملة عيد ميلاد لابنها. وبدها رقم الساحر. ولقيت حالي بدون وعي بقول لها. هاي هدية مني لابنك أحمد. أنا برتبها لا تقلقي.

سكرت التلفون مع سمر. وقعدت أفكر أنا شو قاعدة بعمل؟! إنه شو هالمصيبة اللي عملتها؟ ليش ما أعطيتها الرقم و خلص. شو اللي قاعدة بسويه؟ بعطيها الرقم وهي تحكي و ترتب!!! شو دخلني أنا؟ وأصلًا مش لازم أروح على الحفلة!. بوصل أيمن بس!!! شو موديني أنا؟ ما صدقت تقريبًا خلصت من الموضوع! أرد أرجع له؟ وبأعصاب تاكة. وإيدين برتعشوا ضربت على رقمه. لكن كالعادة ما رد. فقررت إنه إجت من الله. وما راح أرجع أحكي معه. وراح أبعت لها الرقم وخلص. أو أقول لها مسافر. مسافر أحسن شي. خلص. هاد أحسن شي.

هيك قررت. وأفتح التلفون بدي أضرب عليها وأبطل. وأرجع أمسك التلفون، وأرميه، وقمت تحممت عشان أهرب.

وأنا لابسة روب الحمام اتصل، ورجع قلبي دق زي أول مرة شفته.

- ألو.

- أهلًا.

- هاد الرقم رن علي.

- اه، أنا مرام، عملت حنا حفلة. قصدي عرض سحري الأسبوع الماضي، متذكر؟

- مين مرام ؟ اللي في شارع مكة؟

- لا لا. مش في شارع مكة. أنا مرام اللي تأخرت علينا. اللي في الرابية. أم أيمن.

- اه، أهلًا و سهلًا. أنت العصبية، تفضلي.

- أولًا أنا مش عصبية ولا شي. أنا كتير رايقة. بس أنت كنت وقتها مستفز. وتأخرت. وهاد اللي عصبني.

- أنت حاكية معي بعد أسبوع عشان أنا تأخرت؟

- لا طبعًا. أنا حاكية معك لشي تاني. لأنه صاحبتي. بدها تعمل عيد ميلاد لابنها يوم الجمعة الجاي، وبدها ساحر. وأنا قلت لها. أنا بتكفل بموضوع الساحر. عشان هيك.

- اه اوك. بس أنا مش فاضي الجمعة الجاي. راح أعطيك رقم ساحر تاني. سجلي عندك.

(هون أنا قلبي وقف. وقاطعته)

- لا لازم تفضي حالك. أنا كتير معتمدة عليك. قصدي سمر كتير معتمدة علي، على وجودك قصدي. والولاد كتير حبوك. ولازم لازم تيجي. لازم يعني. لأنه الأطفال كتير متعلقين فيك.

وهون سكت شوي. لدرجة خفت يسمع دقات قلبي.

- طيب ابعتي لي العنوان والوقت مسج. وأنا بشوف.

كان المفروض بعد التلفون أفرح. بس فجأة لقيت حالي زعلانة. كرهت حالي أكتر وأكتر. كنت راح أستفرغ. وكرهت كيف إني قلت له ضروري يجي. ان شاء الله عمره ما إجا ولا شفته. شو في بيني و بينه أصلًا؟. وتنكدت من حالي كتير. إنه شو عم بعمل وهو شو مفكر حاله؟ مجرد ساحر مخادع متعجرف فاشل ما في بيني وبينه شي. وقررت خلص ما أروح. العمى يضربه.

يوم الحفلة كنت لابسة تقريبًا أحلى فستان عندي. أسود للركبة. مفتوح شوي. اختياره قعد معي ساعات. كنت بدي شي حلو وبنفس الوقت مش أوفر. بالنهاية هاي حفلة عيد ميلاد مش عرس. ومع إنه فقرته قبل الأخيرة كانت. إلا إنا وصلنا أول ناس. وقلت لسمر إني جاي أساعد. وقعدت أستنى يجي على نار. وبس صارت الساعة خمسة و ما إجا. وكالعادة ما برد. رجعت عصبيتي زي أول مرة. وصار شي زي النمل يمشي في عروق دمي. بس مش عشان عيد ميلاد ابن سمر. عشاني أنا. وعشان الفستان و عشان كل شي. وصرت قاعدة في الحفلة متوترة. عيني على الباب. وداني مع الجرس.

وفي لحظة من لحظات الأماني المتحققة هاي. دخلت العيون السحرية من الباب. كأنها بتدخل قبله. كأنها بتسبقه. وبرغم التلج اللي نزل على قلبي وقتها. إلا إني قمت أسلم عليه وأعاتبه. وما بعرف بين إني معصبة أو كزابة. بس بالحالتين. ابتسم و ما حكى شي. وراح يبدا العرض.

حاولت أقعد في مكان قريب أشوف عيونه. بس الأولاد كانوا ماخدين كل الأماكن. وما بدي حدا يلاحظ. فوقفت بعيد شوي. ماسكة كاسة ليمون. ومركزة بس فيه. ونفسي أخنقها للمياء اللي اجت تحكي مع عن المدارس. وقتك ووقت المدارس أنت؟؟

بس خلص و طلع زعلت أكتر من الأولاد. وتحججت إني بدي أحاسبه. وطلعت معه بره. وضليت مراقبته لاختفت سيارته. وفرحتي وقتها إني شفته وحكيت مع عن قريب أنستني فكرة إنه يمكن ما أرجع أشوفه. وما بعرف إلا اسمه الأول. وتندمت إني حاسبته أصلًا. يمكن كان لازم ما أحاسبه عشان أخلق فرصة تانية. وما هداني وقتها إلا فكرة إنه في جوجل. ورجعت على الحفلة مبسوطة. وهو تقريبًا كان ماخد عقلي.

ليلتها ما نمت، وأنا بدور عليه على الإنترنت. بدي أعرف كل شي عنه. وما كان معي إلا اسمه الأول، ورقم تلفونه، وصورته اللي في خيالي، وهاي كيف بدها تنزل على الكمبيوتر، وبعد بحث مضني و طويل وشاق على الإنترنت وتجريب كل الاحتمالات الممكنة على true caller وجوجل وفيس بوك، أذن الفجر وأنا صاحية، وفي آخر محاولة قبل ما أنهار من النعس و التعب، كنت قاعدة بفتش حسابات فيس بوك واحد واحد، لقيت صورته، ونمت زي واحدة كانت بدها تغرق، ولقيت جزيرة، فأول ما وصلت الشط نامت.

فتحت عيوني تاني يوم الصبح على كنز سليمان هاد، عملت mug كابتشينو، وقعدت أستكشف فيه زي اللي بتسكتشف مغارة سحرية مليانة كنوز قديمة و مثيرة، الصورة الرئيسية كانت صورة واضحة اله ومش لابس فيها لبس ساحر، وقعدت بس أتأمل فيها، وكأن العيون هاي بتتطلع علي أنا، طلع عزابي، عمره 28 سنة، مخلص من الأردنية إدارة أعمال و بشتغلش بشركة أو شي، بس شكله وضعه منيح، ساكن عند الخامس، بحب السباحة والتنس، ومسافر أكتر من مكان، وآراؤه السياسية متطرفة شوي، يساري تقريبًا، وبشجع فريق إنجليزي تبع كرة قدم اسمهم أرسنال، ولقيت صور إله عامل عروض سحرية لجمعيات أيتام، ومخيمات لاجئين، ويبدو هاد الشي الوحيد اللي كان بشتغله.

وبعد تدقيق ممحص لكل الصور المفتوحة، بديت أشوف الأصدقاء، لقيت يمكن عنده 80 صاحب، وأربع خمس بنات، كنت بديت أغار منهم already!!، والده.. ووالدته متوفيين، وشكله عايش لحاله، والحقيقة إنه التفتيش هاد أشبع شوي من فضولي تجاه هاد البني آدم، بس الأهم من هادا كله واللي زاد إعجابي فيه كان الحكي اللي كان بحكيه في بوستاته، كان عنده آراء بتضحك في الدنيا، وفيها كتير أشياء صح، نظرة مختلفة تقريبًا عن نظرة الناس اللي بعرفهم، وطريقة حكي غريبة، بناقش أشياء أبعد من الفلوس، وأبعد من تخطيط الرحلات، والأواعي والحفلات، وترباية الأولاد، بزكرني بحالي لما كنت صغيرة، قبل ما أصير زوجة تقليدية سعيدة، لما كان كل هدفي أفهم الدنيا.

وما بعرف هو اللي بحب واحد بشوفه هيك ولا لأ، بس معظم آراءه تقريبًا عجبتني، وقضيت النهار كله بس أتطلع على بروفايله و صوره وكلامه، لدرجة إنه الشغالة هي اللي زكرتني بمواعيد الأكل، وحتى لما رن علي رضوان من الصين المسا، حطيته سايلنت، لأنه كنت بقرأ بوست إله، وبس خلصته حكيت مع رضوان اللي

تأسف كل الأسف إنه راح يضطر يتأخر بالصين كمان أسبوع. وتفهمت عذره لرضوان بمزيج غريب من الرضا والزعل والشوق و عدم الشوق والشعور بالذنب.

وكان لازم أستغل هاد الأسبوع عشان نتعرف على بعض. عملت حساب وهمي، وكتبت فيه إنه عمري 24، وصورة لممثلة تركية. . ودخلت على صفحة هو بعلق فيها، وبعد ربلاي و اتنين. بعتت له طلب إضافة. وقعدت أستنى زي اللي بتستنى نتيجة التوجيهي. وكل ما يمر الوقت تمر الخواطر والهواجس ببالي. وأقول معقول استعجلت؟ معقول عمل لي بلوك؟ معقول فصل؟؟ وارجع أتأكد. مع مرور الوقت بطلت عارفة أقعد. وندمت. وقلت لحالي بكفي لهون. هيك الأمور عم تتطور وهاد مش بمصلحتي. وندمت وصرت بدي ألغي الحساب. وبعد شد وجذب وحوالي خمس ساعات من حرقة الدم. طلع اللابتوب نقرة موسيقية خفيفة نقرت في قلبي. وكتب على الشاشة وعلى جدران قلبي كمان. لقد أصبحت أنت وأيهم أصدقاء.

وصرنا أصدقاء. وفي محادثة التعارف قلت له إنه اسمي صفاء. متخرجة و قاعدة في البيت وعزباء. وهو من جهته طلع ما بشتغل فعلًا. مخلص إدارة أعمال. يتيم الأب والأم. وما عنده إلا أخ واحد مقيم ومتزوج في كندا. ووارث عن أبوه بناية باخد إيجارها. وساكن في الروف تبعها. وحياته كلها لعب و لهو. بوهيمية تقريبًا. بسهر طول الليل. وبنام في النهار. وكل فترة بسافر أو بعمل أعمال تطوعية. وبحب السحر.

وبدأنا حوارات كسر الجليد على الفيس بوك. وكنت أحاول في أولها ما تطول. لأنه ما بدي أكون واضحة جدًا. خصوصًا إنه هو كمان كان غريب. ما كان يشبك كتير. و يتأخر بالردود. فكنت أمارس اللعبة بحذر. صحيح كان عندي نوع من السعار المعرفي تجاهه. لكن بنفس الوقت كنت حذرة حذر الأنثى إنه ما أبين دالقة حالي. خصوصًا إنه أنا حاكية إنه أنا عزباء. وأي تصرف خاطئ ممكن يبعده عني لو فكر نيتي الزواج. وبوسط فرحتي الجديدة هاي. أو لعبتي الجديدة الخطرة. رجع رضوان. وهو بدت علاقتي مع أيهم تدخل مرحلة تانية.

رجعة رضوان شوي رجعتني لأرض الواقع شوي. وخلقت في داخلي شعور من التناقض، تجاه الشي اللي بعمله. وكنت يمكن لأول مرة في زواجنا بحس إنه بخبي شي. كنت لأول مرة بحس إني ضعيفة ومرتبكة و منقسمة على نفسي. مزورة. مش

عارفة أنا مرام الحقيقية الزوجة المحبة مع رضوان ولا المراهقة المتيم مع أيهم. أنا فعلًا كذابة؟ ولا هديك مجرد نزوة ما بتمثلني؟ ولا أنا مزيج الاتنين؟ ولا أنا شخص تالت براقب الوجهين؟ بكل الأحوال. صرت أحس حالي غريبة عن رضوان. في شي واقف بيننا. في مسافة مش قادرة أقطعها. و يمكن ما بدي أقطعها. بس كانت تدايقني. حسيت حالي خسرت شي ما كنت متخيلة أخسره. خسرت شي ما كنت شاعرة بوجوده. بس كان موجود. لكن كل هاي الأحاسيس و الشعور العام بكوني مزورة. ما قدرت توقف لهفتي على الكلام مع أيهم. بالعكس. زادت. لكن اختلفت الأساليب مش أكتر.

رجع رضوان لشغله. واقترح نسافر براغ. بس أنا رفضت. وقلت له إنه هلأ رجع من السفر وأكيد تعبان. و خلص بوقت تاني بنروح. وهو قدر في كتير حس المرأة المسؤولة. وجاب لي هدية ذهب. تقديرًا لتقديري عديم التقدير. وقتها كنت أنا وأيهم تجاوزنا مرحلة حوارات التعرف. وبدينا مرحلة من الحوارات شبه العميقة. هاي اللي بتفتح أبواب في روح الإنسان. وبتبدأ تطرح أفكاره في أمور أعمق شوي من رأيه في نادي رياضي أو حدث سياسي. أمور إنسانية. عامة مرات. ومرات بانعكاس شخصي. مرحلة فضفضة إنسانية أكتر منها حوار معرفي.

بدأ يقول لي عن عيلته. وتأثير وفاة إمه وأبوه عليه في مرحلة مبكرة نسبيا. وتأثير إنه مش بحاجة شغل. والعالم بقدر يمشي بدونه. وأقول له أنا عن حياتي. اللي كنت أوصفها قبل الزواج. ومع كل ساعة نحكي فيها. كنت أحسه أقرب إلي. كان كأنه مخلوق عشاني. كل ما نناقش موضوع. أحس إنه بحكي الإشي المثالي. اللي لازم ينحكى. ولو مش المتوقعيته. يكون أحسن منه. ولقيت حالي بدون وعي بتعلق فيه لدرجة إني نسيت كيف كانت حياتي بدونه. تماما زي المريض لما ينسى كيف كان يحس وهو مش مريض.

صرت مدمنة على الحوار معه. تلفوني ما يفارقني. ووجود انترنت و شحن في تلفوني أهم يكون من إني آكل. أو أطلع. أو حتى أقعد مع الناس. وصرت أستغل أي فرصة عشان بس أنفرد بتلفوني. وأدخل عالمي مع أيهم. أخترع مشاوير أطلعها لحالي عشان أحكي معه. أطول بالحمام. آعتذر عن طلعاتي مع صاحباتي. حتى النوم كنت أضحي فيه مقابل إنه نحكي. كان دنيا من الوله. ماخدة عقلي كله. وطبعا بوسط هاد الانغماس. كان من الطبيعي إنه شغلات تانية توقع من حياتي. كنت في نهاية كل حوار. بس أرجع لعالمي أكتشف قديش أنا بعيدة. من زمان ما

عملت رياضة. من زمان ما حكيت مع أيمن. من زمان ما حكيت مع أهلي. ومن زمان أكيد ما حكيت مع رضوان. . وعشان أعمل نوع من الموازنة. بديت شي اسمه الحب بدافع الشعور بالذنب.

رضوان اللي كان لاحظ علي إني متغيرة و ساهمة. وكان بدأ يلوم حاله على انشغاله. بدأ يحس إني رجعت زي ما كنت. كنت مندفعة بحب تجاهه. أكتر من الطبيعي. مزور صح. بس كبير. وأكيد هو ما قدر يميز وقتها إنه هاد شعور بالذنب. بس يمكن كان في عيونه أسئلة دفنتها الفرحة الغامرة بالتغيير. تغيير وصل لمرحلة إني أنا أطلب منه علاقة خاصة. ومع إنه كانت هاي لحظات تزوير وتناقض صعبة بالنسبة إلي. إلا إنه المهم إنه كان يكون مبسوط. وهاد الشي كان يخفف شعوري بالذنب شوي. مع إنه في هديك المرحلة كان كلامي مع أيهم كان بدأ يحطه دائما في مقارنة. يخسر فيها وهو مش عارف عنها أصلًا.

أيمن من جهته بديت أغرقه بالهدايا والألعاب. وحتى طلعات مع أصحابه. وأمور كان يعتبرها محرمات هطلت عليه من السما. وبقد ما كنت مبسوطة إنه مبسوط. كان في شي خفي جواي عارف إنه يمكن معظم اللي كنت أعمله كان يهدف كمان لزيادة إنشغاله. عشان أفضى أنا. بس مش مهم. كان مجرد تفريغ الشعور بالذنب هاد. شي بكفي إني أرجع أحكي مع أيهم. ومرات شي مبرر.

وفي وسط هاي المعمعة كلها. والحرب النفسية على أكتر من جهة. كان أيهم بدأ يتعلق في. بس ما كنت ملاحظة. وبدأت أسئلة عن صورتي الحقيقية. وليش ما تزوجت. ورأيي فيه. وشعوره إنه لازم يستقر. وكلام هيك كان كله بالمجمل يهدف لنقل الصداقة لمربع تاني. والحقيقة إنه أنا نفسي ما كنت عارفة شو المرحلة التانية بعلاقتي معه. كنت مبسوطة كتير باللي عم بحصل عليه لدرجة إني ما فكرت بالمستقبل. ووقتها رضوان عمل حركة حسمت هاد التردد.

اتصل في رضوان مرة وهو في الشغل. وكنا صرنا بشهر 10 تقريبًا. وقال لي بصوت غريب نوعًا ما. إنه في موضوع مهم بده يحكيه معي المسا بس يرجع. ولما طلبت منه توضيحات. قال إنه راح يحكي كل شي المسا. وهون بديت أحس حجم الشي اللي أنا بعمله. كانت الفكرة الأولى إنه عرف كل شي. وبدت ملامح انهيار حياتي كلها ترتسم قدام عيوني. زوجي. إبني. عائلتي. صاحباتي. كيف راح أواجه العالم؟ وصابني نوع من الانهيار الداخلي بكل أعضاني. كأنه بس جلدي اللي كان

مخليني متماسكة. وقعدت أستنى جيته بخوف. وبنفس الوقت على نار. واللي كان مموتني أكتر شي. إنه أنا حسيت إني صرت بعيدة لدرجة إنه أنا ما فهمت رضوان. كنت زمان قبل أبهم أعرف شو بده من نبرة صوته. من نظرة عيونه. من حركته. بس هلأ صرت عمياء تمامًا. والأهم من هيك. إني كنت لأول مرة تقريبًا بخاف منه. لأول مرة بكون ضعيفة هيك لدرجة الانهيار. كان ضهري فيه عرق بارد. وجهي تقريبًا بحاكي شحوب الأموات. وصدري كأنه فاضي من جوا.

روح رضوان. وبعد ما قعدنا شوي. وأكلنا. دخلت أيمن على غرفته. قعدت أنا ورضوان في المطبخ وسألته بصوت متقطع. شو في رضوان؟

قعد رضوان يحكي كيف إنه أنا حب عمره. وكيف حبني من أول ما شافني. وإنه هو يمكن مش الرجل الكامل. لكن حاول قد ما يقدر يخليني مبسوطة. وإنه كان يتفانى بشغله و يسافر. بس عشان أنا ما احتاج شي. لكنه إكتشف. إنه يمكن كان بنفس الوقت عم يبعد عني. ويمكن مش هاد اللي كنت أنا بحتاجه. وإنه هو ملاحظ علي إني تغيرت. وعارف السبب. وإنه ما بلوم حدا غير حاله. كان الكلام أكبر من قدرتي على احتماله. وبدت دموعي تنزل غصب عني. بس انخنقت. ما قدرت أحكي. فكمل هو وقال.

قال إنه عارف إني داخلة باكتئاب. وقرأ عن الموضوع. وعرف إنه حتى حركات الحب اللي بعملها هاي عشان نزع الإكتئاب. بس هو ما راح يسمح بهيك. ومقدر كتير اللي أنا عملته. ولو وحدة تانية يمكن عملت شي تاني. بس أنا غير. و عشان هيك. وبعد ما استشار طبيب نفسي. وعشان ما أدخل بالإكتئاب اللي أنا داخلة فيه على حسب قوله. قرر إنه يخفف شغله بدرجة كبيرة. بحيث يقضي معنا وقت أطول. بس عشان هاد الشي يزبط. لازم يسافر على الصين مرة أخيرة لمدة شهر على الأكثر. . ويشتري المصنع اللي طول عمره بحلم فيه. وبعد سنة من تشغيل المصنع. هو متوقع إنه يقدر يشتغل فيه عدد ساعات أقل. ونقضي مع بعض وقت أطول.

وكانت ساعتها أكتر ساعة في حياتي بكون فيها تحت تأثير مشاعر مختلطة. ولقيت حالي بدون وعي بضحك و ببكي و ببتسم وداخلة في وصلة نحيب. كله مع بعض. و كنت بس بدي أحضنه. وسافر رضوان على الصين. وقتها كنت تحررت شوي من شعوري بالذنب. وتحررت من شي أنا مش عارفته. ويمكن أعطاني

رضوان شي أنا مش عارفته. بس كنت مفتقدته. لكنه أعطاني نوع من التوازن كنت محتاجته.

عشان هيك لما رجعت أحكي مع أيهم. كنت نوعا ما قوية ومتصالحة مع ذاتي. قوية لدرجة إنه أعترفت له ببرود. إني مش صفاء، وعمري مش 24. عمري 32. ومتزوجة. وشفته قبل هيك. ونوعًا ما متعلقة فيه. بس العلاقة راح تكون كلام على الفيس بوك بس. وهاد هي صيغة العلاقة. وهاد هو سقفها. وطبعًا هو اندهش من كم المعلومات الجديد. واندهش أكتر من الثقة و الطريقة اللي كنت أحكي فيها. وكانت هاي هي الطريقة اللي وصلت لها وريحتني نوعا ما. متزوجة. بحب زوجي. وزوجي بحبني. لكن عندي صديق مقرب. أو عشيق إفتراضي. بشبع في داخلي مشاعر مش عارفة أشبعها. هواية. شي زي التنس. زي السباحة. محكومة بوقت و زمان. وسرية وما بتأذي حد. وارتحت للصيغة هاي.

أيهم أخده الموضوع شوية وقت عشان يستوعب هاي التغييرات. خصوصًا إني حددت وقت الكلام إلنا سوا بساعة أو ساعتين في الليل بس. وبديت أرجع لحياتي الطبيعية شوي شوي. أوصل ابني. أفطر مع صاحباتي. أروح على الجيم. وحتى أقرأ. بدون هوس اسمه الساحر. وإعتقدت هيك لفترة إني سيطرت على نفسي.

لكن مع غياب رضوان. ودخول الشتا الكئيب اللي بخلي الإنسان يتأكل من الوحدة. بدت ساعة الليل تصير ساعتين. وتلات. وبدأت حواراتنا توخد منحى مختلف. بعيد شوي عن آراء محبوب الحق في أقتصاد الفقراء. وآراء أمارتيا سنج في الحريات. صارت علاقتنا أقرب ما تكون لشي غريزي عاطفي شهواني جارف. وصار الإطار اللي حطيته أنا للعلاقة ضيق. ولازم يتوسع عشان يستوعب حجم التعبير عن المشاعر من الطرفين.

بدآت المحادثات تطول. بالساعات. وعدة مرات في اليوم. وصرت أهرب منه إله. وكل ما أشعر بالذنب أهرب لعنده. كنت بحبه و ما كان في أي داعي أمثل على حدا أو على حالي إنه لأ. أنا بحبه. وبدأت الأمور تتسارع بدون وعي. حكينا صوت عالفيسبوك لأول مرة. وعرف مين أنا. وشاف صورتي. وحكينا فيديو. كنت في حالة هرولة محمومة و مجنونة تجاه شي مجهول. بس لذيذ. بجذبني زي مغناطيس. كنت خايفة. وكل ما أخاف أمشي لقدام. زي هدول الناس اللي بس

يقربوا من منحدر بقفزوا فيه، كأنه الإنسان من الخوف الشديد بقرر يواجه خوفه. وقررت أواجه خوفي، بوعي أو بدون وعي.

شفته في المول من بعيد، قعد على طاولة قريبة مني في ستار بكس، وكنا لأول مرة بنبتسم لبعض في الحقيقة، وأول مرة بنكون هيك قراب، وصارت المسافة بيننا تقرب تقرب، لدرجة صار لقائنا مسألة وقت مش أكتر. واتصل رضوان من الصين يقول إنه محتاج كمان شهر، خد كل الشهور يا رضوان، دخلت أنا عالم تاني خلص، وبعد مناكفات و تردد، وأمل يقرب وأمل يخيب، وأحاديث ليل طويلة، ومطر على الشباك، وهاد الحب اللي بتضخم في الشتا والوحدة، وافقت في لحظة جنون، إنه تاني يوم أروح عنده عالشقة، وكان هادا أخطر قرار في حياتي، وما عرفت يومها كيف نمت من دقات قلبي.

كان المشهد يومها في شهر 12، الصبح، كانت الدنيا غايمة، سودا قد ما هي غايمة، وفيها برد شديد، بس بدون مطر، وكان الإتفاق إني أوصل أيمن على المدرسة وأروح لعنده، طلعنا أنا و أيمن في السيارة، وأنا عيوني سارحة في اللي مستنيني، وشغلة فيروز وبسمع "جاي لعندك جاي"، وصلت أيمن على المدرسة، ولاحظت مع إني كنت مبطلة ألاحظ شي عنه، إنه ماخد معه كرة السلة، وتزكرت وقتها انه كان قال لي انه عندهم بطولة وهو مشارك فيها، وبعتوا لي المدرسة دعوة بس ما رحت، ومع إني كنت مستعجلة، إلا إني ما قدرت إلا إني أسأله شو صار بالبطولة.

نزل راسه بأسى و قال إنهم خسروا، وإنه منيح إنه ما إجيت، لأنه ما كنت راح أكون فخورة فيه متل ما هو فخور في، وعشان هيك صار يجيب كرته معه عشان يتدرب، ويرجع يشارك و يفوز وأفخر فيه، ودعته بإبتسامة دامعة، وطلبت، وطلبت منه من كل قلبي إنه يسامحني من كل قلبه.

ووقفت شوي في السيارة على باب المدرسة، كان بيني و بين بيت أيهم 5 دقايق بس، خمس دقايق، وقعدت أراجع بوعي وبدون وعي حياتي كلها، شفت يوم عرسي مع رضوان، ويوم ولادة أيمن، ويوم عيد الميلاد، وعيد الميلاد التاني، وشفت حالي كيف عملت فيس بوك، وكيف ضفته، وحواري أنا ورضوان، والصيغة اللي لقيتها وما التزمت فيها، وليالي الشتا، وسهرة مبارح المجنونة، ولقيته ببعت لي صورته وهو

مبتسم مع الفطور اللي عامله. ابتسمت. وأخدت نفس عميق كتير وشغلت السيارة و مشيت.

وكان هاد آخر يوم في حياتي بتكون لي فيه علاقة بالساحر. المسا كنت لغيت حسابي على الفيس بوك، وعملت له بلوك على كل وسائل الاتصال. كنت خلص ضربت القاع. ولازم أبدأ أطلع. لازم أرجع أبدأ حياتي من جديد. كنت وصلت للآخر. ما ضل شي. والسحر اللي كنت عايشة فيه انتهى. رجعت أشوفه شاب عادي. أقل من عادي. رضوان أحسن منه وأرجل منه بألف مرة. والعلة يمكن ما كانت فيه قد ما كانت في أنا. أنا اللي كنت مفتقدة شي. مش فاهمة شي. وفهمته. فهمت كل شي. متأخر يمكن. بس فهمت. . وعرفت قديش كاينة عايشة بوهم. مجرد وهم. بس أنا كنت عميا عنه. حتى كلامه وأفكاره اللي أغوتني في يوم من الأيام. . بينت إنها عادية جدًا ومستهلكة. . وهو مش مفكر زي ما كنت بقول. وبعتقد. وإنه حاجتي و بس حاجتي هي اللي رسمت الوهم هاد كله. زي حاجة الجوعان لما يشوف الأكل العادي زاكي كتير. ولا يقاوم. وهم. . بس وهم.

- مرام!!!. نمت معه؟!!!!

- التفصيل هادا مش مهم هلأ أريج. مش مهم. يمكن مهم كدليل مادي لوكيل نيابة. أو حد لرجل دين. أو قصة للمجتمع اللي بحاكم. إنه لو نامت معه فهي. مش قادرة أقول الكلمة. ولو ما نامت بتكون هاي نزوة. مش هاد المهم. بالنسبة إلي صاحبة القضية. هاد آخر سطر في الرواية. بس مش هو الأساس. يمكن هو الجزء الجسدي من العلاقة. الجزء الملموس. بس أكيد مش هو الجزء الأكبر. مش هو الحد الفاصل بين الطهارة و الذنب. بين البراءة والخيانة. الحد الفاصل أنا قطعته زمان. ما بعرف بالزبط إيمتا قطعته. بس أكيد قطعته من زمان. يمكن لما حولت مشاعر مش بإيدي لأفعال كانت بإيدي.

(صوت متقطع. تتخلله دموع)

وبكل الأحوال أريج. العقاب واحد. هادا الاحتقار الشديد للذات. اللي بنام معك و بصحى معك. هاد الإشي اللزج اللي بصير بوجعك في بطنك كُل ما تتذكري. شعورك بالدنس. النفس المخنوق اللي مش عارفة توخديه. حاجتك تتنفسي. شعورك إنك بكابوس. تمنياتك المستحيلة يرجع الزمن وما يصير شي من كل هاد. شعورك قديش كنت غبية. وإنه الأشياء مش زي ما بتبين على حقيقتها. وإنه وقت

الإشتهاء بتكون أكبر بكتير. شعورك إنك عريانة قدام الناس، وقدام نفسك وزوجك وابنك وأي حد بحبك و بحترمك. شعورك بالاحتقار والدناءة كل ما زوجك يبتسم لك أو يجيب لك هدية، أو حتى يقول لك بحبك أو أي كلمة سمعتيها قبل، شعور تدنيس الكلمات حتى، تدنيس الذاكرة، المشاهد اللي ما بتقدري تشيليها من راسك، الأصوات اللي مش قاردة تشيليها من دانك. شعورك إنك أنانية و حقيرة و جبانة، شعورك إنك بتبني سعادتك الوهمية، نزوتك، على حساب دمار قلوب اللي بحبوك، إحساسك التام بالعجز عن تفسير هاد الشي أو تفسير أعذار، لو عندك أعذار. شو كنت بدي أقول لرضوان لوعرف وسألني، أنا شو ناقصني؟ عارفة؟ هاد اللي بكسر. إنه الطرف التاني راح يسأل حاله شو ناقصه، ولا ممكن تقنعيه إنه مش ناقصه شي. شعورك إنك غير عن البنات اللي بتعرفيهم، إنك منتهكة، واطية، أوطى حتى من اللي بتكرهيهم وبتحتقريهم،، ولا عمرك راح تكوني زيهم. وإنه خلص، ولا عمرك راح تقدري تقولي أنا ست شريفة. شعور إنه الإنسان بس يقعد مع الناس يفكر بينه وبين حاله إنهم كلهم أحسن مني، كلهم أشرف مني. وشعورك إنه في شخص في هاي الدنيا بعرف مين أنت. وخوفك في كل مكان تطلعيه تشوفيه.

هاد هو المهم أربج. وهاد اللي بقتلني.

- مرام، مرام، حبيبتي، أنا ما بدي أعرف شو صار. الموضوع انتهى، وأنا راح أختار إنك ما نمت معه وخلص، وهاي نزوة وراحت، وراح أضل أحبك وأحترمك.

- وأنا هيك راح أختار.

(عناق ودموع بين الصديقتين)

عشان أسامحك

-نعيمًا حبيبي.

-الله ينعم عليك. شو نام الصبي؟

-اه، قبل شوي رضع ونام الحمد لله. أعملك قهوة؟

-لا تغلبيش حالك. شربت كثير اليوم. بس حطي لنا بس على رامز هاظ أبو المقالب.

-طيب قبل برنامج رامز حبيبي. في موضوع حبيت أحكي معاك فيه. ممكن؟

-موضوع شو؟

-منال بتعرفها. مرة هاشم.

-مين منال؟ آآه، عرفتها. مالها هاي؟ إوعي تحكي بدنا نزورهم ولا يزورونا ! ترى لا بطيقها ولا بطيق جوزها!

-لا حبيبي، مش راح نزور حدا. بس حكت معي اليوم. رايحين هي وجوزها أسبوع على شرم الشيخ. ماكلين شاربين نايمين. ومع الفندق والتذاكر. مش مكلف 700 دينار. فخلينا نروح الله يخليك. والله إني زهقت حالي. وخلينا نعتبره شهر عسل. لأنه أنت عارف. احنا فعليًا ما طلعنا شهر عسل زي الناس.

-بدهاش تخلص قصة شهر السم هذا؟ كل ما دق الكوز بالجرة بتحكي لي شهر عسل و شهر بصل. مش حجزنا أوتيل يومين بعدها؟ ولا لازم كل شوي شهر العسل وشهر ال&*&&* .

-يا حبيبي والله أنت متسرع، أنا ما بعايرك. وقدرت الظروف وقتها. بس يعني الحمد لله وضعنا أحسن هسه. وفينا نطلع. وبلاها كلمة شهر العسل لأنها بتزعلك. بس خلينا نطلع. والله الزهق دبحني. الله يخليك.

-زهق شو اللي ذابحك؟ كل شوي زهقانة زهقانة. شو زهقانة يعني؟ هي اللي عندها بيت وجوز وولد بتزهق؟ هذا عشان ما بتشتغليش في الدار. لو بتشتغلي ما بتزهقي. الله يسهل عليك يما. والله عمرها ما قالت لأبوي زهقت. قال زهقت قال.

-الله يخليها يا حبيبي. بس أنا بشتغل في البيت مش ما بشتغل. و شغل البيت والله ما بوخد الوقت اللي أنت متخيله. يعني بيتنا كله غرفتين. قديش بدي أقعد أنظف فيه! ساعة؟ ساعتين؟ تلات؟ طيب وباقي النهار؟ أقعد وجهي بوجه الحيط؟

-هسه بتعايربني عشان بيتنا صغير؟ اه معلش. مهو لو إني حرامي زي جوز أختك، كان جبت لكم فيلا. بس جوزك مش مرتشي، . قال صغير قال، وك احمدي ربك انه عنا بيت أصلًا. ما أنت شايفة الناس أكلتها الإيجارات.

-لا حول ولا قوة إلا بالله. يا حبيبي للمرة الخمسين والله ما بعاير. أنا جبت سيرة حدا ثاني؟ عمري قارنتك بحدا؟ والله إنك عندي بتسوى الدنيا، لا تفكر هيك. بس يعني حط حالك محلي. طول النهار بين أربع حيطان. وشغل مانعني أشتغل. وإنترنت ممنوع. والزيارات بحدود. الطلعات بحدود. طيب شو أعمل؟

-هذا لمصلحتك. ولأني بحبك. وسيرة الشغل هاي ترجعيش تجيبيها. أتوقع حكينا بالموضوع لما انفلقنا. شغل ما في. يعني أنت فاتحة كل هالموضوع عشان تشتغلي؟ فش شغل. اطلعي من هالأبواب .

-يا عمري، يا حياتي، يا نور عيوني. أنا ما بدي أشتغل. بدي بس يعني يئست، فا مش راح أفتح الموضوع، ومش عم بناقشه. أنا بحكي لك نطلع يومين أو ثلاثة على شرم الشيخ. نجدد حياتنا شوي، وبودي أحمد عند إمي. والله إلا ننبسط. وأنت بتغير جو. وأنا بغير جو. يعني شي غير.

-شو فيها يعني شرم الشيخ هاي؟ متلاقيها زي عمان؟ هو أنا غشيم عن مصر؟ مهم زي حكايتنا وأمر. شو بده يكون فيها يعني؟

-لا حبيبي. شو عمان؟ شرم هاي منتجع على البحر الأحمر. فيها شواطئ حلوة، وقرى سياحية، وبحر. بنروح يعني. بننبسط لنا يومين بهالبحر. بنسبح. بنعمل جت سكي .

-بنشو ياختي؟ بنسبح؟ مين بده يسبح؟

-أنا وأنت حبيبي. أنا بعرف أسبح من زمان. من واحنا صغار لما كنا في الشارقة .

-شارقة اللي تشرق يهودك! حبيبتي. إفهمي علي. عند أبوك إشي، وعندي شي ثاني. أنا فش عندي نسوان تسبح! قال تسبح قال؟ والله هاظا الناقص. أركب قرون آخر عمري!

-شو قرون؟ شو هالحكي محمد! ما بسمح لك! شو شايفني أنا بعمل؟! هو السباحة جريمة! عمر بن الخطاب قال علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل. كمان لعلمك يا سيد محمد. أنا بسبح بمايوه شرعي. وهذا المايوه في علماء . ...

-بلا علماء بلا بطاطا. وأول شي هذا حديث موضوع وضعيف. ولو صحيح. قال علموا أولادكم. مش بناتكم. فالموضوع مش الك. طلعي الدين على جنب. وفش شي ياختي اسمه مايوه شرعي. المايوه مايوه. ناقصني والله مرتي تسبح بين الرجال. وبشو؟ مايوه شرعي. يا فرحة إمك فيك يا محمد!

-حبيبي مع إحترامي إلك. المايوه الشرعي لا يصف ولا يشف. وموافقين عليه علماء الدين. وما في شي تخجل منه. عادي الموضوع.

-لا مش عادي. . وانا مش موافق. وشفته المايوه البطيخ اللي بتحكي عنه! بفصل الجسم تفصيل .

-لا حبيبي ما بفصل. ولا بلزق. مثله مثل اللبس اللي بلبسه في الشارع. وبيجي واسع وقماشته ما بتشرب مي. فما بلزق بالجسم ولا شي. وكل البنات عندهم مثله.

-ليش لبسك أنت يعني أنا راضي عنه فكرك؟ تنانير وبلايز. الشرع إنك لازم تتجلبي. بس إحمدي ربك إني لسه مش ضاغط عليك في الموضوع.

-اللهم إني أسألك العفو والعافية. طيب حبيبي. لازم أتجلبب. بس المايوه الشرعي ما فيه شي. ولا بفصل ولا هم.

-وكيف ما بفصل؟ مش ببين صدرك. واجريكي؟ قال مايوه شرعي. شرعي مين اللي بتحكي عنه؟ هذا شرع أوباما. هذا ذر للرماد في العيون. الغرب بده يدمرنا و

يدمر أخلاقنا. عملوا لنا مايوه شرعي وخمر إسلامي. وكل الخرابيط هاي. افهمي شو بحكي لك .

-يا حبيبي، بلا مؤاخذة يعني، هو أنا بدي أخفيه لصدري؟ أعمله سحر يعني ويختفي؟ مهو جزء مني. و شو ما لبست. بده يبين إنه البنت عندها صدر لأنه الله هيك خلقها. إلها صدر. إلها تضاريس. جسمها هيك الله خلقه. وحتى لو لبست عباية راح تبين. ما في إلا تلبس كرتونة وخلص. بتصير زي سبونج بوب. ببينش شي.

-والله عاليوم في شي زي هيك.

-محمد.

-بلا محمد بلا هم. خلص. قلت سباحة فش. المرة المسلمة بتسبح في بيتها. هاي الشواطئ للعريانين والعريانات. واحنا مش منهم. الحمد لله.

-وين في بيتها بالزبط؟ كيف يعني تسبح في بيتها؟ يعني هو ربنا خلق البحر للأجانب بس؟ المسلمين ما إلهم فيه؟ أو المسلمات ما إلهم فيه؟

-على فكرة أنت وجعت راسي. لأ يعني لأ. انتهينا.

-طيب ماشي. يا سيدي بدناش نسبح. الله يوخدها السباحة. خلينا نروح. وبنقعد على شط البحر بس. بدناش نسبح. بس نتنفس شوي.

-شط شو؟ مهو كله اختلاط الشط هذا. والاختلاط حرام .

-يا رب رحمتك! اختلاط شو اللي حرام حبيبي؟ الخلوة اللي حرام. الاختلاط مش حرام. هذا خطأ شائع. الاختلاط شي حاصل بطبيعة الحال. في السوق. في المستشفى. وفي الباص. وعلى شط البحر. مستحيل يكون حرام. الخلوة بين واحد ووحدة. هاي هي الحرام.

-حرام و ستين حرام. صرت يعني أنت هسه أفهم من كل المشايخ؟ الاختلاط حرام بنص الحديث. . حلو والله. نقعد وحوالينا كل الناس وكل واحد يتطلع على مرة الثاني.. وأجانب ومشلحين وحالة. قال مش حرام. خلص أنا باخذكم على دبين الأسبوع الجاي. بنروح إحنا وأهلي. كمان مش أنت من أهل القرآن؟ زهق شو اللي قلبت راسي فيه؟ حطي هالسجادة وصلي. بترهقيش.

-أصلي؟ محمد ليش أنت مش قادر تفهمني؟

-لأني ما بفهم! بغل بعيد عنك. فهمت ليش؟!

-محمد خلص أنا مش متحملة الحياة هيك. مش قادرة.

-شو يعني مش قادرة ؟ بتهددي في يعني ولا شو؟ فهميني. شو يعني مش قادرة؟ فهميني.

-لا ما بهدد. حقك علي، حقك علي. لا تعصب.

-لا فهميني فهميني. شو يعني كلامك؟

-خلص محمد. . ما معناه شي. حقك علي. أنت زوجي. وطاعتك واجبة. أنا آسفة.

-آسفة. استغدنا من آسفة تبعتك. بتقعد الواحدة تناقر جوزها وتطلع عين اللي خلفوه. وبدها تسبح و تبطخ. وتجادل. وبتيجي تقول لك آسفة. وك الرسول قال، الوحدة لازم تسجد لجوزها! تسجد! مش تجادل!! فهمت؟

-معك حق. وأنا فعلًا آسفة.

فترة صمت.

-طيب حطي لنا على رامز.

ولا أقول لك.

(ابتسامة ذات مغزى)

قومي البسي لك شغلة حلوة. عشان أسامحك. يلا.

هيومانز أوف عمّان

-شو أكثر شي مزعلك؟

-إنه الصدقة بطلت تزعلني. كانت زمان تعز علي حالي. هسه بطلت .

**

-شو أكبر مخاوفك؟

-ما عندي مخاوف. كل مخاوفي كبرت وتحولت لمشاكل. فبطل عندي مخاوف. ما بخاف من شي.

**

ثلاثين سنة وأنا عبد عند الحكومة. بداوم في ساعة معين وبرجع في ساعة معينة. وشو ما بده مديري بعمل. وبالاخر. باجي بقولهم أنا حمدي طلبة مش مصدقين. بدهم كرت بلاستيك هم مطلعينه مكتوب فيه إنه أنا حمدي طلبة عشان يصدقوا. بصدقوا الكرت وما بصدقوا هالشيبات. والمشكلة الكرت عليه تاريخ. بس يخلص التاريخ ببطل أنا حمدي طلبة. الكرت أهم من بني أدم.

حكومة^&*^*^&.

**

انت مش لاكي غيري تحكي معه؟ يا بني إحنا الفلسطينية مسخمطين. كظينا هالعمر غلب بغلب. شو بدك إياني أكول لأكول؟ سيبني في حالي الله يرظى عليك. وشوف لك شغلة ثانية.

**

مرات بشوف بنت حلوة في الشارع. بكون نفسي أحكي لها أنت حلوة. هيك بدون سبب. بس أقولها أنت حلوة. من باب إنه زي ما بنحكي للأعور أعور في عينه. لازم يعني نحكي للحلو حلو في عينه.

-وليش ما بتحكي لها؟

-بخاف تعمل لي مشكلة.

**

لما أسوق سيارتي. بحس الناس اللي بمشوا في الشارع بطيئين ولا مبالين. وبس أمشي في الشارع بحس اللي بسوقوا سيارات متهورين ومتكبرين.

**

بتقدر توصف حالك بكلمتين؟

-بخيل وأبو كرش.

**

شو الحكمة اللي وصلت لها بحياتك؟

إني أصغر مما كنت أعتقد.

**

-الناس مش راضيين يقتنعوا إنه شفير التكسي ممكن يكون إنسان كويس. أبوي شفير تكسي وبزعل كثير لما الناس يسبوا عليهم، خصوصًا على الفيس بوك. إنه فكروا شوي، احنا عنا مشاعر كمان، ومش كل الناس معها فلوس. بكرهوا الواحد بعيشته.

**

-اكتشفت إنه الأردن مخزوقة. قد ما ينحط فيها مصاري بتروح. البلد بتسرب والله يا أخي. أنا مواسرجي وعارف.

**

-شغلي مش مكفينا. بس لازم أشتغل. ومش عارفة وين أترك ولادي. معيش أحطهم في حضانة. وبقدرش أقعد معهم في البيت. مفكرة أنزل إعلان. مطلوب خادمة لعائلة مستورة.

**

-شو أحسن قرار عملته بحياتك؟

-إني بعدت عن البنوك، اللي بقرب عليهم عمره الله ما بوفقه.

**

عمري ما فهمت معنى "هم البنات للممات" إلا لما صار عندي بنات، خوف 24 ساعة، وقلق، ليالي كثير ما بنام وأنا بفكر فيهم، خصوصًا الكبيرة، نصيبها تأخر وقلبها مجروح.

**

كل فصل باجي هون عشان آخذ القسط، الجمعية هاي بتعلمني، كل مرة باجي هون بكون خايف حدا يشوفني، مش مصدق على الله وتخلص الجامعة ويخلص هالذلّ.

**

-شو الشي اللي بتندم عليه؟

-هو مش ندم، بس يعني لما خلصت بنا البيت، تجوزوا ولادي وراحوا، طول عمري بحلم أبنيه، وهيه فاضي، فش غيري أنا وهالمستورة.

**

-بتخافيش جوزك يتجوز؟

-يا ريت، من ثمك لباب السما، بس يجيبها بتعرف تشتغل في البيت، انقطم ظهري والله.

**

-شو أكثر شغلة بتزهقك؟

-آجار الدار، إلي 15 سنة بدفعه، طلعت روحي يا زلمة.

**

شو أكثر شغلة بتضايقك؟

-لما أروح على عزومة. بصيروا كل الناس يتطلعوا علي، لو أكلت شوي، بحكوا بتمثل عشانها ناصحة، ولو أكلت كثير بحكوا عشان ناصحة، ولو أكلت عادي، بحكوا لي كلي كمان، كأنه الناصح ما بشبع، زهقت عيشتي.

**

بكره فكرة إنه كل واحد كبير بكون منيح. وإنه كل أب بكون روعة وحنون. أبوي مصيبة.

**

شو تعريفك للزواج؟

-النوم مع العدو.

**

كل ما بتذكر إني عملت حفلة عشان أتجوز بنقهر.

**

أكثر شيء بكرهه في جيلي إنه مزيف. كل واحد لازم يلاقي له شغلة يبين فيها إنه مش عادي. فش ولا حدا فينا عادي.

**

زمان كانت إمي تطلب من خالتي أواعي ولادها القدام وتلبسنا إياهم. لهسه كل ما بشوفهم بتضايق. مع إني كبير وبشتغل ومعي مصاري زي زيهم. بس الشغلة لسه بتجرح في قلبي.

**

-شو بتحسي ألبق إسم على شخصيتك؟ بعبر عنك يعني.

-بصراحة؟

-أه.

-مكيودة. لازم أهلي سموني مكيودة.

**

-هديك اليوم شفت على التلفزيون تقرير عن رحلة ريال مدريد للصين. لما شفت الصينيين لابسين بلايز ريال مدريد ومبسوطين حسيتهم سخيفين. إنه ليش بشجعوا فريق بعيد عنهم ألف سنة، وفي بلد ثانية. شو دخلهم فيه؟ لما تذكرت إني بشجع برشلونة حسيت حالي سخيف زيهم.

-وبطلت تشجيع؟

-لا عادي، مكمل.

**

-شو أكبر كذبة بتعرفها؟

-إن الإنسان بتعلم من أول مرة. أنا لازم أقع في المصيبة 7-8 مرات. بعدين بتعلم.

**

-الناس بتخربط بين فكرة الاستسلام وفكرة الرضا بالقضاء والقدر. الرضا بالقضاء إنك تكون عملت كل شي مطلوب منك ومع هيك ما توفقت. بس راضي بقضاء الله. الاستسلام إنك تيأس وما تحاول وتظل زعلان لأنك مش متوفق.

-وأنت راض بقضاء الله؟

-لا طبعًا. أنا مستسلم.

**

شو شعارِك في الحياة؟

مش مهم شو يكون شعاري، المهم يكون معي فلوس. الفلوس قادرة تغيّر أي شعار، قدرتها على تغيير الأشياء خارقة.

**

شايف الدار اللي جنب الجامع؟ هاي دار الحج نجيب، وهاظ الجامع انبنى تبرّعات، كنت وأنا صغير أشوف الحج نجيب يناقل طوب مع العمّال، وهو اللي دهنه من برآ، بعد هيك كنت كل يوم أشوفه رايح جاي عالجامع. عمره ما قطع

فرض فيه لمّا مات. خطيب الجمعة ما جاب سيرته، وترحّم على ناس ما عمرنا شفناهم، من وقتها بطلت أصلي في الجامع.

**

كل شهر بس ينزل الراتب باجي هون مرة، بسخى لي بكم ليرة مصاري، . وكل مرة بختار شي جديد، بس بشربه وكأني مفطوم عليه، وبتصور وبنزل الصور.

-وشو شربت اليوم؟

-فرابتشينو.

-شو هاي ؟

-قهوة باردة معفنة.

**

شو تعريفك للحياة؟

الحياة سلسلة من القصص غير المكتملة، كل قصة بنقصها شي، وبتخلص بدون ما تكمله، عشان هيك بتترك وراها عبرة أو غصَّة أو دمعة، بس بيجي يوم وبكملوا.

**

كنت كثير سريعة وأنا صغيرة، كنت أسرع وحدة في الحارة. وكنت أحلم أكون زي غادة شعاع. وأكسب ميداليات زيها. ولما حكيت لأخوي وقتها إنّه المعلمة بدها تسجلني في مسابقة ركض، أكلت قتلة ما أكلها حمار. هسه بناته بلعبن تنس وبسبحن. بس عادي ما حدا زعلان. لأنه على رأي مرته. العقل السليم في الجسم السليم.

**

-أنا بحبش أحكي في السياسة لأنه الناس بفهموني غلط وبتهموني إني بشمت.

-ليش أنت شو رأيك؟

-رأيي إنه كل شي بتعمله فينا إسرائيل وأمريكا قليل علينا، لازم أكثر. لأنه إحنا أصلًا جماعة ظلمة فسقة. بنستاهل اللي بصير لن.

-الناس مساكين يا زلمة.

-صحيح. مساكين لما تشوفهم قدام السلطة، بس جرب تعطيهم سلطة إلهم، ولو أصغر أنواع السلطة. سلطة أب على عائلة. مدرسة على فصل. مدير على 4 موظفين. وشوف ساعتها كيف بتصرفوا. بستغلوا السلطة ولا بتعاملوا بأخلاق؟ هون بتعرف معدننا الأصيل. واللي هو تعبان. قال تعالى "أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم"

من عند أنفسكم يا أخي. من عند أنفسكم.

يوميات زوجة سعيدة

أنا مش تعبانه من الأولاد، ولا من ضيق الحال، ولا من إهمال محمد. ولا من تعاطف أهلي اللي صار يحرجني كتيير، ولا من تلطيشات حماتي القذره وكلماتها، ولا من ألف سؤال سمعتهم وعلامات استفهام لمستهم بالعيون، ولا حتى من تلفون أخوي ومرته، وكل هالشي مابيعني لي صدقًا.

والله مش من هدول،

مش مميزه من شو تعبانة،

بس غالبًا، عندي خوف من اللي جاي،

الوسواس اللي عندي بيزيد ما بيقل.

الخوف،

مش قادرة أميز اكتر خوفي من شو وعلى شو،

بس غالبًا هو خوف اني أفقد القدره على التمثيل حتى على أولادي وأكون عبء وسبب إحباط وتعاسة، وأنا نفسي أسعدهم وبسسسس، نفسي أخلص من هالتقلب والحساسية والتحليل والتدقيق،

أنا تعبت.

***

جاي على بالي أحكي كتير، زمان كنت أكتب كل شي بدفتري. أيام البراءة. كان أكثر وقتي صور، أتفرج عالصور، حلوة كاينة ومرتبة، ولو إني كنت لابسة بلوزة أخوي، بس مش قايله إشي. مبينة بناتيّه البلوزة، هاي صوري مع وزير التربية، هاد تكريم للشعر، وهاي للتفوق، وهاي للي قالتها ليلى، كنت أحب صورتي مع وزير التربية، مرات أقعد مع الصورة وأشكي له من محمد، ومرات من حماتي، بس مات الوزير، ما بعرف كيف مات، يمكن خنق بين إيدين الظَلَمة.

****

نمت وصحيت وأنا بفكر بإشراق، أو ما نمت، هي مجرد غفوات متقطعة بس لز زبزه، كل شي سرقة لزبز، إشراق عكسي تمامًا، على فكره بحب الناس المختلفين عني، بتأملهم أكتر وبحب أسمعهم، متلا إشراق لو شافت الغاز وسخ،

ممكن تنام بالفراش من المرض والصدمة. لو بدها تسفط الخزانة. ممكن تحط خطة قبل بأسبوع. وممكن تسجل الخطوات على ورقة. بس هذا لا يعني إنها وسايخية. لا لا بالعكس. متكتكة ومرتبة ومنظمة جدًا. بس رايقة لأبعد حد. هدوووء بيستفزك. الصوت الواطي العلاقات المحدودة. كنت أفكرها قوية جدًا لدرجة عمرها ما شكت لي لكن مبارح لما شفتها كانت نحفانة كتير حكت لي مو من التعب. من خوفي إنه ها الأولاد مانعيني أعيش براحتي. وأنا بحب الحياة. تقريبًا هاد الشي الوحيد اللي بنتفق فيه. أنا كمان بحب أعيش.

أنا تخرجت بشباط 2006 . واشتغلت مباشرة في مدرسة. كنت خاطبة. وتعرفت على إشراق معلمة الفن. متزوجة جديد. وعن قصة حب طويلة وكلها تحدي لاختلاف الطبقات. كنت أشوفها متل هدول اللي بتحسهم متحممين كل يوم. اللي طالعين من الفترينه. كنت أحب هدوءها. وكنت صديقتها المفضلة كونه لو أزورها مارح أوسخ البيت. لأنه لساتني بلا صغار. كنت وأنا خاطبة أحس إنه أنا مش متلها ولا متل كتار. وأحكيلها. خطيبي مهملني. ما بكلمني. ما بزورني. ما بجيب لي هدية. بس بحبني وأنا متاكدة. هون بلشت تنصحني وبلشت أكون متلقية. ووقتها ما كان في غير إشراق. خواتي بعاد وإمي صعب التفاهم معها. كنت مخدرة. تقول لي وأنا أنفذ بدون تفكير. كونه هاي إشراق يا عمي. اللي بتعرف تحب وتنحب مو أنا.

بلشنا بالهدايا. جيبي له مشان يجيب لك. حطيت الراتب كله هدايا. على عطور وعلى لبس وعلى ورد. ماكان يترجم تصرفاتي ويرد بالمثل. حكت لي خلصت مرحلة التلميح. ولازم نبدأ مرحلة التصريح. احكي له أنا بحب تهديني. لقيت هالطريقة هي الأقرب لقلبي. لكن لا حياة لمن تنادي. اتصلي مشان يتصل. احكي بحبك مشان يحكي لك بحبك. إلخ إلخ إلخ. ولاااااشي زبط.

طيب. أنا بدي يضمني شو يعني أنا بشعة ولا مش عاجبيته؟؟ البسي قصير. وضلي ارفعيها. ماضل غير أشلحها للتنورة. كان رده إنه يلا قومي نطش. من متى بيحب الطشات. فكرت راح يعمل شي. طلع بده يعاتبني على قلة أدبي. وإني ببيت أهلي وهو محترم هالشي وبيقدر الإمام أبو حنيفة إنهم مأمنينه علي.. ما في داعي أحكي شو زعلت. وداومت حزينة كتير. بس إشراق ما يئست.

كنا بأول شهر أربعة. وعرسنا خلص كمان أسبوعين تلاتة. وهو بمنتهى البرود تجاهي. ورفضت تنتهي الخطبة بشكل بارد مؤدب زي هيك. كان لازم يكون في أي نوع من المغامرة. حكت لي إشراق لازم يكون في تقارب. طالما عنده ضمير حي. ما

في غير نخلي له شيطانه أقوى من كل شي. والزلام أسهل من الشياطين عندهم ما في. اقعدي بحضنه. هيك بدون سبب ولا مقدمات. طبعًا بوقتها وعلى حسب علاقتنا الباردة كان شي صعععب وبده جرأة كتيييير. وبده تلاتين استخارة وأربعين بروفه بمخي وسبعين تصور لردة الفعل. ومنظري قدامه وشو راح ياخد عني فكرة. بس إشراق بتعرف اكتر مني. إشراق صح. بعد تردد وتفكير وتمحيص قلت طز. خليه يقول عني شو ما بده. أنا لازم أجرب.

وبالفعل جربت. بس كانت ردة الفعل أبدااااا مو ضمن توقعاتي السبعين. يعني تخيلت يزتني على الأرض بقوة. بس ما تخيلت ضهري يخبط بزاوية الطاولة الرخام و أنشل. وما يشيلني. ويعصب علي ويقوم مثل الملدوغ على بيته. وأنا وحيييييدة. طبعًا فقدت الثقة بإشراق من وقتها وأصلًا كنت خلص ملتهية بآخر ترتيبات العرس. بالنهاية أنا ما كنت سافلة. كنت بس بدي يحبني ويروح البرود بيننا. . لأنه صدقًا كان الزواج عندي بدله بيضا. وأرقص عاغنية لو بص لي تاعة يارا الجديدة. وأكايد ياسمين الكلبة. وأحط راسي على كتفه بالسلو. ولا عمري فكرت بأبعد من هيك.

ما تخيلت إنه تمر سنين. وأولاد ومشاكل. وأنا لسه. مش عارفه أتعود على هذا البرود. ما تعودت. مش متقبلة فكرة إني بالبيت تحصيل حاصل. وجودي منظر اجتماعي بالنسبة إله. مرته. بنروح سوا عالعزايم. وبنمثل السعادة. بديش هيك أنا. أنا ما بشوف الزواج هيك. لازم يكون في مشاركة. على الأقل بالتفكير. يعني نفكر سوا. يمكن كنا هيك بمرحله معينه وهاد اللي هلأ ماكل راسي. أنا فعليًا هلأ بكره محمد كره كبير وصار آخر اهتماماتي. بس بضل أفكر. ليش صار معي هيك. ليش أنا بالذات. ليش ماعرفت أدبر حياتي. مع إني شاطرة بكل شي ما عدا الطبيخ. بس ليش أكون زوجة فاشلة. عنجد هاي القصة بتيجي ببالي كتير ومنغصة علي حياتي.

بالنسبه لإشراق حكت لي. كنت عارفة إنك عمرك مارح تتهني. الزلمة ما بحب القوية والشاطرة تكون مرته. وإنتي مش سهلة. لازم تكوني ضعيفة وهبلة. لدرجة ما تعرفي تطبخي بدون ما تسأليه. لو تأخر برا البيت تبكي من الخوف من الليل !!! واكتبي على ورقة أنت شو بتعملي مشان ترضيه وشوفي حالك. وعلى قدهم بيكون بيقدملك. بس أنت تلاقيكي بس بدك توخدي !! هلأ لهون عنجد مش عارفه شو أحكي. أدافع عن حالي إنه لا مش صحيح هالكلام. ولا أقول إنه هو خلاني هيك.

ولا أستغرب انه إشراق بتفكرني سيئه لهالدرجة وهي اللي كانت معي خطوة بخطوة. فعلًا حسيت مخي مخربط.

طبعًا إشراق إنسانة دبلوماسية كتييير. يعني عشان تحكي لي هالكلمتين لفت ودارت كتير. مش ممكن تدجها دج. دارسة ديكور. والديكور بكل حياتها فايت. مع كل ها الإيجابية بكلامها أنا تدايقت. تدايقت منها. بقلبي بس. وحسيت كم بشع الانتقاد. انتقدتني متلًا إنه محمد ما برن يتطمن. بررت إنه بعرفش إني طالعة. فبرضه انتقدتني. مع إني ما شرحت لها إنه لو يعرف برضه ما رح يرن. خلتني أشك باللي أنا متاكدة منه. وبالفعل بعت له بالسر. " محمد أنا بدي أطلع مع صاحباتي هلأ. ومابتأخر ". . بس ما كان في أي رد. كلام إشراق خلاني أقول لا ما شاف المسج. بس لساته لليوم بيشوف بالمسج!! حتى كل ظنون الخير اللي كانت عندي راحت لما بنتي حكت له " بابا اليوم ماما راحت عالدكتور تاخد إبرة وأنا ما عيطت". حكالها شطورة وما علق.

بدي أكتب على ورقة شو خطوات الجكر اللي ممكن أستفزه فيها. غير إني اليوم ما بدي أفطر معه عند أهله لأني مش شنطة. بس كونها هالفكرة ما استفزته أبدًا بدي أفتش على أفكار أحقر. مع إني كنت مقررة أعيش بسلام. لا استفزاز ولا غيره. يعني حابة أعيش على مبدأ طززززز. طز بكل شي. حتى طز بإشراق عند اللزوم.

***

يا الله شو بكره اللي بحكوا السعادة مش بالفلوس.

صح معيش فلوس.

بس ما بعرف.

فجأه حسيت لو معنا مصاري وكتير.

شو رح تفرق.

شو رح يتغير متلا.

والله عاد حلوة الحياة.

طول ما فيه فلوس نجيب منها حليب بدون تفكير.

وحلو إنه صرت متل اللي كنت أقرف منهم. أكتر معلوماتي. نوع البامبرز الأرخص.

حلو البحث بجوجل. كيف أتخلص من مغص ابني الرضيع بدل البحث عن مواضيع مشفّرة دايمًا.

حلو الرضا المقنَع.
حلوة قلة النوم وقلة الراحة.
أنا بكره الفلوس.
وما بتمنى إلا إني ما أحتاج من حد شي.
بتمنى بس كفايتي.
ما بدي بزيادة.
دايمًا بحكي لأمي معي فلوس كتيييير بس مخبيتهم.
هي بتقلي بعرف يما. الله يباركلكم.
أنا عنجد عندي فلوس كتير ومخبيتهم.
هيك بحس دايمًا.
بس مش عارفة وين خبيتهم.

***

اليوم رحت على أساس أسحب راتبي. لأول مرة بشوف السوق حلوووووو. كلشي حلو. هالقد شو عيني فاضية!! كان نفسي بكل شي عيني بتوقع عليه. كل شي بجنن. اللبس. الألعاب. أواعي الأطفال. أغراض البيت واووو. قمصان النوووم. لأنه بلا سيارة أخدنا راحتنا أنا ولولو بالمشي. على شوي كنت راح أنسى إنه لولو معي وراح أوصل البيت مشي. بس هذا لا يعني إني وفرت. بالعكس أنا تبعزئت. اشتريت فلافل. واشتريت مالتيزرز معقول شو خفيفة. وكندر لبنتي. وإشي متل الثري ان ون بس غالي. واشتريت بيجامة جديدة. كتيييير حلوة. بس لبستها عملت حالي مشغوله عشان أتفاجأ باندهاش محمد.

الغريب إنه نطق. والله نطق. حكى لي مافي رجالي هيك اشي صيفي ؟ ليش ما جبتيلي؟؟

هذا الزلمة رح يجنني. بس فعلًا السوق حلو.
نفسي بكتير اشياء.
كتيييير
كتير
كتير
كتير
محمد بخيل معي
الناس عم تشتري بجنون

جنوووون

كأنه الشي ببلاش

كيف هيك ياربي

واشتريت إبريق شاي

حتى أباريق الشاي أشكاال

ضليت أعمل حالي مش عاجبيني لحتى لقيت طلبي، الرخص.

متى رح اضل أفتش على أرخص شي،

ولمتى رح أشتري بس الضروري جدًا.

متى مارح أعدّ الباقي. وما اشترط عالزلمة إن ماعجبني بالبيت برجعه وباخد الفلوس.

بس كمان طلعنا عالنجمة وطلبت كنافة وأنا ما باكلها. هيك، جكر بحالي. مشان أوري حالي إني ما بهتم بالفلوس. أصلًا الفلوس آخر همي

في النجمة شفت ناس كثير. زلام ونسوانهم. وولادهم. وفي واحد بصور مرته مع إنه مرته عوّاية. أنا ومحمد كنا نروح مع بعض. بس بعدين بطلنا. حاسة بجفاف عاطفي فظيع. حاسة قلبي بشبه الأرض المشققة اللي ببرامج الاطفال.

***

هاي العصبية الكتيرة بتزعجني. ومزاجي الغريب. مرات بكون أضحك. مرات صوتي عالي. مرات مش قادرة أحكي. مرات دموع ومناحة. أبشع شي العصبية. بكرهها وبكره العصبيين. صرت أحس رح أنجن. سألت صاحبتي الصيدلانية. أعطتني دوا بجنن. بس كأنه بينعسني. بحس إني ما بقدر أصرخ. في شي بيخرسني. وهو المطلوب. لأني انجنيت. هديك اليوم صرخت بامي. لأنه حكت لي يا حبيبتي يما الله يعينك. لأنها متعاطفة معي زعلت. كرهت حالي. أصلًا ما بحب أطلع ولادي على مكان. بس كانت العزومة إلنا ومحمد أصر آخذهم. وما إجا.

عاد أنا من زمان ما زعلت إمي. أصلًا بطلت أشكي لها. كنت زمان أشكي لها. بس من يوم ما تعبت. خفت كثير أفقدها. ندمت على كل شكواتي إلها. ندمت إني كل ما كنت أشوفها كنت أشكي لها. وما أحكي لها قديش بحبها. من يومها ما بشكي لها. بشكي لدفتري بس. كل يوم في مكالماتنا اليومية بلقى لي كذبة جديدة. يا الله يا ماما محمد شو بحبني وشو صاير حنون. يا الله شو مرتاحة مع الصغار. يا الله شو مش ناقصنا شي. بس أنا فعليًا نفسي أشكي لها. نفسي أبكي على رجليها زي

زمان، وتصير تلعب بشعراتي و تغير السيرة، وتقول لي "والله جوزك إيده فيها بركة، من يوم ما صار يقص لك أطراف شعرك وشعرك كثير تحسن"

****

بطلت أصلي

صرت أخس شو الفايدة وأنا من جوا أبشع بكتير

يعني شو راح تغفر لي هالصلاة لتغفر

كلي بشاعة

وبرضه زعلانة من حالي

بس الشيطان قوي يمكن

بسمع الأذان، وبضل صافنة، وأشاور حالي

عمري ما كنت هيك، ولاعمري هيك حسبتها، كنت أعتبر الواحد لو بيزني المهم يصلي

محمد رش عطر اليوم، من عطره المقرف

بس ليش رش يا ترى.

هيو نام.

عاد كنت متأملة بشي.

***

اليوم أختي أخذتني على السينما، كان كل تفكيري طالما إني مش أنا اللي دافعة مش مضطره أكمَل هالتفاهة، وفرصة أعمل اشي نفسي فيه وأطلع بدون ما افكر متل لما بكمل وجبة جاهزة لأنه حقها مصاري، لكن محاولتها بسحبي من حالة غبية حاطة حالي فيها حبيتها منها كتير، أكثر مني إن انبسطت او لأ، لقيت، حلو حد يهتم فيك، وتذكرت أول مرة دخلت فيها السينما، مع محمد، أخذني على فلم رومانسي، الرهينة، وحكى لي إنه هو كمان أول مرة، كان متعود عافلام وسط البلد بس، وقتها كنت بريئة، بالرغم من براءتي بس كنت بفكر إنه بالسينما لازم محمد يبوسني أو يمسك إيدي متل الأفلام، بس طلع مش بالضرورة.

واعترفت لمحمد يومها إني بالعادة بالمدرجات متل مدرج العسكرية بالجامعة كان يخطر عبالي أكون رقاصة، أوقف على هاي منصة العسكري وأرقص وأنط عالطاولات وأخرب المحاضرة وأخليها مسخرة، والكل يتفاعل معي، كتير تخيلت هالشي، يمكن كل محاضرات الثقافة كان هاد الشي الوحيد المسيطر على أفكاري.

***

جاي على بالي أعترف. بكل شي عملته. بعترف إنه لما جارنا شكى لمحمد إني تافه باتجاه العين السخريه تاعتهم. قلت كزاب. بس أنا الكزابة. بس ليش مرته بتبَع لي كل ما بطلع وبنزل. حبيت أخليها تحرَم. وبعترف اني جد بحب محمد. بحبه مع إنه عكسي تماماااا. ولو حكى لي كلمة حلوة بيعوضني عن شغلات كتير بحسها ناقصاني. ولما بكون منيح معي نتفه. بحس إني بموت فيه. وبخرب كل مبادئي بالجكر والعناد وبصير منيييحه. بس سريعًا ما أندم.

تسع سنين وأنا أقول له بعيد زواجنا عادي لو ما جبت هدية. بس قلي إنه حياتك معي حلوة أو شي بيشبه هالحكي. وبررررضه بجيب هالحاجة الرخيصة وبزتها عالتسريحة. طبعًا بعرفها قبل ما أفتحها. عطر تقليد بخزي وبقول لي:

- عجبك ؟ والله هالمرة استغليت!!

- طبعًا عجبني بجنن. أصلًا هاد نفسي فيه من زمان كيف خطر لك تجيبه بالذات؟

وبس يشم ريحة حلوة بقلي هاد منه. بقله آه.

***

اليوم اكتشفت إنه محمد بيحب بنت.

تأكدت.

بس عن جد ما إلي نفس اقرأ شو بيحكوا.

الأهم إني ما بفهم تصرفات هالبني ادم.

أنا اه جواتي بحبه.

بس أنا هلأ بكرهه.

كنت أضل أحضر طارق الحبيب.

بحيه.

أي شي بيخطر لي

أنام وهو صوته بيحكي

بس لقيته كلب والله

كمان هو مع الرجل.

****

بدي فلوس

نفسي أحكيها ألف مرة

بدي فلوس

بدي فلوس
محتاجة فلوس
نفسي بأشياء
بفكر أتطلق وبتكون التالتة
ثابتة
وأترك الأولاد لمحمد
ما بدي ياهم
ولا بدي منه شي
ولا من البيت
حتى بنتي بديش ياها
كنت خايفة عليها من الوحدة
هلا فش اشي أخاف منه
حكتله إن عندك حبيبة تقبل بولادك
لا تتردد
وأنا صادقة
يا ريت
بس أنا كمان بدي واحدة تنتبه لهم
الله بيعلم شو تعبت فيهم
بديش ينهانوا
لكن إلهم الله.

***

مبارح رحت أجيب للبنات أواعي العيد. وهناك ألقى الشي المقرف ب35 أقل شي.

مع شوية إضافات لحقت الخمسين.
قلت يا بنت جيبي لحالك بهالخمسين.
كنت شايفة فستان عاللعبة. ما كنت أحلم أقيسه مجرد قياس
كنت وأنا بتفرج عليه أحس المعنى الحقيقي للنقص والفقر ونفسي فيه
أحس انه طيب ألمس بس
قلت خلص يا بنت لازم الواحد يغامر مرة بهالعمر
شو هالحياه كلها شم ولا تدوق

بس اللي ما كنت أتوقعه، إني أكون زلمة وأشتريه
بيجنن
ياويلي
بس قسته حسيت إني الأميرة
ليدي ليدي ما أروعها
حسيت كيف الساحرة ببرامج الأطفال بس تؤمر عصاتها والدنيا تتلوّن
حسيت كل الأبيض والأسود اللي بشوفه صار ألوان
حسيت نفسي أكل كتيييير
نفسي أركض
نفسي أضحك بصوت عالي
نفسي أبوس ولادي
نفسي أقول لابني آسفة
مؤخرًا ضربته كتير
ااااخ
من مبارح وأنا حابة الحياة كلها،
صح مابنلبس غير بعرس ولحد مقرررب ومرة وحدة،
وحقه ثمانين دينار وأنا أولى فيهن، وبحقه بحرر فلسطين و بنهي المجاعات بالصومال، بس مبسوطة إني تحديت حرصي، تمردت،
إلي يومين بحب ولادي
بحب بيتي
من فترة صرت خلص ما نفسي أفوت البيت
ما نفسي بولادي نفسي أموتهم
طلع الحل بسيييط
وجبته ألوان طول عمري بقرف منها
برضه هيك
تحدي
يعني الظاهر إني بلشت أحس اني كبرت وحابة أصغر
بعمري ما لبست أحمر
لما أقيسه بكون سيرين عبد النور
لالا فشرت حتى

يعني لو ما منه ولا فايدة، هو كفيل إنه يجلط حماتي
جلطه نهائية وقاتلة
وخلي محمد يحكي مع بنات،
المهم إنه ما راح أخلي شي يكدر صفوي
والله صفوي مسكين هاد، كان كتير متكدر طول الفترة الماضية
كل شوي بروح بضمة وببوسة
اااخ ما أحلى الفلوس.

***

مخنوقة
مليش نفس أحكي. بس حابة أجرب إني أحكي بس أكون بديش أحكي مع حد.
إلي فترة بحس إني مثلي متل الناس
بس أول ما تخلص الفلوس
برجع
أصحى مقهورة
برجع عايفة العالم
برجع نفسي أموت
متدااااايقة
برجع أتطلع على كل واحد واقول بقلبي اشمعنا. اشمعنا هاي صارت ختيارة وزوجها بوصلها ببكم الصبح
ما تعبت متل هالناس ما بتستاهل حياة أحسن
وبرجع بقول لحالي وأنا مااالي
بس خلص أكتر شي بيشغل تفكيري وأنا متدايقة إنه وين العدل
هدول الناس قنوعين يمكن
عقولة أمي
بس أزورك لو إنك مش بنتي بحسدك. بحسك سعيييدة وغنية وكلك شباب.
القناعة كنز ياريت كل خواتك بعقلك
أخت خواتي
وأخت الناس
أخت عقلي
الله يلعن كل الناس

وأنا بكون رح أنجلط وأنا بشتري لتر البيبسي
مش طايقة حد
بديش حد يا عمي
بديش أطلع من الدار
بديش حد يرن علي
بديش أحضر مناسبات
مرات بحس نفسي أخبط راسي بالحيطان
الحياة حمارة مسخرة.
بتضحك
وأهالينا هلكونا
أدرس تنجح
لكل مجتهد ^&^
ول عليهم ما أكذبهم
كلو بيكذب
حماتك متل إمك. مرة كبيرة وقال أنا اللي صدقت وعشت الدور
والله إن ما جلطتها ما يكون اسمي إيمان
ما أغباني
ليش كاينة أسكت لها
مشان شو
شو يجبرني
عن جد أنا كاينة حمارة
طيب أنا لو بدي أجننها بقدر طبعًا
مين يمنعني
وخلللي محمد يزعل
ويحترق مثلا هو وصاحبته
جد إني غبية
ما كنت أعرف اني غبية لهالدرجة
عمري ما شفت الأمور متل هلا ولا عمري هيك حسبتها
شغلات كتير مدايقاني. كتير. وفي أشياء مش عارفاها. مش فاهمة حالي.

***

أنا مش صعبة. بس هو ما بسمع. نفسي يوم أحكي له.
إنه نفسي يحترمني
وما يهملني
وما ينتقدني
وما يستفزني
ويجيب فلوس
وينام معي
ويبطل تافه.
***
من الأشياء اللي بتريحني، إني أروح أنام في تخت بنتي.
وأصحيها
تحكيلي قصة
قصصها حلوة
البنت هاي معجزة
ما بتشبه الاطفال بشي
هي إمي مش أنا إمها.
بتضمني بحناااان
بتجنن
من ما إجت عالدنيا وهي ملازماني بكككك مكان عفكرة شي حلو
يعني مش سهل تلقى رفيق لكل تفاصيلك
حتى الزوج والزوجة ما بكونوا سوا على طول
أما هي صارت تفهمني أكثر مني
تعرف كل شي
حتى بس تطلع بالسيارة مباشرة تشيل سي دي القرآن من ورا محمد
وتحط لي على أغنية خمسة.
ربابة
بتقعد مؤدبة ورا وتفتح الشباك بس قد ما مسموح لها
بستغرب كيف محمد بس ترافقه بيتهاوشوا وبتجننوا وبيروح مسعور
هالبنت نسمة
مرات بتخيل

هاي بكره تتزوج تيجي تشكي
شو شعوري؟
مش حرام
الواحد قديش بيحب بنته
بالاخر تروح تتبهدل ببيت كلب حمار
ليش
لأنه نصيب.
اليوم شفت شو في موبايل محمد.
بتبعت له صور عريانة البنت.
اه أنا بتفهّم إنه يدردش وإنه يراهق بعد الخمسة وتلاتين إنه شغله مختلط وإنه الدنيا تغيرت بس مخي سكَر
ما طلع معي شي
غير إنه بدي أروح على بيت أهلي وما أرجع.
بس مالي نفس أروح على بيت أهلي
بيتهم مليان بشر هلأ
جيت على مطعم آكل لحالي
يعني
بالنهاية هاي البنت مش عايشة معانا
هو بيحكي معها أكيد بموضوع واحد
وبيفرغ مشاعره معها
بس
باقي الحياة؟؟
والله الحرد منيح وحلو
بس هالكتاكيت
عقولة حماتي، ما انتي ما تعبت فيهن ليش خايفه عليهم؟
والله اللي حملت بواحد تعبت أكتر منك.
ال*&*&*^ كأنها كاينة جواي وعارفة تعبت ولا لأ
لما شفت الصور انقهرت
بس هلأ رقت
وحاسة إنه عادي

وغير هيك بكونش عادي
بس اللي مش متقبلته
إنه طيب مشاعره لأولاده متلا وين بتروح كمان؟
الحياة اليومية. العيد. الزفت. يعني كل شي
كيف بتغيّب عن باله كمان؟
انداري
في قبالي واحد ومرته هلكته وهي تصوره
وهو مخنث على الآخر.
أكل القطايفة على عشرين لقمة
ومسح تمه بالفاينة سبعين مرة
وبتغمّى وبسبَل
يا حوينة شبابه
هدول الناس مثلًا
كيف متفاهمين
نفسي أعرف
كيف الناس بتمشي حياتها
بصحوا كل يوم متل كل يوم. مندفعين. يعني شو بخليهم إلهم نفس يعيشوا نهارهم
هاي أول مرة باجي هون. وراح تكون آخر مرة.
بصراحة ما إنبسطت
فش شي بيشدني لشي
بس فستاني اللي بشدني للدنيا. والله.

***

ناموا كل الناس.
حدا سامع هذا الصوت غيري؟
هاي بنتي الصغيرة.
لسه بتعيط
من أكتر من تلات ساعات
آه يمكن بدها تموت
بفكر لو ماتت رح ازعل؟

الكل نام
وأنا تعبت
خليها تعيط
بترجع تسكت
صوتها أبدًا مش مزعجني
مش عم يستفزني ولا يجنني
أولادي ما خربوا لي حياتي
أنا. بقدر عادي
وجودهم حلو عادي
مش هم سبب علاقتي السيئة مع محمد
أنا بحب الأطفال
مش هم سبب كرهي للطلعات وللجمعات وللناس
أنا مو متعودة عالهدوء
ولا بواجه مشكلة بالتأقلم على الإزعاج
ولا بيتي بطل نضيف متل أول
ولا حياتي تخربطت
ولا كرهت كل أطفال العالم
ولابفكر أشرب كلور
ولا أهج
عادي
كل شي عادي
محمد بيحب.
عادي
أصلًا من أول شو مانعه يحب؟
مش إنه بحبني
ولا إنه بحترمني
بس هاد إطار الواحد برسمه لحاله
إنه أنا بحب محمد فما بخونه.
محمد بحبني فما بخوني
بس بيتسلى

وإنت عادي خدي شوية حرية
مساحة مسموحة
احنا بنضل بهالمساحة من باب الاحترام
وتمثيل الزواج السعيد
متى ما كشفنا هالقناعين
ما في داعي للمجاملات خلص
أخيرًا تحرر
أنا بقبل يحكي مع بنات حتى ما تكون غصب عني.
وتكون غصب عني. عادي.
مرات بسأل حالي
محمد شو بيتخيلني؟
بس أنا ليش بحكي عن محمد كتير
يعني أنا شو مزعلني بالزبط
الولاد ولا محمد؟
الفلوس ولا شو
يعني بس هيك الحياة؟؟
فش اشي تاني؟
يعني شو اللي بعده؟
شو لازم أستنى؟
آه في أشياء حلوة متل إنه تمددت الإجازات كمان أسبوع
الكل انبسط.
حتى أنا حكيت لقلبي إني مبسوطة.
أنا مبسوطة.
صوت البنت خف على فكرة
هلا بتشهق بس
معقول رح تموت؟
بظل أتخيل أشياء غريبة
بحس إنه أنا راح أموت
أو راح تكون موتتي بشعة
أو بفضيحة

معقول خلص محمد صار يكرهني
لا يبحبني، لا بكرهني،
أنا بديت أكسب فلوس، تعلمت التجارة،
وبلشت أتعلم البيع بفستاني. بعته بخمسين دينار،
أصلًا شو بدي فيه خلص مو لبسته
مش مبروك عاللي أخدته
بخست حقه
بطلت أدخن خلص
مابدي أدخن عشان ما أموت بسرطان الرئة
بلاش يقولوا ماتت من كتر ما كانت تدخن. ماهي طول حياتها عقلها خفيف الله يرحمها.
لسه سرطان الثدي أهون. على الأقل بقولوا مهي ما كانت ترضع ولادها. يا حرام كانت هالكه زوجها تكاليف حليب صناعي
طول عمرها نايطة
مرات بحكي لك عشان أفش قلبي،
ومرات لإنه بدي أحكي وبس
ومرات لإنه محتاجه أحكي والحكي حاسيته ضرورة
ومرات فراغ
ومرات ضغط
ومرات لأنك أنت
ومرات لأنك أي حد
مرات بحب تطنشني
ومرات بستنى منك رد
مرات بيعجبني ردك.
ومرات بيكون غير متوقع وبقول بقلبي لو إنه ما ردّ.
سكتت البنت تقريبًا.
بس عادي ما فرحت.
ولو ترجع تبكي كمان مارح أزعل.
خلص خلصت.
أصلًا خلص الحكي.

ما تسمعه الوسائد

كل يوم وأنا مروح من الشغل بالباص بصير أتطلع في عمّان. لمين هاي المدينة؟ مين بناها؟ لمين هاي البنايات الكبيرة؟ ولمين هاي السيارات الفخمة؟ من وين الناس هاي جابت فلوس هيك؟

يعني أنا عملت زي ما الكتاب حكى. درست وتخرجت واشتغلت. بس مش شايف إنه ممكن يكون معي في يوم فلوس إني أبني بناية. أو أشتري شقة حتى أو أجيب سيارة. معقول كلهم حرامية؟ أكيد لأ!! طيب كيف صار هيك؟ هو يا ترى الوطن كثير غالي ولا أنا اللي كثير رخيص؟

بتخوفني هاي المدينة. بترعبني. أنا أصغر منها. أصغر منها بكثير.

***

كل مرة بحكي فيها الله يرحمك يا أبوي. بكون قصدي الله يسامحك يا أبوي.

***

بحبش الناس يزورونا. بحس لازم دايمًا أظل شاغلة عيونهم. لأنه لو غبت شوي راح يتطلعوا على البيت ويشوفوا كل شي. راح يشوفوا الدهان المقبع. الكنبايات القديمة. وكل شي بخجل منه. بحبش حدا يزورنا.

***

حياتي في الجامعة عبارة عن شغلتين. الأولى شعور بالذنب لأني بضيع فلوس أهلي وبحمل مواد. والثانية إني بحاول أهرب من الأولى.

***

كثير بشوف في المنام إني بلاقي مصاري على الأرض. رزم رزم. أوراق وألوان مختلفة. كل ما بمشي بلاقي شوي. وبكون ألم فيهم بدون ما أعد. بس بكوم وبحط في جيبتي. ظل سعيد لواقع غير سعيد.

***

بتطلع على هالمدينة بالليل. بشوف شبابيك كتير مضوية، وقريبة. طيب ورا كل هاي الشبابيك ما في شاب وحيد لبنت وحيدة مثلي؟ شو هالحواجز اللي بتفصل الناس الوحيدين عن بعض؟ مش متخيلة الموضوع كيف بكون قريب وبعيد هيك، سهل وممتنع هيك، حلو ومر هيك. بس هو هيك.

***

لو كنت حيوان يمكن راح أختار أكون كلب. عشان أروح عند بيوت الناس اللئيمين اللي بسموا بدن الناس، وأستناهم بس يطلعوا الصبح على الشغل، أركض عليهم من ورا وأعضهم.

عندي ميل فطري لتصديق الناس، مع أنه في كثير مرات بكون 99% متأكد إنهم بكذبوا، ومع هيك بظل أفكر باحتمال ال 1% إنهم صادقين. ومع إنه هذا التصرف ممكن يخسرك كثير أشياء، إلا إنه من الصعب جدًا تحكي لواحد بوجهه إنه كذاب. أتوقع إنه روح الإنسان ما بتتحمل تعرف كل الحقائق السيئة، وهذا هو السر الإلهي في عجز الإنسان عن المعرفة الكاملة أو اليقين. يمكن ربنا بحمي عقولنا وأرواحنا في النهاية، عشان نقدر نتصور الكون، ونتخيله، بصورة مخففة نوعًا ما عن حقيقته.

***

مرات كثير بحس إنه مرتي مش مبسوطة معي كزوج، بعرف إني بالسرير ما ببسطها زي ما هي بتتوقع، وهذا الشي بوكل قلبي من جوا، هي ما بتبين، ولا عمرها حكت، بس أنا عارف، ومع هيك مش قادر أسألها، مجرد التفكير في احتمالات الإجابة قاتل، كل ما بسرح فيها ما يكون بفكر إلا بشو هي بتفكر، ومش عارف أحدد شعوري، غيرة مع غضب مع انكسار مع يأس، خليط سيئ، ولما تسألني مالك ما بعرف شو أحكي، بصفن فيها شوي وبقولها بحبك.

***

علاقتي مع إمي عمرها ما كانت كويسة، في شي واقف بيننا، غضب مكبوت يمكن من الطرفين، شيء مش عارفين نعبر عنه، أو مش قادرين، أو متفقين بشكل ضمني إنا ما نحكي فيه، في نفس اليوم اللي ماتت فيه تزاعلنا، بس ما حدا بعرف.

قالت لي بالحرف "قلبي مش راضي عنك". وبعد ساعتين ماتت. لسه بسمعها بتحكي نفس الجملة، من عشر سنين.

***

عندي هواية غريبة إني أتخيل الناس بدون أواعي، تصور بدائي للسعادة. ومرات براهن حالي على أشياء، بس لأنه التحقق منها صعب فما بفوز بالرهان، وأصلًا الرهان حرام.

***

أنا ما بشكل جزء من حياة أي بني آدم. ناس كثير بعرفوا اسمي وشكلي، بس فش حدا مهتم إنه يعرف شي أبعد من هيك. اسم عيلتي مثلًا. أسماء خواتي. شو أبوي بشتغل. شو بحب. شو بكره. مش واصلة مرحلة أكون مهمة لأي إنسان حتى يتجاوز هذا الحد. أو يعرف عني أكثر من اسمي.

***

دايمًا في كلام عن هذا الشخص اللي مؤهلاته مثل مؤهلاتك ووضعه شبيه بوضعك ومع هيك هو نجح نجاح ساحق بفكرة غريبة. كان ممكن أنت تعملها مثلا. بس ما عملتها. . ودايمًا بتكون هاي الفكرة بتنفع مرة واحدة بس. بضحك الموضوع. بضحك بطريقة ما بتضحك.

***

واصل لعمر محير. لا أنت كبير عشان تعقل. ولا صغير عشان تلعب.

نفسي علاقتي مع ربنا تتجاوز مرحلة هات وخذ. نفسي أكسر هذا الارتباط الشرطي بين الرزق والعبادة.

***

زمان كنت أنام تعبانة أصحى مرتاحة. هلأ بنام تعبانة بصحى تعبانة. كان الوجع يروح وأنا نايمة. يختفي. كأنه حدا مسحه. يمكن الله كان يطيب قلبي بالليل. كان.

***

مشاكلي فعليًا ما بتنحل، بس بتركب فوقها مشاكل جديدة، فبتبطل تبين، إشي هيك زي طبقات كيكة النسكافيه، بس مش زاكي.

***

بحبش قرايبنا الأغنيا، بحبش أشوفهم يضحكوا أو يلعبوا ولادهم، وبحبش كتير أشوفهم يصلوا، يمكن لأن الله لازم يكون رب الفقرا بس.

***

الساوند كلاود هو أكثر حدا بحكي معي، وبسمع له، بس مشكلته بسمعنيش.

***

كل مرة بطلع جنب زلمة في السرفيس بكون خايفة يتحرش في، وكل ما حدا يتحرش في، بقرر أبهدله، بس بخاف وبسكت، بعدين يقرر أنزل ما السرفيس وأركب واحد تاني، بس ما بكون معي فلوس، وبسكت، فبعترض على الموضوع بدموعي، وذلك أخذل الخذلان.

***

بكره الناس اللي بظلوا يحكوا إنهم بموتوا في دباديب فلسطين، هذا الحب الزائف المجاني، بتخيل فلسطين وهي بتسمع هذا الكلام بكون شكلها زي عبلة كامل، متربعة وحاطة إيدها على خدها.

***

اليوم كملت 15 سنة من العنوسة الزوجية، وكيكة وشمع وهدايا، تجربة طويلة مليئة باللاشيء، غريب كيف ممكن عمر يمتلئ باللاشيء.

والمشكلة صعب إني أتزوج، لأني مش مفكرة أبدًا أترك له الولاد.

***

كل مرة بطلع فيها بالباص، بتزوج على أقل تقدير بنتين ثلاثة من القاعدين بالباص، وبحب أنوع، سمرا، شقرا، طويلة، نحيفة، بس ما بطلع عن أربعة، عشان الشرع، وغالبًا أول ما نوصل آخر موقف بطلقهم كلهم، إلا لو واحدة نزلت في نص الطريق، نصيبها ما تكمل.

***

في إشي بالاقتصاد اسمه سلع ارتكازية، لو ارتفعت برتفع كل شي، ولو نزلت بنزل كل شي، زي السكر والنفط والأراضي وهيك، في جوا عقلي كمان أفكار ارتكازية، لو كانت صح بكون الباقي صح، ولو غلط بكون الباقي غلط، ويمكن أهم فكرة ارتكازية في حياتي إني مش لحالي، دايمًا بفكر إنه أنا مش لحالي، ومع إنه في كثير دلائل إنها هاي فكرة خطأ، إلا إني مش راضي أغيرها، في كثير أفكار مرتكزة عليها وراح توقع لو تغيرت هاي الفكرة، كل شي تقريبًا راح يوقع.

***

نفسي أفهم الناس اللي بعرفوا كيف يحكوا، وين تعلموا كيف يحكوا.

أرابسك

لو حدث في يوم عزيزي القارئ، إنه الحظ ابتسم لك والتقينا سوا، فالأفضل يكون معك قلم وورقة وكاميرا ومسجل، عشان توثق هذا اللقاء التاريخي باليوم والساعة والصوت والصورة، لسبب بسيط جدًا، ألا وهو كوني إنسان مميز، نادر الوجود، ولا أحدث كل يوم على رأي الأمريكان، وبلغة التشبيه والبلاغة، فأنا وبكل فخر، فريد عصري ووحيد زماني.

وهذا التميز عزيزي القارئ وعزيزتي القارئة، مش سببه الشامة الدائرية الموجودة في منتصف المسافة بين حواجبي، ولا من كون رجلي واحدة أطول من الثانية، ولا أيضًا من امتلاكي وحمة على شكل نجمة في مكان حساس، (الله يسامح المرضات اللي ضحكوا عالموضوع زمان ونادوا بعض يتفرجوا)، هاي كلها أمور ثانوية، تميزي الحقيقي ينبع من كوني الابن الوحيد لولي الله الصالح عمر باشا دبش، والوريث الشرعي لطريقته الدبشية، وقبل ما أحكي عن أبوي وطريقته اللي لا شك إنك في فضول لمعرفتها، خليني بداية أحكي عن بداياتي على هذا الكوكب، فأغمض عينيك، لنسافر.

في ليلة باردة من ليالي شتاء عام 1985، وبالتحديد في تمام العاشرة مساء ليلة الأحد 20 يناير، وفي الوقت اللي كانوا الأمريكان فيه بغنوا careless whisper و بحتفلوا بتنصيب رونالد ريجان، وأوروبا كانت بتشرب بيرة وبتشوف باولو مالديني في المستطيل الأخضر لأول مرة، كان سكان عمّان بدورهم بستعدوا يدخلوا تحت اللحافات، كانوا خلصوا نشرة الأخبار، شافوا المسلسل اليومي المصري، وصرفوا نظر عن برنامج الندوة الثقافية اللي بتناقش سيطرة الأنظمة الدكتاتورية على وسائل الإعلام الحكومية في دول الكاريبي، فطفوا الأضوية، سكروا الأبواب، و جهزوا كل الطقوس للبدء في أحلام سعيدة.

في نفس الليلة، وفي شارع فرعي هادي في جبل الزهور، في الشقة الأخيرة في بناية بتحتل الركن البعيد الهادي في الشارع، كان في شباك لسه مضوي، ورا هذا الشباك كانت وجدان الشايب قاعدة بتبكي، كانت هديك الليلة أخر ليلة لوجدان

الشايب مع زوجها، لأنه ثاني يوم كان لازم يسافر على ليبيا يشتغل هناك. وكون رب العالمين ما كان أعطاهم أطفال لسه. كان فراقهم عن بعض بعد عشر سنين زواج، شيء أصعب من الاحتمال، ولمواجهة هذا الألم. ويمكن بتأثير من الأجواء الشتائية الليلية اللي بستثير ضعف الإنسان ووحدته. ويمكن بتأثير من حاجة الإنسان للالتصاق الأخير في الناس اللي بحبهم كترياق ضد السفر. ودعوا الزوجين بعض بليلة حب دافئة. اختلط فيها الحزن بالرغبة بالحب بالألم بالخوف بالدموع. ثمرة تلك الخلطة السحرية في تلك الليلة السحرية كانت أنا.

بحسب الروايات والأسانيد المتصلة من ختيارة لختيارة. فبعد سفر والدي لليبيا. ووصوله للعمل هناك في شركة مقاولات ضخمة بتشتغل لحساب الجيش الليبي العتيد. كانت مكالماته للأهل في عمان منتظمة وأسبوعية. لكن بعد عدة أشهر. بدأت المكالمات تتباعد. وفي مكالمته اللي عرف فيها عن حمل زوجته. كانت تعليقه بعد ضحكة طويلة. "الله غالب يا وجدان. لو إجا ولد سميه غالب. " وكانت هاي مكالمته الأخيرة اللي اختفى عمر دبش بعدها.

ومر على هذه المكالمة خمس سنوات تقريبًا. في هاي الخمس سنوات. كانت صارت أحداث كثير في حياتي الصغيرة وفي الدنيا من حوالي. في الوقت اللي أخذني فيه سيدي أبو معروف عند المطهر. كانوا الإسلاميين في مصر بطالبوا روجيه غارودي وهو في السبعين إنه يتطهر (كدليل على حسن إسلامه). ولما بدأ ليالي الحلمية. بدأت أكل خبز. ومع فك الارتباط. كان الشيخ هلال إمام الجامع (لغاية في نفس هلال) بحاول يقنع إمي إنه بعد أربع سنوات وأربع أشهر تعتبر طالق على مذهب الإمام أبو حنيفة. مذهب. وشهر ورا شهر كان الأمل في رجعة أبوي يطلع من قلب إمي شوي شوي. ويحل محله الهم والحزن حتى احتل قلبها تمامًا. ومع احتلال الكويت. كنا تركنا شقتنا ورحنا سكنا عند بيت سيدي لإمي. هو بنفس الحارة البيت. بس كان أكبر وأحسن من بيتنا. مستقل. وطابق واحد. فيه غرف كثير. ومعه حديقة كبيرة. من عتبات هذا البيت رحت على المدرسة لأول مرة. وليه يا زمان ما سبتناش أبريا.

طبعا الارتباط الشرطي في أذهان الناس بين اليتم والطفولة المعذبة هو ارتباط خاطئ. هذا مجرد تأثير جانبي لقراءة حكايات تشارلز ديكنز. لكن بالحقيقة مش موجود. في حالتي مثلًا. عشت طفولة بمجملها رائعة. صحيح مرات كان شعور اليتم ييجي مركز وموجع. خصوصًا في اللقطات اللي بتستوجب وجود الأب. زي يوم

العيد، ويوم تسليم الشهادة وأيام ثانية. بس غير هيك كان الموضوع ماشي. وساعد على هذا الشي شغلتين، الأولى هي فكرة إنه أبوي مش ميت فعليًا أو يقينيًا، هو بس مسافر سفرة طويلة. وفي أمل لو بسيط إنه يرجع. والثاني وهو الأهم هو وجود القطبين المتناقضين اللي شكلوا طفولتي. خالي تيسير وسيدي أبو معروف.

سيدي أبو معروف كان الجزار الأشهر في جبل الزهور. رجل في الخمسينات. قصير نوعا ما. لكن عريض وقوي الجثة. شوارب كثيفة. شعر صدر كثيف. . عيون جاحظة. زنود مليانة. صوت جهوري. يعني نسخة بالكربون عن تصورات المخرجين لشكل الجزار التقليدي، أما خالي تيسير فكان نسخة مختلفة تمامًا عن أبوه، كان في أول العشرين. طويل. نحيف. ضعيف البنية. مع وجه طفولي. نادرًا ما يحكي. وإذا حكى بحكي بهدوء وبطء شديدين. ولما يتوتر بصير يتأتئ ويتحرك بخطوات سريعة. و مع إنه الناس كانوا يحكوا عنه إنه مخبول. إلا اني كنت دايمًا أحس إنه مش هيك.

وبحسب القصة اللي روت لي إياها ستي – في مرحلة لاحقة - وهي بتبكي و بتحتسب. فنقطة التحول في حياة خالي تيسير من طفل ذكي لمجنون هي عقاب عاقبه إياه سيدي وعمره 14 سنة. سيدي أبو معروف كان يحمل لقب "أبو معروف" من قبل الزواج. لما تزوج ربنا رزقه ولدين وبنت. سمى الأول تيسير على اسم أبوه. والثاني سماه معروف. والثالثة هي والدتي وجدان.

كان حلم حياة سيدي إنه ولاده يطلعوا أقوياء وشجعان مثله. وشاطرين في المدرسة كمان. عشان هيك من وهم صغار وهو شديد جدًا عليهم. أي علامة في المدرسة تنقص يتعاقبوا عليها بشدة. وأي شي غلط يعملوه يتعاقبوا عليه. وحتى كان مرات يوخذهم معه على الملحمة عشان قلوبهم تقوى ويصيروا رجال على رأيه. لكن اللي صار كان مختلف نوعًا ما عن مخططاته. تيسير الكبير طلع شاطر في المدرسة. بس قلبه ضعيف وبخاف كثير. ومعروف طلع زي أبوه تقريبًا. شجاع وجريء وما بهمه شي. بس مش شاطر كثير في المدرسة. وفي الوقت اللي سيدي كان دايمًا يفخر بمعروف الصغير ويمدح فيه. كان يسخر من تيسير ويضربه. ومع هيك. . كان معروف من جهته ومع إنه أصغر من تيسير بسنة. متفهم خوف أخوه الكبير. ويحاول دايمًا يغطي عليه ويحميه.

في يوم الوقفة الحزينة زي ما بتسميها ستي، روح تيسير على البيت وكان في ولاد ضاربينه، ولما شافه سيدي، ما تحمل، ضربه هو كمان بوحشية، وكعقاب إله، ربطه مع خروف الأضحية على نفس الشجرة ورا البيت.

بعد ساعتين من الربط والتنبيه الشديد ما حدا يفكه. كانت الشمس بدت تغيب، والخوف والبكا عند تيسير وصلوا منتهاهم، وبدأ يصرخ بشكل هستيري، مع صراخه وبكاه، هاج الخروف وصار بده ينطح تيسير، معروف ما سمع كلام أبوه، وراح عشان يفك تيسير، قدر يفكه، بس الخروف كان ضخم، نطح معروف ووقعه على الأرض، النطحة بحد ذاتها ما كانت قاتلة، بس راسه لما وقع إجا على حجر، نزف شوي وفقد الوعي، . ثالث يوم العيد مات، وروت جارتنا الممرضة إنه كان وهو مغيب ينادي على تيسير.

تيسير بعدها قعد ست شهور ما يحكي ولا كلمة، ومن وقتها تغير واعتزل الناس، وبطل حتى يروح على المدرسة، وطبعًا ما حكى مع سيدي ولا سيدي حكى معه، كان كل واحد فيهم كان مفجوع بالثاني وبكرهه، وكبر تيسير وهم واصلين لتفاهم ضمني، إنهم عايشين مع بعض، وبكرهوا بعض، بس ما حدا بحكي مع الثاني، وإن كان تيسير صار عنده جرأة يعارض أبوه مرات بتأتأة غير مفهومة ونظرات غاضبة.

طبعا مع موت خالي معروف، واعتزال تيسير، جيت أنا لسيدي من السما كهدية ملفوفة في ورق سوليفان، مشروع جديد يطبق عليه نظرياته في التربية، معروف جديد، يثبت فيه خطأ تيسير، وبدأت الحياة السعيدة.

وإذا كان من الممكن غض النظر عن تحولي لخادم سيدي المطيع، وروح يا ولد، وتعال يا ولد، وخذ يا ولد، وجيب يا ولد، فمشكلتي الأساسية مع سيدي ما كانت هيك، المشكلة كانت التوقعات المتطرفة اللي بتوقعها مني، وبراهن الناس عليها، في كل امتحان كان لازم أجيب علامة كاملة، ويا ويلي يا سواد ليلي لو نقصت علامة، الأصول كلها لازم أعرفها، والأشياء لازم أتعلمها صح من أول مرة، ولو غلطت فيها من ثاني مرة بكون غبي وما بفهم، وطبعا العقاب الشديد حاضر، ولو عملت شي صح، هو بس اللي يفرح فيه ويورجيه للناس، أنا ما أقدر أفرح فيه، لأني عارف إنه وراه شي ثاني ما راح أجيبه كامل، فراح أتعاقب.

كنت ظل لغضبه وفرحه، انعكاس لرغباته، مش مهم أنا، المهم هو، كنت بالنسبة إله دمية متحركة بفاخر فيها الناس، "ابن بنتي بعمل هيك وأكثر، ابن بنتي

عمل، ابن بنتي سوّا". بس من جواي أبدًا ما كنت مبسوط. حتى وهو بضحك كنت أخاف منه. أصلًا ما كان لي وجود في حضرته. ما كنت أعرف مين أنا. أنا خوفي منه بس.

طبعًا هذا كان يكون لما يكون سيدي في البيت. وهي ساعات قليلة. بس عدا هيك. كنت طفل مبسوط. كنت أقعد مع ستي تحكي لي حكايا. أو مع خالي تيسير في الحاكورة نمسك فراش ونمل. أو مع إمي تهدهد علي وتعطيني حب وتحكي لي عن أبوي. بس أهم من كل هدول كانت آيات. بنت الحج عبد جارنا. هي اللي كانت مهونة علي العيشة عند هالشايب والله.

كانت آيات من عمري تقريبًا. بيتهم قبال بيتنا. وكنا مرات نلعب سوا. كانوا عيونها موج بحر أزرق. بياضها زبدة. وشعرها جدايل ذهب. وكانت نحيفة كثير وخفيفة كثير. مشيها على الأرض زي ما حدا بمشي على مي. كائن هيك زي ما حكى كونديرا "لا تحتمل خفته". . كنت جدًا أنبسط بس أشوفها. وهي الوحيدة اللي أخجل منها لو عملت شي غلط. وأنبسط بس أورجيها شي حلو.

وفي إجازة صيف صف رابع لما خبرني سيدي إني كبرت وبده يبدا يوخذني معه على الملحمة. كانت هي أول شي خطر في بالي. وانبسطت إنه آيات راح تشوفني زلمة وقوي. ومع إنه ال job description تبعي في الملحمة كان "شطف الأرضية وتلقي شلاليط من المدير". وما كان إله أي زي رسمي. إلا إني كنت أتعمد ألبس بلايز بيضا. وأحاول قدر الإمكان يجي عليها دم. لأنه وفي المرات القليلة اللي شافتني فيها وأنا مروح مع سيدي من الملحمة ببلوزتي الدموية. كانت تبتسم لي بفرح. وكنت أنا أمشي بخيلاء كأني ذابح 6 جمال والدليل الدم! أما لما ما كنت أشوفها. فكانت بهدلة ستي على توسيخ البلايز البيضا بالدم اللي ما بروح. تروح على الفاضي. بس اللي ما كنت عامل حسابه. إنه موضوع الملحمة طلع أكبر من البلوزة وأكبر من آيات.

بعد تدريب بسيط على أساسيات تقطيع اللحمة. اتضح إنه سيدي الجزار بدي إياني أذبح. وأنا للأمانة ما كان يرعبني الدم زي خالي تيسير مثلًا. بس مشهد الذبح نفسه ما كان مريح بالنسبة إلي. إنك تنهي حياة حيوان بالطريقة هاي. مخلوق مثلك. إله أخ وأخت وإم وأب وأبناء وجيران. ويمكن عنده آيات الخاصة فيه كمان. وبتيجي أنت و بتنهي كل هذا عشان بس توكل. وتقعد تتفرج عليه وهو

بنزف وأنت بتدخن سيجارة مثلًا. كان المشهد نفسه مرعب. بس رعبي من سيدي كان أكبر. وبديت مكرها إني أعمل كل شي حوالين الذبح. السلخ. التنظيف. بس الذبح نفسه لأ.

المهم إني داومت 6 شهور عند الذبح. ومع إني كنت أروح وبلايزي كلها دم. ما كنت مبسوط. وكنت قدر الإمكان أهرب من فكرة الذبح. لكن كنت كل ما أهرب منها أكثر. أشوفها في منامي أكثر. وأكثر من مرة. كنت أصحى من النوم مفزوع من كابوس عن جيش من الخرفان الغاضبة. واقفين على رجليهم الخلفية. ماسكين سكاكين. ولاحقيني. وإضطرني هذا الحلم إني أصحى قبل الفجر عدة مرات عشان أغير ملابسي الداخلية وأغسلها بدون ما حدا يشوف.

وبين هروبي من الذبح. وبين إصرار سيدي المصحوب بالكفوف والشلاليط وأوصاف مثل خرع وجبان. كان أقصى شي عملته هو إني مسكت السكينة. حطيتها على رقبة الخروف. وسيدي شد عليها وذبح. وأنا مغمض عيوني. بس هذا كان كافي لسيدي عشان يحكي إني تخرجت. حتى من فرحته يومها صرف للعمال عيدية. لأنه كان العيد على الأبواب. وروحوا وهم مبسوطين. وأنا كمان كنت مبسوط. بس غافل عن مخططاته.

كان يوم الوقفة الحزينة برضه. كنت مروح من عند صاحبي علي. وقبل ما أوصل البيت شفت آيات على البلكون لابسة قميص زهري ما يبلى. ولما شافتني ضحكت ودخلت. قلبي نط من مكانه. قلب تمرس في اللذات وهو فتى يا أخي. المهم دخلت البيت وأنا أترنم بأغنية "من بين ألف ضحكة وضحكة بعشق ضحكتك". بس أول ما دخلت كان واضح إنه الأجواء متوترة. فسكتت هاني شاكر اللي جواي. وتطلعت حوالي عشان أفهم شو صاير.

طبعًا بيت سيدي زي ما أسلفت كان كبير. خمس غرف يمكن. بس أهمهم غرفة القعدة. كانت غرفة حميمية جدًا. كبيرة شوي. مفتوحة من عدة جوانب. إلها واجهة زجاجية كاملة مطلة على الحديقة وبتدخل الشمس على الغرفة. عند الواجهة هاي في سرير أرابيسك لسيدي. هو قعدته الأساسية. واختياره للقيلولة. على يمين سرير الأرابسك كان في كنباية رمادية مريحة جدًا. هاي لستي. فوق الكنباية. كان في صورة على الحيط لسيدي وحواليه ولاده وهم صغار. خالي معروف وخالي تيسير. وواقفة جنبه ستي وجنبها إمي وهي صغيرة. جنب الكنباية الرمادية كان فيه كنباية حمرا طويلة. كانت تقعد عليها إمي. ومقابلهم. كرسيين.

إلي ولخالي تيسير. والغرفة كلها كانت مفروشة سجاد عجمي جميل، ومليانة تحف وشجر زينة.

لما دخلت الصالون، كان سيدي (كونه ما بصوم يوم عرفة) متمدد على سرير الأرابسك بحضر لقيلولة ما بعد الغدا. وكانت ستي على كنبايتها ماسكة المسبحة وبتستغفر. بينما إمي قاعدة على الكنباية الحمرا. جنبها عدة التطريز. بس حاطة إيدها على راسها، وخالي تيسير بمشي في الغرفة يمنة ويسارًا بسرعة في دائرة قطرها متر. وهو بحكي "بربربربر. " وهاي كانت تميمته لما يعصّب.

أول شي واجهني بس دخلت الغرفة هو فحيح سيدي وهو بحكي. "بكفي بربرة يا ولد!. فقعت مخي! انخرس بدي أنام!! " وخالي تيسير صار يمشي أسرع. وباتجاهات مختلفة. كان كأنه حبة بوشار في مقلاية"

وهون صرخ سيدي بفحيح الديناصور "إنطم ولا! صرت قد الشحط! وخايف من خروف!!! شوف ابن أختك هيه!! قد ربعك وما بخاف! وأحكي لك. عشان أورجيك إنه أرجل منك. بكره هو اللي راح يذبح الخروف" !!

هون اختلطت الأصوات في مخي أنا. كانت ستي بتحوقل، خالي تيسير ببربر. سيدي معصب وبسبسب، إمي بتحاول تقنع سيدي، وهاني شاكر لسه بغني جواي. بس كان حول على أغنية. "يا أم العيون حزينة". وبين كل هالأصوات. سمعت "مااااااااء".

كان سيدي جايب على البيت خروف أسود. أول خروف بدخل البيت من يوم خالي معروف، وطبعًا يمكن تسمية خروف فيها شوي ظلم لذلك الكائن أو عدم تقدير. لأنه مبدئيًا كان بطل كمال أجسام. وكان عنده لحية وشوارب، عريض المنكبين، رحب الذراعين، شلولخ يعني، فيل صغير بالمعنى الحرفي للكلمة. وزي ما سمعت بذانك عزيزي القارئ، كان لازم أنا اللي أذبح.

نام سيدي، ورجعت ستي للاستغفار الصامت. وفي الوقت اللي أخذت فيه إمي خالي تيسير جوا. طلعت أنا أشوف الخروف. أول ما شافني. حاول يهجم علي. بس من فضل الله وفضل الصناعة الألمانية. (ما كان صينية وقتها) كان الحبل قوي فما فلت. وحش كان. أول مرة كنت بشوف خروف شرس هيك. وبرغم خبرتي المتواضعة في شطف الملحمة وبلايزي الدموية إلا إني خفت منه. ووقفت قباله

أفكر في اللي راح يصير بكره، خصوصًا إنه معروف عن أبو معروف الشايب إنه ما برجع في كلمته.

ليلتها ناموا كلهم بدري، إلا خالي تيسير، ظل يبربر، بس كان يبربر على السطح لحاله، مكانه المفضل. أنا ما نمت بكير، قعدت في سريري وصرت أفكر، وأحاول أقنع حالي إنه عادي، بذبحه، شو كاين هو يعني؟ مهو سيدي حكى لي إنه ذبحة الخروف زي قص الخيارة، سهلة، بس أنت جرب، فأتشجع، وبس أرجع أتذكر شكل الخروف أخاف، وبين خوف وشجاعة غفيت.

ورأيت فيما يرى النائم، إني ماشي في طريق لحالي، بين جبلين، وراي سيدي ماسك سكينة، وبأمرني أمشي لقدام، وبس مشيت، لقيت هذا الخروف الأسود قدامي، أول ما شافني، وقف على رجليه الخلفيات، سحب سكينة من حزامه كأنه رشيد عساف، وحكى بصوت رشيد عساف كمان "بدك تقتلني؟، ورجيني مراجلك يا ولد "، وركض لعندي، وهون انا ما عرفت شو أسوي، سيدي من وراي وهذا قدامي، وقبل ما أعملها على حالي، لقيت سيدي بصحيني، "قوم يا ولد على صلاة العيد، يلا!، ورانا شغل" فحمدت ربي إني صحيت من مصيبة على مصيبة ثانية.

لبس سيدي دشداشة جديدة لصلاة العيد، دشداشة مغربية سودا جميلة وتعطر وعطر شواربه، ولبست أنا دشداشة زيها بس بيضا، ورحنا على الصلاة، ما سمعت شي من خطبة العيد، كنت بس أدعي بسرعة 70 اللهم في الدقيقة، إنه ربنا ينجيني من هالمصيبة، يموت الخروف مثلا، الملك يلغي العيد، وبنه الملك عن الشعب؟ يموت سيدي، أموت أنا، زلزال، بركان، أندعس، تقوم القيامة، أي شي، بس إنه أنفذ بجلدي، لكن للأسف ما زبط.

روحنا من صلاة العيد، وفي طريق التروبحة، شفنا الحاج عبد، كان مروح من الصلاة، وشفنا كمان جارنا أبو علاء الحلاق، وبحوار بسيط بينه وبين سيدي، حكى سيدي إنه السنة ما راح يذبح بإيده "ابن بنتي كبر وهو اللي راح يذبح، " والجملة اللطيفة هاي، خلت أبو علاء يحكي بفخر، "ما شاء الله، والله وعرفت تربي يا أبو معروف، يلا بذبح خروفنا إحنا كمان"، وأمن الشيخ عبد على كلامهم ب "ما شاء الله، ما شاء الله"

لما وصلنا البيت، طلب مني سيدي أروح أغير، لبست بنطلون وبلوزة وأنا أطرافي بترتعش، وبس طلعت بره، كان سيدي واقف، وماسك الخروف الأسود، أبو

علاء واقف، ومعه خروفهم الأبيض، وابن أبو علاء، وكان الحج عبد جاي ومعه محبوبة قلبي، آيات الله في ملكوته. . لابسة يانس صلاة على أساس كبرت، وجاي تشوف حبيبها البطل وهو بذبح، وجنبها إمها الحامل. وورا الجميع كانت ستي وإمي، الوحيد اللي كان مختفي خالي تيسير.

كنا عند باب البيت، كان فيه هيك منطقة مبلطة عند الباب وجنبها حنفية، مكان مناسب للذبح، مسك سيدي الخروف الأسود بقوة، وبطحه، بس كان يرافس بشكل كبير، فثبته سيدي منيح، وقال لي، "يلا يا ولد. . سم بالله " ومسكت السكينة، ونزلت على ركبتي عشان أذبح الخروف وهو بتطلع علي.

لما نروح عند ربنا في يوم، وسواء كنت في الجنة أو في النار، بدي أطلب منه أشوف فيديو هاي اللقطة، بس عشان أشوف التعابير على وجهي، لأني مبدأيًا متأكد إنه وجهي كان أزرق، وتحت ضغط العيون كلها اللي كانت علي، وخصوصًا نظرات سيدي اللي كانت بتحكي "لا تفضحني"، وابن أبو علاء اللي بلف حوالي كأني كوكب المشتري، حطيت السكينة على رقبة الخروف بإيد بترتعش، وغمضت عيوني وترجيت ربنا لمرة أخيرة في صدري إنه ينقذني، وقلت يا الله، واستجاب رب المستضعفين لعبده المسكين بأغرب طريقة ممكنة.

في أقل من ثانية، كنت بسمع صراخ مرة الحج عبد، وفجأة صراخ الحج عبد، بعدين صراخ سيدي، بعدين حسيت شلال مي بصب في ظهري، طبعًا ما ذبحت الخروف، اللي صار إنه خالي تيسير كاين طالع على السطح، وقبل الذبح بثانية بدا يرش مي بالبربيش من فوق السطح على كل الموجودين، رش مصحوب ببربرة، وفي وسط الهرج والمرج، وقبل ما حدا يفهم شو اللي صاير، كانوا الناس تغرقوا مي وبركضوا في كل اتجاه، والخروفين صاروا في الشارع.

الخروف الأسود مرق بين مرة الحج عبد وبنتها، وروت لستي بعدين إنه كان في احتمال كبير تسقّط، الخروف الأبيض خبط ابن أبو علاء، وقلبه عند التينة، وفي الوقت اللي كان الكل بصرخ على تيسير المخبول، كنت أنا وسيدي وأبو علاء والحج عبد بدينا عملية المطاردة.

في آخر الحارة، كان الحج عبد تعب تمامًا، كرشه كان هلكه، وقّف وحط ايديه على ركبه وصار يلهث، وحمد ربّه إنه اختار قرار إرسال الأضحية للصومال، فظلينا أنا وسيدي وأبو علاء وابنه، في أول نزول الزهور، تزحلق أبو علاء وانكسرت إجره.

وحملوه ولاد أبو نجيب الدكنجي عالمستشفى. حلفت إم علاء لستي بعدين إنه عملية رجله في المدينة الطبية كلفت 500 دينار، وإنه البراغي لهسه موجودين في رجله، والله يقطع الخرفان ويومهن.

في آخر نزول الزهور كنا أنا وسيدي وشاب من الحارة بس بنركض ورا الخروفين، لما وصلنا راس العين، كل خروف راح في اتجاه. خروف أبو علاء أخذ طريق الكسارات باتجاه حي نزال. وما حدا شافه بعد هداك اليوم، مع إنه ولاد أبو إسماعيل معلم المدرسة، حلفوا يمين لأبو علاء إنهم سمعوا صوته بمائي عند المقبرة. وبعد ما أعطاهم 10 ليرات كل مرة عشان يجيبوه لمدة خمس مرات، احتسب الخروف عند الله.

خروفنا بدوره شرّق باتجاه وسط البلد. مسكناه عند محلات السيراميك تبعت أبو غلوس، دخل طريق مسدود زي اللي في الحلم، وبعد شد وجذب ونطح ورفس، مسكه سيدي من قرونه، وروحناه معانا عالزهور بتكسي. وصلنا البيت في حالة يرثى لها، كانت دشداشة سيدي المغربية السودا مقطعة ومبهدلة. وشعره منكوش، ورجليه مجروحين، وبعد ما قدر يوخذ نفسه، بعد حوالي ساعتين، حلف إلا يذبح الخروف وتيسير بنفس السكين. . بس طبعًا تيسير وقتها كان هرب على بيت ناس بقربوا لستي، ورجع بعد شهر.

المسا ذبح سيدي الخروف، وما طلب حتى إني أساعده. وليلتها غمضت عيوني وأنا مبسوط. لما فتحتهم كانت فترة التسعينات انتهت. لكن خلافات سيدي وخالي، ومحاولات تأثيرهم علي ما انتهت، مع إنه سيدي كان نوعا ما يأس مني، ويأس من إنه يصبغني بصبغته كشاب قوي جريء، ومع إني ذبحت لحالي في مرحلة لاحقة، إلا إني ما رجعت على الملحمة. إمي قالت له ما بدي إبني لحام. خليه في دراسته. وسيدي ما اعترض، وكان لما ينسأل عني، يحكي "هذا خايب زي تيسير. الله يرحمك يا معروف". وخالي تيسير بحاول من جهته كان يلون حياتي ببهارات من الجنون، ومرت السنوات مثل الحلم، وانتهى القرن العشرين.

كانت بدأت ملهاة حرب الخليج، وشفت الصواريخ وهي بتنزل على بغداد. وحطينا لاصق على زجاج البيت عشان خايفين من كيماوي صدام، وبعد ما زعلنا أنا وسيدي لأنه ياسر عرفات سلم على رابين بدون ما يشوف الدم على ايديه، فرحنا لأنه البرازيل أخذت كأس العالم، ومع سيجار مونيكا لوينسكي دخلت عالم

المراهقة. بس هذا ما منع أتعاطف مع يحيى عياش ويكون بطلي المفضل. بطلي اللي بخجل منه لما أحاول أتطلع على جارتنا هيام بنظرات مراهق واللي زعلت عليه كثير لما استشهد. وبرغم إنه خالي تيسير كان يكره التنس ويحكي إنها رياضة طبقية. إلا إني كنت أحب مارتينا هينجز. وأتخيل إني أتزوجها لما أكبر وبس أتذكر آيات أبطل. . و مع إني كنت معلق صورة تشي غيفارا بالغرفة. إلا إني بكيت على الملك حسين لما مات. والشيب غزا مفرق شعر إمي. وآيات تحجبت.

ومع نهاية القرن العشرين. كنت وصلت الصف العاشر. مراهق مهزوز الشخصية هزيل الجسد عمره 15 سنة. حاير بين جده القاسي. والدته الحزينة. جدته المؤمنة. خاله الحكيم المجنون. حبيبته الملتزمة. وأبوه الغائب. وبين زحام الشخصيات المتناقضة هاي كلها. كنت بحاول أدور على شخصيتي.

كان جسمي بكبر صح. بس كنت طفل خايف من جوا. دايمًا خايف من شي. دايمًا بستنى شي. دايمًا حاسس إنه شي غلط ممكن يصير. مش عارف شو لازم أعمل في دنيتي. ولا وين راح أكون. ثقتي بنفسي معدومة. وأحلامي هزيلة. كنت بتحول شوي شوي لخالي تيسير. وعشان تكمل معي. في أول السنة في الصف العاشر. سافروا أهل آيات على الإمارات. أبوها الحج عبد طلع له إعارة يروح يدرس عربي ودين. وأخذ معه آيات وإمها. وإخوانها التوأم الثلاث اللي انولدوا بعد الوقفة الحزينة بشهر.

وفي يوم شتائي بشبه اليوم اللي تشكلت فيه. كان القدر برسم لي تغيير كبير ومنحنى جديد في حياتي. كانت آخر أيام الفصل الأول في الصف العاشر. وكنت مروح من مدرسة ذكور الزهور الثانوية. كانت الدنيا شهر 1. وكان الجو بارد وقاسي ومغيم. كان شتا قاسي سنتها. هذا الشتا اللي بخليك تحس بالضعف والحاجة للاختباء. الحاجة للاحتماء. برد بدون مطر. بس برد. بدخل جوا العظام والروح.

كانت الشوارع فاضية. وقبل ما أدخل شارع حارتنا. وعلى مفرق الشارع. طلع لي من تحت الأرض ثلاث أولاد. عبده أبو العدس. سلمان القصّ. وإسحاق الشبر. وهم بلغة أهل عمان. زعران صغار. لكن بالنسبة لولد مثلي. كانوا مجرمين خطرين. وكانت المشكلة الأساسية. إنه واحد موصل لإسحاق الشبر. أزعر حارتنا.

إنه سارة. البنت الحلوة اللي في حارتنا. بتحبني آنا. وعشان هيك مش راضية تحكي معه. ولا تعطيه رقم بيتها ولا شي. وهو كان جاي ينتقم ويأدبني على رأيه.

كانوا الأولاد من عمري تقريبًا. بس الشبر كان اسم على مسمى. أزعر صح. بس قصير. ويمكن في عالم موازي كنت بقدر أضربه. لكن بقلبي اللي كان خايف ومهزوز. كنت خايف منه. بقدر قليل من التهديد. وقدر أقل من المقاومة. سحبوني الأولاد على ممر موحش بين البيوت. بعيد عن الشارع الرئيسي. وقفت وظهري للجدار. ووقفوا الثلاثة قدامي. إسحاق الشبر في المواجهة تمامًا. وحكام الراية سلمان وعبده عن يمينه ويساره. وبدأت الإهانات اللفظية.

كنت محاصر تمامًا. وحيد. وخايف. وفي الوقت اللي كان فيه إسحاق الشبر يهدد في. وبضحك هو وجماعته قبل حفلة الضرب. كنت بفكر بسيدي. وبصراخه وعصبيته. وخالي تيسير. وكنت واقف وخجلان من سيدي. وبفكر كيف إنه هو اللي عمل في هيك. مش لو ما كان موجود بحياتي كان أحسن. كنت خايف وخجلان إني خايف. ضعيف. مهزوز. زي خالي تيسير بالزبط لما كان مربوط عند الخروف. بس خالي تيسير ساعده خالي معروف. وأنا ما كان في أمل حدا يساعدني. كنا في زقاق مظلم. ومحوط بوحوش. فغمضت عيوني مستعدًا للضرب اللي أصلًا كنت متعود عليه في المدرسة.

في نفس اللحظة اللي كنت بتجهز فيها لأول كف. سمعت صوت كف قوي. وصراخ مذعور. لما فتحت عيوني. كانوا الولاد بهربوا. وكان واقف قبالي رجل في الأربعينات. ضخم زي سيدي أبو معروف بس طويل. ووجهه مش منفر زي سيدي. بالعكس. وجهه كله تعاطف. بلحية شايبة خفيفة. وشعر طويل منسدل على كتافه وفيه بوادر شيب. وكان لابس بالطو أسود طويل.

بس راحوا الأولاد. ما حكى معي شي. تركني لما هديت. قرب علي. ووقف قبالي. ثنى ركبه لصار وجهه على مستوى وجهي. مسح بايده دمعة كانت بدها تنزل من عيني. فنزلت على إصبعه. و تطلع في بابتسامة حنونة. وسألني بحب. شو اسمك؟. كانوا عيونه سود وواسعين. بحر من الطمأنينة. وبصوت مهدج بالعرفان ومقطع من الخوف رديت:

-غالب عمّو.

-غالب إيش؟

-غالب عمر دبش.

هون شفته أخذ نفس طويل طويل، حط إيديه الثنتين الدافيين على وجهي، . تطلع في عيوني الخايفين وقال بصوت متهدج بحياتي ما بنساه:

-وأنا عمر دبش، أبوك.

لما صحيت من البكا كنت في بيت سيدي، كان راسي وراس إمي على صدر أبوي سوا، كنا الاثنين بنبكي، وهو حاضننا الاثنين وببوس روسنا، ستي من جهتها كانت بتحمد الله على رجعة أبوي، وسيدي كنت بشوفه فرحان فرحة ما شفتها زمان، طلع حلو سيدي لما يفرح، حتى خالي تيسير كان مبسوط، وكانت من المرات القليلة اللي بكون فيها مع سيدي بنفس المكان بدون ما يتوتروا، حتى ما زعل ولا بربر لما سيدي ذبح خروف احتفالًا برجعة أبوي.

بس خلصت أجواء البكا والترحيب، حكى أبوي إنه اختلف مع ضابط ليبي كان هو المشرف عليهم وهو بشتغل هناك، وانفعل وضربه، ويبدو ضربته كانت شديدة، فمات الزلمة، ومن وقتها وهو مسجون هناك في سجن سياسي ما حدا بطلع منه إلا عالموت، فما عرف يبلغنا بشي، وطلع بعفو مع أول السنة.

وجدان الشايب اللي كانت صارت اسم على مسمى رجع وجهها فتح، كإنه كان حديقة ناشفة وارتوت، حتى خيوط الشيب اللي كانت في راسها صارت زي عقود اللولو فزادتها جمال، كانت وكأنها صغرت 20 سنة أو أكثر، كانت بتتقافز في البيت زي كإنها بنت صغيرة مش عارفة إيش تعمل، ووحده حس المراهقة عندي هو اللي منعني أنام مع أبوي بنفس الغرفة، ونمت وأنا عندي ألف ألف سؤال بدي أسألهم لأبوي، وألف آلف شي أحكيه.

بعد رجعة أبوي، نظرتي كلها للدنيا تغيرت، كنت لأول مرة ما بخاف من سيدي، بل وصرت آشوفه عجوز حزين ضعيف، وساهم طبعًا في هذا الكلام إنه انصاب بالسكري وبلش يخسر وزنه، ستي كمان بدت أكثر شيخوخة، وخالي تيسير نفسه بطلت أعتبر مصدر الحكمة المجنونة، .صار بالنسبة إلي، خال مأجر الطوابق اللي فوق، حتى أيات ما فكرت فيها، كنت شايف أبوي، وأبوي بس، بس أهم من كل هاي المقارنات والاحتياج، كنت بدأت أدخل مدرسة عمر دبش الحقيقية.

أبوي كشخصية كان أهدى بكثير من سيدي. كان عنده هدوء غريب في التعامل مع أي شي، والأهم إنه ما كان عنده مبدأ التوقعات الأسطورية هاي، كنت أحس وأنا معه، إنه مش مطلوب مني أكون سوبر مان. ولا أكون أشطر واحد في المدرسة ولا أقوى ولد في الحارة. مش مطلوب مني شي. ببساطة. كان يحبني زي ما أنا.

أول شي علّمني إياه أبوي كان مبدأ الربح والخسارة. كان يحكي لي إنه الإنسان بطبيعته بخسر. كل نفس بوخذه بحياته بخسر معه شي. بخسر من فلوسه. من عمره، من عمر أحبابه، من صحته. من كل شي. عشان هيك الإنسان لازم يكون هادي دايمًا، وما يتوتر من أي خسارة. لأن الأصل الخسارة. والمكسب هو تقليل من هاي الخسارة مش أكثر.
وعشان يعلمني بشكل غير مباشر حكى لي، لما تدخل مشكلة مع ولاد في الصف أو في الشارع، لازم تدخل وأنت مقتنع تمامًا إنك خسران. بس هذا ما بعني إنك تستسلم. لأ، أضرب. بس أضرب بدون توقعات بالفوز وبنفس الوقت بدون ما تخاف من الخسارة أو الألم. لأنهم حاصلين بطبيعة الحال. عشان هيك أي شي بتضربه، بتكسبه. وحتى لو خسرت في النهاية، بتكون كسبت ضرباتك. والإنسان مش سوبر مان، ممكن جدًا يتقاتل مع حدا أصغر منه و يخسر. بتصير يعني. وأنا مش راح أزعل منك شو ما صار. ما عندي امتحان ولا علامات كاملة. ونجاح ورسوب. اللي بتعمله أنت هو العلامة الكاملة. فلا تخجل مني ولا تحاول ترضيني. وجودك هو علامتي الكاملة. مجرد وجودك بس.

كلام أبوي في الجزئية هاي خلاني أدرس لأني بحب أدرس مش لأني خايف من العلامات. ومع إني كنت بحبه وبحبه يكون فخور في، بس نوعًا ما حررني من قصة محاولة الإرضاء، لأني كنت عايش عمري كله تحت سيف الإرضاء. حررني من فكرة إني أكون رهان عند حد. زي ما كنت عند سيدي. حررني من فكرة إنه في هدف بعيد. خط للنهاية. ولو وقعت قبله أنت فاشل. مبدأ الفشل والنجاح بحد ذاته اختفى، صار تقدير شخصي بس.

وعلى صعيد المشاكل مع الأولاد اللي عشت عمري فيها. رجعته وكلامه أعطوني ثقة بالنفس. ومع إنه أول 4-5 مرات بعدها كنت أكل قتلة كالعادة. بس كنت أضرب. أضرب وأنا مرتاح، وحتى لما كنت أخسر. كنت أرجع على البيت عادي. مش أتخبى زي أيام سيدي. وكان أبوي نفسه يحط لي لزقات مكان الجروح. وكان

يحكي لي، وين ما رحت يا غالب، وشو ما عملت، آخرتك تنام إما في البيت، أو في المستشفى أو في السجن، وبكل الحالات أنا معك، لا تقلق.

سيدي وقتها أصر إنه نظل ساكنين في البيت الكبير وما نتركه، وبعد مناقشات مع أبوي، وافق أبوي، وباع شقتنا القديمة. وشارك سيدي في الملحمة. ووقتها كان سيدي بترك ملحمته لأول مرة. وصار أبوي المسؤول فيها. مع بدايات التوجيهي كنت شخص مختلف تمامًا. والتنمر اللي كنت أعانيه راح. بالعكس. صار في نوع من الاحترام المهيب من الأطراف الثانية. وبعد ما كسرت إيد إسحاق الشبر ونمت في السجن ليلتين، طلعت من السجن بلقب "أبو دبش". وصرت أخيرًا أقدر أمشي في شوارع الزهور بدون خوف.

في فترة التوجيهي سيدي تعب كثير. وزنه نزل بشكل ملحوظ. ومع إنه شكل لي بعبع طول عمري، إلا إني بديت أشفق عليه وهو قاعد بضعف كإنسان. شعره كان شايب وخفيف. التجاعيد عبت وجهه. عضلاته ضمرت. وحل محلهم جلد أبيض مترهل. حتى صوته الجهوري اختفى. وحل محله صوت عجوز مبحوح. في نهاية الفصل الأول، صابته غرغرينا. ومع احتلال العراق قطعوا الأطباء رجله. وخلال شهر قطعوا الثانية. وصار مجرد جسد عاجز على سرير الأرابسك.

توفى سيدي في ليلة خميس ربيعية. أخر لحظات حياته كانت مؤلمة للجميع. كان ممدد على سريره. وكلنا حواليه. كان شبح من سيدي اللي كان زمان. كان بتنفس بصعوبة وبحكي بصعوبة. خالي تيسير كان موجود، بس كان قاعد بعيد عنه. وحتى لما طلب سيدي إنه تيسير يقرب عليه ما رضي. كانت المسافة اللي بينهم أكبر من إنه يمحيها شي. حتى الموت نفسه.

كنا كلنا قاعدين وعارفين إنه الموت راح يخطفه منا بأي لحظة. كان الصمت ما بقطعه إلا دموع إمي واستغفار ستي. بينما أنا وأبوي وتيسير كنا متماسكين. لكن مرت لحظة فتح سيدي فيها عيونه. وصار يحكي مع خالي معروف وكأنه قدامه. في هاي اللحظة كلنا بكينا، حتى تيسير نفسه بكى.

صلينا عليه الجنازة بعد صلاة الجمعة في المسجد الكبير. وفي الجمعة اللي وراها صلينا الجنازة على ستي. كان بينهم أسبوع بس. بس هذا الأسبوع كان كافي إنه تحكي لي آخر حكاية عن سيدي. الحكاية اللي خلتني أفهم هذا الرجل بعد

وفاته، وهذا بثبت نوعا ما إنه العلاقات بين الناس ما بتنتهي بوفاة طرف ما، العلاقة بتكمل، والمشاعر بتكمل.

حكت لي ستي في لحظة من لحظات الصفا النادرة اللي بحكوا فيها الختايرة، إنه سيدي عمره ما كره تيسير، بالعكس، عمره ما حب حدا قد تيسير، وكان دايمًا يوصيها عليه، بس اللي كان صاير إنه سيدي كان ابن الضرّة، ولما انولد أيام البلاد انولد يتيم، وكانوا إخوانه من أبوه أكبر بكثير منه، عشان هيك كانوا يكرهوه ويضربوه وحرموه هو وإمّه من الميراث

وإنه لآخر أيام عمره وهو تيجيه كوابيس كيف كانوا إخوانه يضربوه، ومرات كثير كان يبكي وهو نايم، أو يستغيث، سيدي كان بكره ضعف تيسير، كان يذكره بحاله وهو صغير، كان هو نفسه تيسير في زمان ما.

بنهاية سنة الحزن هاي، احتفلنا بإني خلصت توجيهي، وطلع لي قبول في الجامعة، وفي الوقت اللي كانت إمي على أعصابها طول السنة، كنت أنا وبإيحاء من أبوي هادي تمامًا، كان أبوي يحكي لي، "أخطر خدعة بوقع فيها الواحد يا غالب هو إنه يتبنى وجهة نظر الناس عن النجاح في الحياة، الناس عندهم صورة مرسومة بالألوان عن الشخص الناجح، وروجوها بحيث صارت مقدسة، والكل بركض وراها.

النجاح والسعادة مش إنك تصير غني، لا، آخر شي بتعمله الفلوس هي إنها تخليك سعيد، الفلوس عاجزة إنها تعملك سعيد بنفس القدر اللي الملابس الغالية عاجزة تعملك حلو، الفلوس قشرة بس.، والمشكلة إنه الناس مؤمنين فيها أكثر من القرآن، راسمين هذا الهدف البعيد إنهم يصيروا أغنياء، وبعيشوا حياتهم بركضوا وراه، وبظلوا دايمًا زعلانين إنهم ما وصلوه، وبتخلص حياتهم وهو يدوروا على الحياة، بتروح راحة بالهم وهم بدوروا على راحة بالهم.

الحياة ما فيها نجاح، هي دار تعب، النجاح عند ربنا بكون، وإذا في سعادة فالسعادة هي إنه الإنسان يكون هادي ورايق ويستمتع بحياته بدون الأهداف الوهمية هاي، بدون ما يكون عبد للفلوس، وعبد للوقت، الفلوس والوقت مهمين، بس عبادتهم مشكلة، الخوف الدايم من إنه يخلصوا، . في شي بسرق روح الإنسان أكثر من هيك؟"

ودخلت الجامعة. وفيها كنت أدرس وأشتغل مع أبوي في الملحمة.، ومروا سنوات الجامعة، ومع نهاية 2007 تخرجت بشهادة في الاقتصاد، ولما دورت ودورت وما لقيت شغل. صابني نوع من الاكتئاب، وبتذكر وقتها أبوي دخل عندي على الغرفة، وقعد على طرف السرير وقال:

"غالب عمرك شفت بسة زعلانة؟ أو كلب في حالة اكتئاب؟ عارف ليش الحيوانات ما بتكتئب؟ لأنه ما عندها رفاهية الاكتئاب، بتقدر بس تكتئب لما يكون في حدا بصرف عليك، ساعتها فيك تحزن براحتك، وتقرأ كل لطميات الحياة براحتك، بس إحنا معناش نصرف على اكتئابك، عشان هيك بتعطي شهادتك هاي لإمك تعلقها في الصالون، وبتنزل معي بكره عالملحمة.

ربنا خلق الشمس بتطلع كل يوم يا غالب، بدون كلل ولا ملل، عشان يعلمنا نعمل زيها، كل يوم نشتغل، كل يوم نحط حالنا في النظام، في المجرى، سواء كان جاي على بالنا أو لأ، لو صحينا كل يوم واشتغلنا، المجرى لحاله بوخدنا، وبريحنا، قوم يا ابني، اخزي الشيطان وقوم، وكمان اللحمة اقتصاد، أحسن اقتصاد"

في ال 2010 كان مرق على رجعة أبوي عشر سنين، وكانت حياتنا في البيت الكبير أروع ما يكون، كانت كل حياتنا فرح وسعادة وهدوء، شي كثير كنا مفتقدينه أيام سيدي وفي سهرة صيفية حلوة تحت التينة، قال لي، إمك بتحكي إنه حبيبتك رجعت من الإمارات مع أهلها بشكل نهائي، وبيني وبينك البيت كبير علينا، وعروض البامبرز في سامح مول ما بتتفوت، فإذا لسه البنت في بالك، خلينا نحكي مع الحج عبد يجيبها تساعد إمك في شغل البيت.

في الوقت اللي كان فيه خالي تيسير برقص على هدف إنيستا في كأس العالم، كنا قاعدين أنا وأبوي مع الحج عبد، وعرفنا الحج عبد على ولاده الثلاث التوأم اللي انولدوا بعد الوقفة الحزينة، كانوا كبروا وصاروا في حدود ال 13-14، كل واحد فيهم لابس دشداشة بيضا قصيرة، طاقية بيضا مخرمة، ولحية طفولية.

-ولادي يا أبو غالب، قتيبة وحذيفة وعبيدة.

رد عليه أبوي وقال له، تشرفنا يا حج عبد، ما شاء الله، رضي الله عنهم.

وتطلع على الولاد وقال:

-أنا عميرة بن دبيشة، وهذا ابني غليبة.

ومع صوت الضحك، كانت إمي بتزغرد زغرودة الفرح في بيت الحج عبد، وضحكوا عيون آيات الزرق، وضحكت معهم الدنيا، وغنى عبد الحليم جواي "أول مرة تحب يا قلبي، وأول يوم أتهنى"

وخطبنا، ومع إنها كانت أول مرة بخطب، إلا إني تعلمت دروس الخطبة بسرعة، تعلمت أمدح طبيخ حماتي وشبابها النضر، وتعلمت وقاحة الخاطبين بإني أظل سهران عندهم لغاية ما يطردوني، والأهم إني تعلمت كيف أخطف البوسة لما قتيبة وعبيدة وحذيفة يغيروا شفتات المراقبة، بين الشفتات كنت أبوس.

تزوجنا ثاني سنة، ومع إنه مرة الحج عبد كانت توأم هي وأختها، وهي نفسها جابت ثلاث توائم، إلا إنه لما كانت تيجي سيرة إنه آيات حامل بتوأم، كنت أمسك شواربي وأفتلهم بتواضع الرجل الفحل اللي بجيب توائم، آيات جابت ولدين، عمر ومعروف، وما عكّر فرحتي بولادي إلا فكرة إنه أبوي صار يراجع المستشفى كثير، وصار يغيب عن الملحمة، ولما أسأله يقول القولون، والدكتور قال له ما يوكل مخللات، ويريح حاله، لكن بعد ما قررت إمي، ورجتني تقارير المستشفى، كان السرطان منتشر في كل مكان تقريبًا، وخبيت عليه إنه أنا بعرف أصلًا، وشلنا فكرة العلاج من راسنا زي ما هو كان شايلها.

الحياة بطبعها قاسية، والعمر بطبعه بخيل، بس لو كنت بدي أطلب من الدنيا شي، ما كان راح يكون أكثر من أب زي عمر دبش، أعاد لي كل توازني في الحياة، ويمكن كانت الحياة في النهاية هي مخسر زي ما قال، آخر أيامه قضاها في الحديقة مع تيسير، كانوا بمسكوا نمل وفراش، وبزرعوا بندورة وفلفل، وبحكوا، كثير كانوا يحكوا، ويضحكوا، كان من اللطيف نشوف تيسير يضحك ويبطل يبربر، كانوا كثير مبسوطين سوا لدرجة إنهم ذبحوا خروف مع بعض.

السنة في الوقفة، (كوني ما بصوم يوم عرفة) كنت متمدد على سرير الأرابسك بحضر لقيلولة ما بعد الغدا، وكانت إمي على كنبايتها ماسكة المسبحة وبتستغفر لرحمة أبوي، بينما آيات قاعدة على الكنباية الحمرا بتطرز بلوزة للبنت اللي في بطنها، على الحيط كانت صورة سيدي الله يرحمه وهو واقف مع معروف وتيسير، وجنبها صورة أبوي الله يرحمه قبل ما يطلع على ليبيا، ورا الشباك الكبير، كان خالي تيسير ماسك خروف العيد من قرونه، وكانوا ولادي معروف وعمر بلعبوا معه وبطعموا الخروف.

الرُمّانة

إحدى أكبر الخدع التي علّمتنا إياها الروايات (أو الأفلام) هي خدعة النهاية. في أي رواية، يتعاطف العالم والظروف والشخوص مع البطل لصنع لحظة فرح أو حزن ختامية، وفي لحظة النهاية تلك، يتجمدّ الزمن لتبقى النهاية ثابتة وأبديّة. في الحياة، الموضوع مختلف نوعًا ما، الزمن لا يتجمّد بعد لحظات الفرح والحزن، لذلك لا يوجد نهايات سعيدة أو حزينة، كل لحظة حزن قوي تعقبها أيام تخفف حدّتها، وربما حدث سعيد، ولحظات الفرح تمرّ أيضًا لتعقبها أيام صعبة، لتصبح كل نهاية بداية لشيء جديد.

لذلك من الخطأ الكبير أن نعامل الحياة بمنطق الروايات والنهايات السعيدة، ونعيش ننتظر نهايتنا السعيدة أو نتجمد عند لحظة حزينة. قصة حب جميلة توجت بزواج سعيد قد تنتهي خلال سنوات بالطلاق، فشل دراسي مرّ قد يتوج بمسار ناجح في الحياة العملية. الأمثلة كثيرة والحكمة واحدة، لا طعم حلو ثابت ولا طعم مرّ ثابت.

لذلك توقع ما لا يقل عن عشرة لحظات مريعة في حياتك، تشعر فيها أنك لا تساوي شيئًا، ويقابلها عشرة لحظات سعادة ونجاح ترتكز عليها وتتذكرها. وبينهما أيام من العمل والكفاح والملل واللعب واللهو واللا شيء، فافرح متى أتيح ذلك، وابك متى وجب ذلك، وبينهما احلم واعمل وتبسّم بأسى واسخر من نفسك ولا تأخذ الحياة بجديّة زائدة، فعندما تحين النهاية الحقيقية لن يكون بمقدورك التعليق.

ومتى أتيح لك الوقت، أحضر رمّانة، قسّمها إلى أربعة أجزاء، ثم ابدأ بأكل جزء منها بدون أن تزيل القشور البيضاء التي تغلف حبّات الرمّان. لن يكون الطعم حلوًا تمامًا ولا مرًّا تمامًا، عوانٌ بين ذلك. هذا الطعم بالتحديد هو طعم الحياة. أي طعم غير ذلك هو زائف ومؤقت.

حملة تبرع

-الله يعطيك العافية حبيبي. فوت غير وغسل. وشوي بكون الغدا جاهز.

-الله يعافيك. اه والله. بتعرفي اليوم من كثر ما كنت تعبان. لحظة. لحظة. شو هذا؟ مش قميصي الأزرق هذا؟ شو بسوي هون؟ شو هاي الكياس؟ للكوي؟

-لا حبيبي. هاي الشيخة اليوم حكت لنا إنهم عاملين حملة تبرعات عشان الشتا. واللي عندها أشياء زيادة يعني بتقدر يعني تتبرع فيهم.

-تبرع؟ وشو دخل قميصي بالتبرع؟ هذا القميص أكثر قميص بحبه. تروحي تتبرعي فيه؟ شو هاذ؟

-حبيبي والله إلك 3 سنين ما لبسته! هسه صار أحسن قميص عندك؟

-آه أحسن قميص عندي. بس ما صار مناسبة ألبسه. وحتى لو ما لبسته. عاجبني منظره في الخزانة. أقولك. ها. وهاي لبسته. هاي إجت مناسبة. قال تتبرع فيه قال! هاتي أشوف شو في الكياس تبعتك هاي؟

-شو هذا؟ يا بنت الحلال مالك أنت؟ ليش شايلة البيجاما الحمرا هاي؟ ولا عشانها هدية من إمي؟

-أستغفر الله العظيم! يا حبيبي. والله هاي البيجاما بالذات أنت من يوم ما تزوجنا ما بتلبسها. لأنه لونها مش عاجبك. نسيت؟ وأنت كمان اشتريت ألف بيجاما بعدها؟ هلأ صارت عشانها من إمك؟

-مزبوط. لونها كان مش عاجبني. بس لما فكرت فيها. اللون مش مهم. المهم إنها مريحة. أريح بيجاما عندي. هاتي هاتي.

-طيب. خذها. أشوف متى راح تلبسها.

-وهذا القطار مش أنا جبته للبنات؟

-مزبوط. بس أول شي. السكة تبعته انكسرت. وغطا البطاريات ضاع. والبنات بطلوا يلعبوا فيه من ميت سنة. شو فيها يعني لما نتبرع فيه؟

-السكة مش مهمة. بمشي على الأرض. والغطا بتلزق. وبعز علي هذا القطار كثير. هدية عيد ميلاد هالة هذا. لا ترميه. أنا بزبطه. وكمان ممكن يجينا طفل ويلعب فيه. شيليه.

-بده يجيني ولد بعد هالعمر؟

-أه بيجي. ليش ما يجي؟ إن الله على كل شيء قدير!

-لا حول ولا قوة إلا بالله.

-هاتي كمان شو هاي؟! مش هذا الفستان هدية مني؟

نبش في كل الأغراض

-يعني من كيسين كبار مليانات. أروح للشيخة أحكيلها بدنا نتبرع بزنوبة مهرية و لعبة رايحة رجلها؟ برضي ربنا هذا الكلام؟

- وليش بدك تحكي للشيخة بشو بدنا نتبرع يا غادة ؟؟ أنت بدك تمني على الناس ولا شو ؟ حرام المنية. احكي الله يتقبل بس.

المفتاح

-إجا الشتا، وبينوا الطواقي الحلوة.

-تسلم يا زوق، عيونك الحلوة.

-على فكرة، الحجاب بطلع كتير حلو عليك.

-بعرف، شفته على حالي أكتر من مرة. بس عارف شو، المشكلة إنه أنا، من جوا جوا جوا جوا، مش محجبة.

-كيف يعني؟

-يعني، أقول لك شي، الحجاب زي ما أنا فاهمته، مش غطا للراس أكيد، الغطا هاد هو الجزء الواضح من الحجاب، مظهر الحجاب، وهو شي مهم، بس بظل مظهر. إنما جوهر الحجاب وفكرته الأساسية شيء مختلف، يعني لو تخيلنا العالم بدون دين، راح نكتشف إنه الفكرة الأساسية للحجاب بتدور حول الثقة بالنفس والتواضع، بتدور حول إنه البنت ما تستغل جسمها كأداة تسويقية. كشي بمنحها مكتسبات اجتماعية ووظيفية ويمكن نفسية كمان. وأنا هون ما بقول إنه سلعة، لأنه هيك تطرف، بس يعني أداة تسويقية. من هون بتيجي فكرة صعوبة الحجاب، إنه الواحدة تتخلى عن كل هاي المكتسبات. وتعامل جسمها بحيادية تامة. هذا هو الصعب، خصوصًا لما تكون حلوة. وهاد هو اللي أنا مش قادرة أوصله، بكل أسف.

-طيب ما أنت ممكن تتحجبي. والحجاب بساعدك إنك توصلي لهاي القناعة.

-صحيح، ممكن، بس بنفس الوقت، ممكن يصير شي تاني، ممكن أقاوم الحجاب داخليا وبدون وعي. وراح أحاول أكيفه بأي شكل عشان يوائم الطريقة اللي بفكر فيها. وأكشف إيدي. أو ألبس مخصر. أو أكشف الغرة. أو أي مظهر تاني بدل على إني مش قادرة أتخلي عن فكرة إنه جسمي شيء مثير، شيء قابل للعرض. مش قادرة أحيده في مسيرتي كإنسان. وراح أدخل جدلية العلاقة بيني وبين جسمي، ومساحة الخاص والعام في علاقتنا مع الجسد. وبنفس الوقت ما بدي

أكبر وأنا مش متحجبة. ما بدي أوصل لمرحلة إني أتحجب لأنه اللي بنعرض بطل ينفع ينعرض.

-طيب فكرة إنه أنت بتغوي الشباب مثلًا. والذنوب المترتبة على هاد الكلام ما بتشكل دافع؟

-هاي فكرة تسويقية سيئة للحجاب. رب العالمين أعدل من إنه يطلب من إنسان يعمل شي عشان فائدة ناس ثانية. الحجاب زي ما قلت لك ما إله أي علاقة بفكرة الكشف أو العري. هو ثقة كاملة بالنفس. فكرة إنه أنا أرقى من هذا الحيز اللي روحي عايشة فيه. أما فكرة الحلوى المكشوفة والذباب وهاد الشي فكله تخبيص. عفة الشباب في موضوع الحجاب هي منتج ثانوي، بش مش مقصودة لذاتها. ربنا ما بطلب منك شي لمصلحة الآخرين. بكون لمصلحتك أنت. العاجلة قبل الآجلة. لكن بطريقها بتفيد الناس. زي الصدقة هيك. لمصلحتك أنت. بتطهرك أنت. بس بطريقها بتعمل تكافل اجتماعي. أي تركيز على المنتج الثانوي دون فهم المنتج الأساسي بسبب خسارة كبيرة. شي بشبه هيك. إنك تذبح الدجاج عشان الريش.

-بس أنت ممكن تتزوجي وزوجك يجبرك على الحجاب.

-ممكن جدًا. في زوجات كثير بنجبروا. وأطفال كمان. في رابع وخامس. وروضة مرات. بس أنت هون بتحقق المظهر بس. وممكن تشبع رغبات رجولية كامنة في حماية شرف العائلة. وممكن يسقط الذنب لو في ذنب. وأنا مش ضد هذا الكلام. بس أجر الحجاب نفسه ما بتوخده. الرضا الكامل عن النفس. فكرة إنه أنا أكبر بكثير من منحنيات جسدي. أغلى من هيك. هذا الإيمان الواقر في القلب. هدوء المطمئن ضد المغريات. فكرة إني بتعامل مع نفسي كنفس. كعقل. كروح. وبجبر الناس هيك تعاملني. هاد هو المطلوب. وهاي هي الحرية الحقيقية. الحجاب هون بكون حرية. تحرر من استعباد الجسد للإنسان. استعباد الوزن. والشكل. واللون. ومساحيق التجميل. شي هيك زي خالو أبو سميح. شايل هالكرش وماشي. وما همه من حدا. يا الله شو حلو يكون الواحد هيك. حر. روح وماشية على الأرض.

-والحجاب بعطيك هاي الحرية؟

-الجسم لما يتغطى، بتحرر، بخلص من لهاث الإعجاب. بخلص من قلق يكون تحت التقييم، بتحيد تمامًا. في حرية للإنسان أكبر من هيك؟ بوجه كل فكرة ساعتها لشي حقيقي، ملموس. في شي أرق من هيك؟

-وما دام أنت واصلة لهاي المرحلة بالتفكير. شو واقف بينك وبين الحجاب؟

-في لكل نفس مفتاح، واللي بمشي في طريق الفكر. آخرته يوصل. آخرته يلاقي المفتاح.



العواء

سواء كنت كلبًا أو إنسانًا. عندما لا يكون لديك شيء لتقوله، يجب أن تسكت. ارتباط شرطي منطقي. قاوم هذه الرغبة الملحة في الحديث من أجل الحديث. قاوم فكرة أن تكون مبتذلًا. قاوم محاولات لفت الانتباه. استجداء الاهتمام. البحث عن ذاتك في عيون الآخرين. امتلئ بنفسك. بأفكارك. بحزنك. بشريط ذكرياتك. بفراغك حتى. افعل أي شيء عدا أن تصدر عواءً خاويًا.

قاوم فكرة أن تعوي بدون سبب.

إم سماعين

من وحي تجربة النبي إبراهيم وابتلائه في ذبح ولده إسماعيل، خرج علينا الفيلسوف اللاهوتي كيركيجارد بتصور لطيف جدًا، سمّاه وثبة الإيمان، مفاد هذا التصور ببساطة، هو أن الإيمان قرار غير عقلاني، وبالتالي فالإنسان المؤمن هو أشبه ما يكون برجل واقف على حفة منحدر سحيق، وعلى الجهة المقابلة موجود ربّنا، بعد تشجيع من ربّنا بقفز المؤمن عن الحفَة معتمدًا بشكل أساسي على ثقته بربّنا، وبسقط في الهوة العميقة بين الجبلين، ومع استمراره في السقوط، ببدأ يندم على قراره، وببدأ الشك يساوره بالقرار اللي اتخذه، ومع نفاد الإيمان وتزايد الشك، وفي آخر لحظات سقوطه وقبل ارتطامه بالقاع، وفي أحلك لحظات الإيمان، تمتد يد الله لتنقذه، وتعيد الأمور إلى نصابها.

أنا شخصيًا، شذى العطّار - أولسو كنون آز - إمّ سماعين، مريت بتجربة مشابهة لتصوّر كيركيجارد، بس مع اختلافين بسيطين، الأول إنّي ما قفزت فيها بإرادتي، الدنيا هي اللي دفشتني، والاختلاف الثاني إنّي لمّا قربت أوقع، ربّنا بعت لي حبيب عمري، إبراهيم السطري عشان ينقذني.

في السطور القليلة القادمة، تدوين لحكايتي البسيطة مع الزمان، من بدايات الزغب، مرورًا بوثبة كيركيجارد، وسقوطي الحرّ في دوّامات الحزن، وانتهاء بلقائي مع إبراهيم السطري صاحب الرّوح العظيمة اللي أنقذتني، وبسم الله نبدأ.

والدي الله يرحمه كان عاشق لكرة القدم، وكان معظم كلامه وتشبيهاته بتدور حول كرة القدم، ومن قفشاته اللي كان يكررها دايمًا في معظم قعدا!ته، إنه كان نفسه يجيب هاتريك ولاد، بس جاب ولدين والثالثة إجت في العارضة، العارضة هاي طبعًا هي أنا، شذى محسن العطّار، وكبنت - عارضة - بملامح ذكوريّة وبحاجة لطبيبة نسائية تثبت أنوثتها، كان مفروض حياتي تتجه نحو مسارها المحتوم، وهي سلسلة من الكربلانيات واللطميات حول الجمال المفقود، لكن حقيقة الأمر إنّي عشت حياة جدًا متوازنة، ونشأت كفتاة فخورة جدًّا بنفسي، والفضل الأكبر في هذا الموضوع برجع لمعلمتي في الصف السابع، مس ابتسام.

مع بدايات البلوغ، كانوا البنات في صفي بدأوا يتباهوا بإمكاناتهم الأنثوية. ومع إنها إمكانات "في حجم بعض الليمون". زي ما بتحكي فيروز في عالم موازي. إلا إنها كانت كافية تثير غيرتي وحسدي وحنقي، وخلص الصف الخامس ولحقه السادس وأنا مستوية كقطعة من الرخام. وكثير كنت أيامها أوقف قدام المراية وأتطلع على حالي وأستغرب. إنه ليش أنا مش شبه البنات. وإنّه يعني لو وجهي ما فيه مسحة جمال. ممكن يكون جسمي حلو. ووقتها يمكن بدأت علاقتي الفردية مع ربّنا. بعيدا عن التديّن الجمعي. كانت هاي هي الفترة اللي بديت أحكي فيها مع ربّنا من منطلق ضعفي الشديد كإنسان، في مقابل قوته اللامتناهية كربّ قادر. وبتذكّر وقتها إنّي كثير كنت أكرر آية "إن الله على كل شيء قدير" وأنام وأنا أحلم إنّي أصحى الصبح بصدر ممتلئ أفتخر فيه قدّام البنات.

لكن لمّا مرّت ليلة ورا ليلة وصباح ورا صباح وأدعيتي لم تكن تستجاب. بدأت أدخل في حالة من القهر والاكتئاب. وزادها تعليقات البنات الجارحة. وبتذكر وقتها إنّي تمنيت لو كنت ولد. أو درست في مدرسة أولاد. لأنه تشكل عندي قناعة - وهي قناعة لغاية الآن موجودة عندي - إنه الأولاد على الرغم من خشونتهم الظاهرة. بس يمكن أحنّ نوعًا ما على بعض من البنات. ما بأذوا بعض لهاي الدرجة. البنات لئيمات.

وفي موجة من موجات السخرية اللي ما كانت توقف، تهجّمت على بنت وضربتها. ولمّا رحنا على غرفة المعلّمات للتحقيق. ما قدرت أحكي ليش ضربتها. كان صعب عليّ أنطق حتى شو قالت. حسّيت حالي في منتهى الضعف، وبتم السخرية مني بدون ذنب ارتكبته. . وبدون وعي دخلت في نوبة من البكاء المرير.

لمّا هديت شوي، أخذتني مس ابتسام على جنب. و قالت لي الحكمة اللي غيرت حياتي. قالت لي وقتها إنه كل إنسان فينا عبارة عن أحجية تركيب. قطع كثير بتركب جنب بعض وبتشكلنا. لكن الحقيقة، إنه كل واحد فينا عنده قطعة ناقصة. ولأنه مكان القطعة الفاضية هاي بضل يوجع. بلجأ الإنسان لحلول تعويضية. ودائما الحلول هاي بتكون سخيفة ومكشوفة ومبالغ فيها. وبتضره أكثر ما بتنفعه. وبتخرب قطع تانية كمان. عشان هيك الحل الوحيد إنّا نجيب ورقة من عنا. ونكتب عليها الرضا. ونلزقها مكان القطعة الناقصة. وهيك بس بتستقيم الحياة.

ومع إنه هاي الورقة ممكن توقع مرات، ومكن توجع مرات. لكن لازم نرجع نلزقها. لأنه ما في حل إلا هيك. اعتراف الإنسان بنقصه. ومواجهته لحقيقة إنه ما بقدر يعمل شي تجاه هذا النقص. هم الحل الوحيد لمواجهة هذا النقص. وبعد شهور من التفكير اقتنعت بكلامها. وركّزت فعلا على القطع الموجودة عندي وما بتشكي من شي. وتغيرت نفسيتي تمامًا. ومع إنه قطعة "الرضا" كانت توجعني مرات زي ما قالت مس ابتسام. ومرَات كانت توقع وأرجع ألزَقها. إلّا إنّي كمّلت مسيرتي. و تخرجت من التوجيهي وأنا الأولى على صفي. كابتن فريق الكرة الطائرة. بطلة المدارس الحكومية في الشطرنج. . بالإضافة طبعا إنّي كبرت وإسمرّيت وإحلوَيت. وصرت كتير أشبه رونالدينهو.

الجامعة ما ضافت لي شي كثير. ما كان فيها جمال الحياة الجامعية زي ما كنت متوقعة. مجرد محاضرات وامتحانات. بس نضجت فيها أكثر كإنسانة. قرأت كثير. تعرفت على ناس كثير. والأهم كان. إنّي بنيت ثقتي بنفسي وشخصيتي المتفردة. وعلى الرغم من إنّي كنت فتاة مرحة وضحوكة. بس ما وقعت في فخ إنّي أسخر من نفسي كأنثى غير جميلة. كنت أتصرف إنه هاي هي ذاتي. وهاي الذات المجرّدة كافية ومستحقة للاحترام بدون إضافات وبدون تجميل. كنت ثابتة على الأرض. جبل من الجبال الرّواسي. كنت بحترم ذاتي لذاتي. وهذا بحد ذاته كان جمال.

واحتسيت سنوات عمري على مهل. وكنت سعيدة جدًا. وقوية جدًا. بمزح وبلعب وبضحك. وبصوم وبصلّي. وبسمع الشعرواي وبدندن مع منير. يعني حياة متوازنة. صحيح الجزء العاطفي كان ناقص. وكان في احتياجات جسدية. وكانت تمرَ علي ليالي قاسية مرَات. لكن بشكل عام. كنت على ما يرام. وغابت شموس وطلعت شموس. وتسرّبت أيّامي من بين إيدي زي حبّات الرمل. ولقيت حالي وصلت الثلاثين. معلّمة فيزياء في مدرسة حكومية. بسقف محدود ماديًا ووظيفيًا. وبتكررَ اللي عم تعمله كلَ سنة.

بعد الثلاثين بدأت آثار السنين العجاف تظهر على روحي. اللزقة اللي كانت توقع كل سنة مرة. صارت توقع كل شهرين مرّة. بعدين كل شهر. بعدين كل أسبوع. بعدين صار مجرّد تمضية يوم واحد بدون حزن هو إنجاز بحتفل فيه. ومع وفاة والدي. راحت اللزقة نفسها. ودفشتني الدنيا في هوّة كيركيجارد. بطّل لشي في الدنيا طعم. لا الكتب ولا الأغاني ولا حتى الصبر نفسه. سواء جميل أو مرّ.

كنت بدأت أنهار. وكل قطعي الداخلية بدأت تتكسَر. وبنفسية القائد المهزوم. بدت كل إنجازاتي تافهة وعدميّة وعديمة القيمة. و بدأت أراجع كل حياتي وقراراتي. وأندم عليها. سواء اللي أخذتها بكل حكمة وروية أو اللي ما أخذتها.

ندمت إنّي تحجبت. وندمت إنّي درست. وندمت إنّي رفضت العرس الوحيد اللي تقدَم لي. صحيح كان ستّيني وبده ممرضة شابّة. وكان منطقي جدًا أرفضه. بس كنت بحالة من الضعف هيأت لي إنه ليش ما قبلت. وندمت وندمت وندمت. وندمت إنّي انخلقت أصلًا. كنت وحيدة لدرجة قاسية ومؤلمة. وكان منظر أي بنت مع زوج أو حبيب أو طفل يخترق روحي من أعلاها لأسفلها. كان كل منظر مفرح أو جميل بيألمني. كنت هربت من وحدتي لغاية ما ظل مكان أهرب إله. وشذى اللي مرّ عليها زمان كانت فيه جبل راسي. صارت ريشة في مهبَ الريح. وبديت أزور طبيب نفسي. وما أنام قبل ما آخذ حبة البروزاك.

والدتي كان دورها في حياتي بسيط ومبتسر. ويقتصر في أغلب الأحيان على توفير كتف للبكاء مع تلاوة أدعية مأثورة تحضَ على الصبر على الابتلاء. كان بدها تساعدني بس مش عارفة. كانت تحبّني وتشفق علي. بس ما كان بإيدها شي. ومع بساطة هذا الدور. إلا إنه موتها كسرني من الدّاخل. خصوصًا إنه نتج عن موتها إنه صفيت مع أخوي ومرته الحربائة لحالنا في البيت.

بعد موتها. تحوَل حزني لغضب. غضب تجاه كل شيء. تجاه كل المثل والقيم اللي بتمثّل كل شي نبيل وطاهر ونقي. حسَيت إنه كل شي قرأته وتعلّمته وآمنت فيه كان عبارة عن سراب وأكاذيب فضحها واقعي المؤلم وأمالي الخائبة. وصرت أكره الناس لأنهم ناس. وخصوصي أحتقر وأكره كل واحد بنظّر لفكرة إنه الحياة قصيرة. لأن الحياة تحت الابتلاء مش قصيرة.

كنتَ وصلت تقريبًا لقاع الهوّة. وما في أي إيد امتدت عشان تنقذني. كانت روحي استنزفت تمامًا. والأسوأ بدأ يصير. ب بدأت أخسر أغلى شي في حياتي. عقلي. بدأت أنسى أشياء. وأتخيل أشياء. وأخلط أحلام اليقظة بالواقع. وكنت لمّا يراجعوني الناس بالموضوع. أتفاجأ وأنصدم. وأتعذّر بقلة النوم. كنت بتحول لركام حقيقي. وفي وسط هذا الرّكام. ظهر إبراهيم.

أول مرة شفته كانت في الشتا. كان عندي حصة فراغ. و كنت قاعدة بفكّر أي كتاب راح أحرق اليوم. - كنت بديت أحرق كل يوم كتاب من كتبي كنوع من

تعذيب الذات والانتقام من الإنجازات والممتلكات الشخصية - ولمّا استقرَ تفكيري أحرق مقدّمة ابن خلدون. دخل الحارس عشان يقول لي إنه في صحفي برّه، وبده يدخل والمديرة مش موجودة. إبراهيم ككل الأشياء الرائعة في الحياة كان غير مُلفت للانتباه نهائيًا. حتى لبنت وحيدة ويائسة في حالة يائسة مثلي. بس خفَة دمّه وطريقته الخجولة والغريبة في الكلام، أوحت لي فورًا إنه في شخصية عظيمة متخبية ورا منظره البسيط وهندامه غير المرتب.

عرف عن نفسه كصحفي في مجلة الجيل الجديد، وجاي يشوف حمَامات المدرسة. ولمّا حطيت إيدي على تمّي تفاديًا لصوت الضحكة من صحفي جاي يشوف حمَامات مدرسة بنات، استدرك وقال، إنه جاي يعمل تحقيق استقصائي عن تناسب حمامات المدرسة مع عدد الطالبات. وخصوصًا إنه في حالات تسجّلت عن بنات وأولاد صابهم فشل كلوي نتيجة إنهم ما بستخدموا حمَامات المدرسة، لأسباب بتتعلق بقلّة الوقت أو النظافة.

موضوع التحقيق كان جميل وغير تقليدي، وإحنا ماشيين باتجاه الحمَامات حكى لي أكثر عن حاله وتحقيقاته. واتضح إنها كلها تقريبًا من نوعية الأشياء المهمّة اللي ما بتهمّ حدا. وهو بشرب القهوة في غرفة المعلّمات، قال إنه مجلّتهم جديدة،بس هادفة، بس ما عندهم قرّاء، ولا زيارات كثير على موقعهم، بس بحاولوا. ولمّا سألته إنه ليش ما يكتبوا تحقيقات من اللي بتجذب القرّاء، زي قصص المغنيين والمغنيات ويحطوا معها شي هادف، قال الجملة اللي خلّتني أحسّ إنه هذا الإنسان بشبهني، وفي وسط ضحكتي، قال لي وقتها، ربّنا خلق الكلمة عشان ننقل الحقيقة لبعض، زي ما خلق السطل عشان ننقل فيه المي، وإنّه هو ملتزم كصحفي جّاد ينقل الحقيقة للناس، مش يضحك عليهم، وفي سبيل هذا الهدف السامي، ما بمانع يكون السطل المعرفي لخدمة هذه الأمة.

وحكينا تقريبًا حصة الفراغ كلّها، كان هو بستنى المديرة من التربية، وأنا كنت مبسوطة معه، وهو بشرب قهوته قبل ما يروح، كنت بس قاعدة سرحانة فيه. كنت يمكن حبّيته، كان يمكن هذا هو حبّ من أول قعدة، وكان عندي استعداد وقتها أعمل أي شي عشان نلتقي كمان مرّة. وقبل حتّى ما أفكّر بخدعة عشان أقابله، تطوع هو وقال لي بخجل قبل ما يروح، وبصوت يا دوب طالع، سمعته بخلايا قلبي، إنه الخميس عنده محاضرة في نقابة الصحفيين عن "الصحافة الجادة كمكون للعقل الجمعي"، وبدون ما أحكي عرف إنّي جاية، وبدون ما يحكي،

عرفت إنه هو الإيد اللي حكى عنها كيركيجارد.ورجعت على البيت وأنا طايرة من الفرح. وبتذكر وقتها إنه سمعت كل أغاني عبد الحليم الفرايحية في ليلة واحدة. وبفضله نجا ابن خلدون وكتابه من الحرق.

كنت لأول مرة في حياتي من لمّا عرفت شو يعني ولد وشو يعني بنت. بحسّ إنه في شاب مهتمّ في أنا. شخص بهمّه لدرجة إنه نفسه يشوفني مرّة ثانية. وبكيت وقتها. بكيت لأني حسيت شو أنا ضعيفة ولأي درجة حلمي كان صغير. شو كنت بدي من هالدنيا الواسعة والبشر الكثار؟ بس شوية اهتمام. حبّ من شخص واحد بس. كثير صغيرة الفرحة اللي كنت بدي إياها. بس كثير بعيدة كانت. ليش ما إجت من زمان؟ شو كان بختلّ بميزان الأرض لو شفته زمان؟ وبديت أسترجع كل لحظة شفته فيها في الساعة المباركة هاي. وما وعيت على حالي إلا الساعة أربعة الصبح صارت! ولمّا قررت أنام خلص عشان ألحق أصحى على الدوام. اكتشفت إنه بكرة الجمعة. ونمت وأنا بضحك على حالي.

أسبوع من نار مرّ علي قبل موعد المحاضرة. قريت فيه كل شي كتبه إبراهيم. وشفت صوره كلها على الإنترنت. صحفي جاد هو. بس مش معروف. وطلع عمره 35. يعني أكبر مني بسنتين. مناسب جدًا. وأصلًا اللي بعمري ما تزوجوا لسه. وصلت قبل المحاضرة بساعة عشان أحجز أول كرسي قدّام. كنت بنت صغيرة وحبّت وانجنّت. ولما ما حضر المحاضرة غير عشرين واحد. الصف الثاني ما اكتمل.. بس مش مهم. لو لحالي كان بكفّي. كنت بس بدي أشوفه. وبدّي أقعد قدّام.

بعد المحاضرة قعدنا سوا في الكافتيريا. وحكينا كأنها بنعرف بعض من أيام داحس والغبراء. حكينا عن الكتب والأفلام والأغاني. طلعنا تقريبًا نسخة عن بعض. طلعنا احنا الاتنين بنحب كيفن سبايسي أكثر شي. وبنعتقد إنه الخلاص من شاوشانك " أوفر ريتد". وإنه الكيت كات أحلى فلم عربي. وحتى بآخر القعدة غنّينا "يا منفي" مع بعض. مع كل توافق بيننا. كنا نضحك ضحكة بعيوننا تقول شغلات كتير. وكنا نحسّ إنّا إحنا نفس الشخص. بس كان كل جزء منا عايش في مكان مختلف.

ما قدرت أطلع أشوفه كمان مرّة. بالنهاية كنت بنت وعندها محدّدات اجتماعية. بس حكينا على الفيس بوك والتلفون. وما كمّلنا أسبوعين إلا عارفين

عن بعض كل شي تقريبًا، وكنا الاثنين حاسّين إنه في شي كثير رائع جاي. شي هيك زي طوفان من قوس قزح. طوفان جميل ما حدا بقدر يوقفه. وبعد حوالي شهر من أول لقاء، وفي لحظة من لحظات الزمان الخالدة. اللي ببدا فيها المطر وبتنكتب فيها القصائد وبتتنزل فيها الآيات. قال لي بعد فترة صمت على التلفون. إنه زهق من الشاب اللي ساكن معه. لأنه بظل يشخور وهو نايم. وزهق من دفع الإيجار. وبفكر إنه يشتري شقة صغيرة. بس ما معه فلوسها كلّها. ولأني معلّمة فيزياء زنچيلة على قولته. مفكر نشترك أنا وإياه فيها. بس عشان ما يصير مشاكل عالملكية المشتركة في الشقة. وما نختلف على فواتير المي والكهربا. أو مين يدخل الحمّام الصبح أول. بقترح -مجرد اقتراح- إنّا نتزوج.

لمّا سمعني وأنا ببكي على التلفون وقتها. ما حكى شي. تركني أبكي براحتي. ولما خلصت بكا وصرت أتشغنف. ضحك شوي. وقال لي. "له يا بنت الحلال. كل هذا بكا عشان طلبتك؟ يعني عززت ثقتي بنفسي صراحة!" وضحكنا سوا. ضحكنا كثير. ونمت ليلتها وأنا فوق الغيم. إجا إبراهيم مع إمّه. ست فلاحة بسيطة. سكان مخيم سوف. عايشة مع أختها الأرملة. وبزورها إبراهيم كل جمعة كون شغله في عمّان. قعدنا كلّنا سوا. وكانت قعدة جميلة وسلسة وكلها ضحك. وبآخرها القعدة الجميلة هاي قريت أحلى سورة فاتحة في حياتي. فترة خطبتنا كانت ست شهور. عشت فيهم أحلى فترة مراهقة ممكن بنت تعيشها. كنت وصلت ثلاثة وثلاثين سنة. بس يمكن بنت عشرين كانت أعقل مني.

كنا الاثنين بنشترك بحبَ مقدّس لمدينة عمّان وتفاصيلها الصغيرة. وبمكن وقتها زرنا سوا كل شي موجود في عمّان. أكلنا كعك من عند صلاح الدين. وكنافة من حبيبة البنك العربي. وتمشينا في سوق البخارية. وحتى وقتها روحنا على بيتنا في الجوفة مشي. فترة الخطبة ردمت كثير حفر جوا روحي كانت. دفنت أبيار عقد النقص اللي كانت عندي. صرت أحس إنّي مش أقل من أي حدا. وإني بحبّ وبنحبّ. وبفهم عن شو بتحكي أم كلثوم لما تقول. لا أنا قد الشوق.. كان صار عندي شوق. زي زي كل الناس اللي حبّت وانحبّت. وتحسّنت نفسيتي بشكل كبير.

بس مع هيك. ومع إنه كان مفرغ حياته إلي. ويموت علي. إلا إنّي كنت في حالة دائمة من الخوف عليه. كنت أغار عليه من رموش عينيه. ولازم أشوفه كل يوم. وفي الأيام اللي ما بشوفه فيها. تصيبني نوبات فزع. خصوصًا لمّا أتصل عليه وما

يردّ، أبدأ بسرعة أتخيّل إنه تركني، وأعطش وينشف ريقي، وأصير أرجف وأبكي، وما أهدا إلا بعد عشر دقايق. كنت بتعافى، بس مش بشكل كامل.

ولأن الإنسان لا شيء سوى حفنة من الذكريات، أصرّ إبراهيم إنه ما نسكن ببيت إيجار، لأنه مش منطق الإنسان يترك ذكرياته في بيوت الناس. ومن هذا المنطلق قرّرنا نشتري شقة خاصة فينا. وبعد زواج بسيط جدًا عالضيق الضيق، انتقلت أنا وحبيب عمري الصيفية الماضية للشقة الحلم. شقة قديمة صح وصغيرة، وكلّفتنا كل مدخراتنا كدفعة أولى بس، بس أرضية وحميمية وكنكونة، وفي أحلى مكان أنا وإياه بنحبه في عمّان، الدوّار الخامس.

وجه الزواج والشقة كانوا خير علينا. بعد الزواج مباشرة، ترقّى إبراهيم لمنصب مدير تحرير، وصار مش مضطر يعمل تحقيقات ميدانية، دوامه مكتبي صار، وبنفس الوقت تحسّن الدخل مزبوط. وهذا الشي اللي شجعني أترك الدروس الخصوصي، عشان أتفرغ لزوجي ولشقتي الكشكول زي ما بقول عليها أخوي. يعني بدون الدخول في تفاصيل، بكفي أقول إنه لأنه كاسات المي والعصير مش فريق كرة قدم زي ما بقول إبراهيم، وما في داعي يشبهوا بعض، فكل كاسة إلنا كانت شكل، وكل صحن من قبيلة. بس مع هيك كنت مبسوطة.

حياتي معه كزوج أثبتت لي إنه الحب ما بختفي بعد الزواج، بالعكس. فترة الخطبة بدت شبح باهت، مقارنة بالفرح اللي عشته كسيدة متزوجة. وأثبتت لي إنه السعادة لا تعني الامتلاك. وبكفي يكون عندك إنسان بحبك وبضحكك عشان تكوني ملكة متوجة، ولو إنك ساكنة في بيت صغير ودخلك على قدك. إبراهيم، على الرغم من رزانته وثقافته إلا إنه كان صاحب مزاج،، وعازف عود من الطراز الأول، وبحب دايمًا يدندن بأغاني تراثية وشعبية يمكن ما حدا في الأردن بعرفها غيره.

وكونه كان متأثر بالتركي نسيب أحمد عبد الجواد في الثلاثية، كان مشتري جلابية مخططة وإلها طاقية زيه، وكثير مرات، خصوصًا لمّا كنت أختلف مع أخوي، كان يدخل علي في المطبخ ويغني لي أغاني حلوة، كان يقول،

ما قال لي قلبي إنّه بيعشق،

من وين المضروب استرزق؟

صرَح يا قلبْ!

هذا ما عيبْ،

صرَح لا تخاف ولا تخجل

بيجوز بيرميك في مقتل،

وبصيبني الكربْ

وأنا مالي ذنبْ،

ويحضنني ويكمل الأغنية ويزيح من قلبي كل همّ، إبراهيم نعمة وماشية على رجلين،

وعشنا أول ست شهور في بيتنا وإحنا سمنة على عسل، ومع تباشير الشتا، إجتني فرحتي الثانية، حملت بسماعين، وفي نفس اليوم اللي زفّت لي في الدكتورة الخبر، كان إبراهيم تعاقد مع جريدة العربي الجديد على مقال أسبوعي، ونشروا له أول مقال، كان بعنوان "الإبتلاء الثاني - يعقوب أنموذجًا".

كان المقال بحكي عن فكرة إنه الإنسان العادي ممكن يتحمَل ابتلاء من ابتلاءات ربّنا بسهولة، ويمكن يتحمَل عدّة ابتلاءات لو فصل بينها انفراجات، لكن إيمانه الحقيقي وثقته بِرَبّه ما بتظهر بشكل واضح إلا في الابتلاء الثاني، وهو الابتلاء اللي بصيبك وانت بتستنى من ربّنا يفرّج عليك الابتلاء الأول.

واستشهد إبراهيم في مقاله بقصة سيّدنا يعقوب، لأنه تقريبًا الوحيد من الأنبياء اللي أصابه ابتلائين متتاليات بدون فرج فاصل، وبلغ من شدّة ابتلاؤه الثاني في ابنه بنيامين إنه فقد بصره حزنًا وكمدًا، وبعيدًا عن مقال ابراهيم اللي أثار ردود أفعال حلوة، كانت فرحتي الصغيرة بابني اللي جاي كبيرة، وبشكل تلقائي ومن أول شهر افترضت إنه ولد، وبدأت أحضر له أواعي.

ومرَّت شهور الحمل، ومعها كانت مقالات إبراهيم تحصد إعجاب القرّاء والمهتمين، وتعاقدت معه جريدة ثانية، وعلى الشهر الخامس تأكد إنه اللي في بطني ولد، وقالت لي الدكتورة إنه ما شاء الله حجمه كبير، ولمّا كان الحمل متعبني كثير، وبلشت صحّتي تتأثر، تركت الشغل نهائيًا وقعدت في البيت، وبتذكر وقتها طلبت من إبراهيم يوخذني أزور قبر أبوي وإمّي وأحكي لهم عن ابني.

بس خلّصنا زيارة القبور. تمشينا في المقبرة شوي. ووقتها قال لي إبراهيم إنه بتمنى يشوف على كل شاهد قبر قصة الشخص اللي مدفون. لأنه من الخسارة إنه كل الناس هاي تموت بدون ما نتعلّم منهم. لو سطرين بس يقولهم الشخص قبل ما يموت. وممكن تتجمع السطور وتشكل فهم أعمق للملهاة اللي اسمها الدنيا.

ولمّا سألته وقتها شو ممكن يكتب على قبره. قال إنه راح يوصي ينكتب. إنه بختلف مع ساراماغو إنه الأدب بضيف ناس جديدة للدنيا. لأنه الناس الموجودين أصلًا قصصهم مش عم تنكتب. وما حدا عم يعرف شو بحسوا ولا بحاول يسمع لهم. ولو في هدف للأدب فهو إنه يحاول بس يقرّب من المهم. ولمّا سألني شو ممكن أكتب أنا بعد عمر طويل. قلت له إنه يكتب على قبري إنّي حبيت فكرة وجوده أكثر من وجوده نفسه. الحبّ فكرة بالنهاية.

على الشهر السابع كانت آلام الحمل تزيد. وكان في احتمال ولادة مبكّرة. وحتى الدكتورة اقترحت علي هيك. خصوصًا إنه صار في خطر على حياتي والطفل ما راح ينزل طبيعي. لازم عمليّة بس أنا رفضت. كنت بدي سماعين يظل في بطني فترته كاملة. كان أمان نفسي إلي إنّي أم. هو فرصتي الوحيدة أحس في شيء جواي كأنثى. مثلي مثل أي أنثى حملت وولدت ولو كانت قطة. زي القطط اللي كنت أحسدهم زمان.

بكرة موعد عمليتي. ومبارح سافر إبراهيم على لندن. اضطر يسافر ضروري لأنه في مؤتمر كبير وطلبوه الجريدة ضروري جدًا. الألم شديد وأنا وحيدة. بس متحاملة على نفسي ومبسوطة. وفكرة إنه إبراهيم موجود بالدنيا. ولو إنه بعيد. لحالها بتريحني. بعت لي مقاله الجديد قبل شوي. مقال جميل. بحكي فيه إنه المقدمات الطبيعية تقود لنتائج طبيعية. وبما إنه طبع الحياة النقص والمعاناة فطبيعي إنه قصصنا تكون كلها نقص ومعاناة. لكن الناس ما بتحب هاي القصص. وبتفضل الكذب الجميل على الحقيقة البشعة. ويمكن هذا لأنه الإنسان لمّا يقرأ قصة حزينة بخاف يصير فيه زيها. ولمّا يقرأ قصة مفرحة بحسّ إنه لو حياته صعبة حاليًّا. فهذا شيء مؤقت وأخرته يرجع للحياة السعيدة اللي قرأ عنها. وفكرة إبراهيم هاي. يمكن هي بالزبط اللي خلّتني أكتب حكايتي لهلأ. لأنه في سعادة بآخر النفق. سعادة حقيقية. حتى لو صنعها الإنسان نفسه وما شافوها الناس.

بكره راح أولد إسماعيل، أو سماعين زي ما دلعَناه، وراح أصير أنثى كاملة، بزوج وطفل، ولو لحظة الميلاد زي ما كانت تقول ستي لحظة ربّانيّة، فممكن أسأل ربّنا وقتها كل الأسئلة اللي كانت في بالي.

شذى العطّار.

- كتبت شي غير هذا؟ ولا بس هاي الورقة؟

- تقريبًا بس هاي سيدي، فتشنا منيح ما لقينا شي ثاني.

- بس هاي الورقة تاريخها قبل شهر.

- مهو هاي قبل ما تدخل المستشفى بيوم، بعد ما طلعت ما كتبت شي.

- طيب سألتوا أهلها؟ إخوانها؟ شو حكوا؟

- أخوها مصطفى قال إنها بعد وفاة والدتها بسنة طلعت من بيت العيلة واشترت الشقة اللي كانت عايشة فيها، وإنه صار بينهم خلافات كثير عالموضوع بس هي أصرّت على موقفها. وقال إنها من يوم ما تشخَصت بالمرض وهي عايشة بنفسية سيئة، وما كانت تحضر القعدات العائلية بانتظام، وبعد ما عملت العملية، ما زارتهم أبدًا.

- ودكتورها شو قال في تقريره؟

- قال إنها بتراجع عنده من أربع سنين، وإنّه بدأ عندها اكتئاب، تطور لاضطراب ثنائي القطب، مع الميل لخلق عوالم وهمية، وقال إنه آخر زيارة إلها كانت قبل تسع شهور، وفيها خبّرته إنه معها سرطان في الرحم ومن بعدها ما شافها.

- البنت هاي حكت كثير عن واحد اسمه إبراهيم، كان فعلًا في حياتها حدا اسمه إبراهيم؟

- حسب التحقيق لأ سيدي، ما كان في حياتها أي رجل، بس وحدة من المعلّمات قالت، إنه مرة زارهم صحفي اسمه إبراهيم، وحكى معها شوي وراح.

- وحكيتوا معه إبراهيم هذا؟ حكى إنه بعرفها أو شي؟

- حققنا معه سيدي،، قال إنه زلمة متزوج وعنده ثلاث ولاد. وما إله على قصص البنات. وعلاقته فيها كانت رسمية بحكم التقرير اللي عمله ولمدة ساعة وحدة. وبعده ما شافها أبدًا.

- خلص لكان. أكتب إنه بعد استكمال التحقيقات. استقر رأي النيابة أن الوفاة كما وضح تقرير الطبيب الشرعي حدثت نتيجة احتشاء عضلة القلب بسبب تناول كميات كبيرة من الأدوية. وبالاستئناس بوجود تاريخ من المرض النفسي. وشهادة الشهود. تقرر النيابة أن الوفاة كانت نتيجة الانتحار وانعدام وجود شبهة جنائية. وأعطوا أهلها تصريح دفن. وسكَروا القضية.

-حاضر سيدي.

المشاعر

لا أعتقد أن أفضل لحظات حبي لك كانت في الأوقات التي من المفترض أن أحبك فيها، أو بشكل أدق، اللحظات التي كان يجب أن أبدي حبي فيها، كعيد زواجنا مثلًا، أو لحظة ولادة طفلتنا الأولى، حتى ما أقوله في تلك اللحظات، لا يعبّر حقيقة عني. هل تذكرين تلك الليلة التي شاهدنا فيها فيلم الفتى الهندي الضائع في البحر؟ هل تذكرين نقاشنا وضحكاتنا بعد الفيلم؟ لقد أحببتك تلك الليلة بشكل لا يصدق، كنت أنظر لك وأنت نائمة كأنك كنز، لكني لم أقل شيئًا.

نفس الشيء ينطبق على المواقف الحزينة، لم أحزن كثيرًا في اللحظة التي توفي فيها والدي، كنت في لحظة صدمة وذهول، لكن كان لا بد من القول بأنني حزين، كان الكل يتوقع مني ذلك، لكن الحقيقة أن قلبي تحطم بعد ذلك بيومين، عندما كنت جالسًا إلى طاولة المطبخ في الليل وحدي، حينها تمزق قلبي، وبكيت كطفل ضائع، لكنني لم أقل شيئًا.

أعتقد جازمًا أن كل ما نقوله في محاولة للتعبير عن مشاعرنا يبقى في إطار المحاولة، لا كلام فعليًا قادر على التعبير عن المشاعر، ما تقوله هو ما يمكنك قوله، لكنه ليس الحقيقة، المشاعر الحقيقية التي تشكلنا لا يمكن التعبير عنها، إنها تشكلنا من الداخل فقط، ولا يمكنها الخروج.

تأثير الكرات الملونة

تخيل طاولة بلياردو. عليها كرة واحدة بيضاء. وخمس عشرة كرة ملونة. الكرات الملونة ثابتة ومرتبة بترتيب معين. وهي بذاتها عاجزة ولا تمتلك أي حركة ذاتية. الكرة البيضاء وحدها هي من تتحرك. يبدأ العد. وتتحرك الكرة البيضاء لمرة واحدة فقط. وفي هذه المرة تقوم بخلخلة مواقع كل الكرات الأخرى. وتجعلها تتناثر في كل اتجاه. وكل كرة ملونة بدورها. تصطدم بكرة ملونة أخرى تحركها وتتحرك. الكل يتحرك بحسب قوانين نيوتن. الفعل ورد الفعل. إلى أن تتوقف كل الكرات عن الحركة بفعل الاحتكاك. لنكتشف بعد الهدوء التام سقوط كرة واحدة في إحدى الحفر. الكرة الزرقاء.

لو طلب منك تحديد الكرة أو الكرات المسؤولة عن إسقاط الكرة الزرقاء. فهل بإمكانك فعل ذلك؟ لا شك أن الكرة البيضاء هي المسؤول الأول عن إسقاط الزرقاء كونها هي من بدأ الفعل. لكن ليس مسؤولية كاملة. هنالك كرات أخرى أيضًا ساهمت. ولتحديد مسؤولية الكرات الأخرى ونسبة مسؤولية كل كرة عن سقوط الكرة الزرقاء. ربما تحتاج لإعادة الفيديو عشرات المرات ورسم مئات المسارات ومساعدة عالم رياضيات وعالم فيزياء وجهاز حاسوب. وهذا كله إثر ضربة واحدة فقط من الكرة البيضاء. أليس كذلك؟

الآن وسع التخيل. وتخيل أن الكرة البيضاء استمرت بضرب الكرات مرة تلو الأخرى. وعليك حساب المسؤولية عن سقوط كل كرة. وسعه أكثر. وتخيل أن كل كرة من الكرات الملونة تملك حركة ذاتية. تؤثر في الكرات الأخريات. وتتأثر بهن. سينتج حينئذ تيار لا نهائي من الحركات العشوائية. الكل يصطدم بالكل. والكل يغير مسار الكل. هل يمكنك بعد عشر ثوان فقط من هذه الحركة الدائمة للكرات أن تحدد من فعليًا المسؤول عن إسقاط كل كرة؟ هذا طبعًا من سابع المستحيلات.

حياتنا في الأرض شيء مشابه جدًا لحركة هذه الكرات. لكننا نتجاوز هذا النموذج البسيط البدائي لكرات متشابهة. لنتحدث عن دنيا بأكملها. دنيا متفاعلة ومتشابكة بشكل إعجازي. وفيها ملايين البشر الذي يختلفون بكل شيء تقريبًا. ويتفاعلون ويؤثرون في حياة بعضهم البعض بشكل لحظي. أصغر حركة أو

كلمة منك بحسن أو بسوء نية أو بجهل حتى، تترك أثرًا في حياة الآخرين، إما إيجابيًا أو سلبيًا، وهذا الأثر لا يختفي، بل ينقله الآخرون لآخرين، والآخرون لآخرين، وهكذا تصبح لديك متسلسلة لا نهائية من الأمواج والتأثيرات التي تشكل العالم من أول يوم فيه لآخر يوم فيه بحيث يصبح من الخرافة بمكان، مجرد محاولة معرفة من يؤثر في من، ومن يسقط من، ومن ينهض من، ومن يساعد من ومن يضر من، وهذا هو باختصار مبدأ التأثير الذي أؤمن به.

ربما هذا الكلام مشابه لنظرية الفوضى ومفهوم تأثير الفراشة، أي أن رفرفة جناح فراشة في سيول قد تتراكم لتصبح عاصفة في الولايات المتحدة، لكنني أسوقه هنا من منظور إنساني أولًا، اجتماعي ثانيًا، وديني ثالثًا، لأنني مقتنع تمام الاقتناع، أن مفهوم العبادة التي قصدها الله سبحانه في قوله "إلا ليعبدون" هو يتحدث بالذات عن هذا المفهوم، العبادة بمعناها الواسع الذي يتجاوز الفروض ليلامس مفهوم التأثير في حياة الناس، وما العبادات كفروض هنا إلا وسائل حماية وشحن للشخص ليؤثر في محيطه، لأن هذا التأثير هو جوهر العبادة وأس التكليف، وهو الرابط الخفي بين العبادات والإنسانية، الذي يجعل العبادة بمفهومها الأعمق والأشمل، أبهى صور الإنسانية.

من أجل ذلك، يجب أن تؤمن أن صلاتك وصيامك وحجك وعباداتك الفردية هي مهمة جدا، لكن مهمة لك أنت، وتأثيرها محصور فيك أنت، لكنها لا تؤثر في الآخرين، لا سلبا ولا إيجابا، لا تركا ولا تأدية، بقدر ما يؤثر فهم تفاعلك معهم، صدقك في التعامل، ابتسامتك، صدقة أموالك، كلامك الطيب، حرصك على أعراض وأموال وسمعة الناس، مشكلة تفتعلها مع شخص في الصباح قد تؤدي بالتراكم لطلاق زوجته مساء، تشجيع صادق أو حتى مجامل لطفل قد يغير كل حياته، سرقتك لدور شخص في معاملة حكومية قد تكلفه خصم يوم لو تأخر عن دوامه، مبلغ بسيط قد يساعد طالب ليصنع مستقبله، نقد جارح لشخص أو سخرية قد يتسبب في أذى نفسي يعكسه هو على أطفاله، كلمة أو نظرة ساخرة أو مزحة عن فتاة قد تحرمها زواج وزوج وأطفال، إماطة حجر عن الطريق قد تمنع حادث، والأمثلة أكثر من أن تعد وأن تحصى.

أنت في النهاية، كرة، تتأثر بحركة الكرات الأخرى وتؤثر فيها، ومهما ظننت أن تأثيرك ضئيل، ففي المقياس المطلق للأشياء هو تأثير عظيم، وسينقله كل إنسان إلى آخر، والعالم الذي نعيش فيه مكان سيئ جدًا، مليء بالظلم والحزن والقهر والدماء، وامتحاننا الحقيقي فيه ليس أن نكسب أكثر من الآخرين، أو نلبس ملابس

أفضل منهم أو نسكن بيوت أكبر من بيوتهم.. كل هذه الماديات مهمة. لكنها مهمة كوسائل وليس كغايات. وسائل لجعل هذا العالم مكانا أفضل مما وجدناه عليه لأنفسنا وللآخرين. ولجعل الناس وأنفسنا. أناسًا أفضل. وهذا هو الامتحان الحقيقي الذي وضعنا فيه هذا الإله العظيم. الذي له قدرة على حساب تأثير كل كرة بدقة مثقال ذرة أو أقل.

أعد قراءة حياتك ومفاهيمك ونظرتك لنفسك وللناس بناء على مفهوم التأثير. وردد دائمًا في قلبك. "ونكتب ما قدموا. (وآثارهم). وكل شيء أحصيناه في إمام مبين". وستعرف حينها لماذا لا يكون الحساب بعد الموت. بل بعد البعث. لأن ذلك هو الوقت الذي تتوقف فيه الكتابة في صحيفتك. عندما تتوقف جميع الكرات عن الحركة.

أضعف من الأمنيات

الناس مش قادرين يفهموا إنه الشرطي مجرد موظف عند الحكومة، وإنه هو مش الحكومة نفسها، جزء منها صح، بس ضحية لسياساتها في الوقت نفسه، بس عشان هم ما بقدروا يوصلوا للحكومة نفسها، بفرغوا كرههم للحكومة فينا، قبل أسبوعين تعبت إمي كثير ونقلوها على مستشفى الجامعة عالعناية المركزة، كنت في الدوام، رحت أتطمن عليها وأنا لابس الزي الرسمي، كنا كلنا قاعدين ومتوترين، وخايفين نسمع خبرها بأي لحظة، وأنا قاعد على الكراسي، قرب مني ختيار لابس شورت، قرب عند ذاني وحكى بلهجة مقاهرة طفولية "إلي عشرين سنة بسوق بدون رخصة"، وراح، ما عرفت شو أعمل وقتها، صرت بس أضحك، بعدها بعشر دقايق ماتت إمي.

***

من السهل على أي إنسان بس يكبر وينجح إنه يفتخر بأبوه صاحب المهنة المتواضعة، ساعتها بتكون هاي المهنة المتواضعة هي نقطة بداية بعيدة عن النهاية العظيمة اللي وصل لها، وهيك بكون النجاح أكبر وبترك تأثير أكبر في نفوس الناس، لكن لما تكون صغير، وتكون مهنة أبوك هي الشيء الوحيد اللي الناس بتعاملك على أساسه، ساعتها بكون الفخر شي صعب جدًا، لو مش مستحيل.

نفسي أبوي يسامحني على كل لحظة كان هو يفخر في فيها وأنا كنت أخجل منه، نفسي يسامحني على كل لحظة تمنيت لو كان عندي أب ثاني غيره، كل لحظة كرهته فيها، كنت دايمًا بطفولتي بلومه ليش ما كان أغنى وأحسن وأرتب، وكنت بحمله مسؤولية فقره، بس لما مات، عرفت إنه هذا هو كل شيء قدر يعمله، وإنه الإنسان أضعف من أمنياته، كل إنسان، بما فيهم أنا.

***

انا بخدم في القاعة هاي، كل يوم بشوف أعراس بنات أشكال ألوان، ومع إن عرسي كان كثير أبسط من هيك، إلا إني بنبسط لهم والله، ما بحسد حدا، كل

شهر بخبي من راتبي 10 دنانير. عشان لما رهام تكبر أجيبها هون وهي عروس، صار معي 500 دينار، من هون لتصير على وجه جيزة بكون حوشتهم. كل يوم بتخيلها هي اللي قاعدة على اللوج، وأنا واقفة جنبها، وفرحانة فيها. نفسي بهذا اليوم، اللي أدخل فيه هاي القاعة وما أجلي صحون ومعالق.

***

شايف التريلا هاي؟ هاي إم الخير. ما شفت الخير إلا على وجهها. عايش معها عمري كله. بروح سفرتين في الشهر، وبشوف ولادي ومرتي أربع أيام. وباقي الأيام على التريلا، وإلي على هالحالة عشرين سنة. لو بدك تفكر فيها بشكل منطقي، إم الخير هي مرتي..

***

في جزء من ضنك الدنيا مرتبط بتحصيل الرزق. هذا طبيعي وممكن نتحمله، مثله مثل تعب الطير وهو يدور على قمح، وتعب الحيوان وهو بدور على أكل. بس اللي بتعب قلبك مش هذا. اللي بتعب قلبك الناس اللي بتخيلوا، إنه عشان معهم شوية فلوس، بحق لهم يمرمروا عيشتك ويتأمروا عليك. والمشكلة الحقيقية إنه فيك تحط كل واحد عند حده، بس ما بتقدر. فعليًا ما بتقدر. الزبون دائما على حق، وعند صاحب المحل، هو أهم منك ومن عشرة زيك.

***

من وعمري 12 سنة وأنا بشتغل حلاق. بمر علي في السنة ست آلاف راس تقريبًا. لدرجة إني صرت خبير بالروس. صرت أقدر أعرف شو في جوا الزلمة من شكل راسه. موهبة هيك زي قراءة الفنجان. بس قراءة روس.

يعني مثلًا اللي راسه كبير بكون قلبه طيب. والأصلع بعرف يجيب مصاري. وأشياء ثانية كثير. حتى صرت لما أزور ناس. أركز بس في روسهم. ولما نروح نبارك لناس. بصير أتطلع في راس الولد. بعرف شو مستقبله.

***

ولادي مش فاهمين إنه أنا مجرد مهندس. كل ما يشوفوا فيلا بشتغل فيها بحكوا لي اعمل لنا زيها يا بابا. وبحكي لهم إنه إن شاء الله بعمل أحسن منها. أصبروا انتوا بس. اشي هيك زي اللي بتطبخ لولادها حجار ومي. بس في الهندسة.

***

أنا موظف في شركة الكهرباء، بس فعليًا أنا بشتغل عند البنك. لأنه من يوم ما طلعت بطاقة الائتمان وأنا كل شغلي رايح الهم. فوائد ورا فوائد ورا فوائد. قبل شهرين بس لقدرت أخلص منهم. وبمعجزة. بتذكر يومها إني لما دفعت آخر شي علي ومزعت البطاقات. روحت على البيت ونمت. نمت عن جد.. لما صحيت ثاني يوم. اكتشفت إنه أنا الي 10 سنين ما بنام. اللي كنت بعمله كان شي ثاني غير النوم. يمكن خوف كان. خوف على شكل نوم.

***

أنا كنت في الشركة هاي من لما كان فيها عاملين بس. كل عمري أفنيته فيها. سهرت وتعبت وانتحرت فيها. ياما صحت لي فرص ثانية وبراتب أعلى إني أطلع بس ما طلعت. وياما تركت شغلات مهمة في حياتي عشان كان عندي شغل. كنت بحبها وبغار عليها. وأخلصت لها أكثر مما أخلصت لمرتي. كنت بحس إني ببني شي. وبعد عشرين سنة طلعوني بدون كتاب شكر حتى. وكأن شيئا لم يكن. أبوي الله يرحمه كان لما يشوفني ذابح حالي بالشغل يحكي لي، لا تخلي لقمتك مرّة يابا. هاي كلها كراسي حلاقين. واحد بقوم واحد بقعد. بس عمري ما تخيلت يجي يوم وأقوم.

***

لما كنت موظف. كنت دايمًا أحكي إنه مدراء الشركات أغبياء. لو يعطوا الموظفين حوافز ومكافآت زيادة على الراتب. الإنتاجية بتتضاعف. والربح بزيد. وكنت مقرر لو الله أكرمني وفتحت شركة أعمل هيك.

بس لما فتحت شركة. ما عملت هيك. صرت أفكر إنه أعطيتهم ولا لأ. ما راح يشتغلوا زيادة. طلع القرش عزيز على صاحبه. كثير عزيز.

***

أغرب أفكار الإنسان بتيجيه في لحظات البطالة. لما تحس إنك مش منتج وفش حدا بحاجتك. وإنه العالم ماشي بدون إنجازاتك القيمة. مرة وأنا قاعد عن الشغل صرت أفكر إنه إحنا ليش ملتزمين بالرأسمالية هاي؟ وشركات ورواتب ومصالح؟ ليش ما نرجع للمبدأ الأساسي للحياة. إنه كل إنسان يصنع قوته بإيده.

نصيد حيوانات ونوكل. وبلاها الشركات. كنت وقتها قاعد على البراندا. تطلعت حوالي في الحارة. ما كان في إلا البساس.

***

أسوأ كوابيسي كمدرس. مش تعب التعليم ولا الراتب اللي رايح جمعيات. كابوسي الحقيقي هم أنصاف المثقفين اللي بتشدقوا إنه اسمها وزارة التربية والتعليم. وكأنه بمجرد التسمية صار لزام على المعلم في الساعة اللي بشوف فيها الولد باليوم إنه يربيه. ومع هيك بنحاول. بس عبث. إذا إمك وأبوك ما علَموك الأدب. ما حدا بقدر يعلمك إياه.

***

بتعرف؟ بعد عمر من الشغل في السوق والتجارة. بقدر أحكي لك وبكل تجرد وصدق. إنه أصعب مكان تحافظ فيه على إسلامك هو بلاد المسلمين.

***

انا ما قدرت أكمل تعليمي. وبشتغل حارس في محمية طبيعية. يعني فعليًا مش هالشغل. بس إنه مكفيني ومكفي عيلتي. بستغرب كثير من الناس اللي بحكوا عن إنه الإنسان لازم يترك بصمة ويغير العالم. يمكن أكون صح ويمكن أكون غلط. بس يعني مش ضروري هيك يصير. السترة وراحة البال مع ناس بتعرفهم وبتحبهم أهم من كل شي. ويمكن السعادة في الدوائر الصغيرة أكبر بكثير من السعادة في دوائر كبيرة. يمكن لو حطينا السعادة في دائرة كبيرة تضيع.

***

طول عمري وأنا بشتغل وبكسب. ومع هيك عشت عمري قلقان وخايف الزمان يجور علي وأحتاج الناس. حتى لما كان راتبي ثلاث أضعاف مصروفي. كنت برضه خايف. الخوف من الفقر والحاجة كانوا مجرد احتمال. والفلوس اللي معي كانت حقيقة. ومع هيك كان دائما الاحتمال يغلب الحقيقة. بس كبرت عرفت. إنه هذا الاحتمال بعمره ما راح يروح. والفلوس عمرها ما راح تتغلب عليه. الشيء الوحيد اللي بوازنه هو ثقة الإنسان إنه ربنا راح يرزقه. مش الفلوس نفسها.

***

من أهم مزايا الشغل إنه نوعًا ما بخفي حقيقة إنه الحياة قاسية ومرعبة. وإنه الحاجة للفلوس شيء ثقيل ومؤذي، وإنه رغيف الخبز ممكن يكون حلم. هذا الشي بتعرفه وبتفكر فيه بس وأنت مش لاقي شغل. لما تكون تشتغل ومعك فلوس، بتختفي هاي الحقيقة. وبتصير تفكر بمشاكلك الوجودية الصغيرة. وزنك الزايد. مشاكل زوجتك وإمك. تحصيل ولادك في المدارس. خسارة فريقك المفضل. إلخ.

ساعتها الصدقة ما بتكون واجب ديني أو دفع بلاء. بتكون تضامن مع الإنسان. الإنسان اللي لسه بواجه حقائق الحياة القاسية. في حين أنت تجاوزتها.

إكسترا تشارجز

البائع : أهلًا وسهلًا، شرفتوا، تفضلوا,

المدام : أهلًا فيك، إحنا جايين نسأل على ال trips اللي عندكم على مكة، بال seasonهاد يعني.

البائع : الحج قصدك؟ أكيد مدام، في عنا new plans أكيد راح تعجبكم، بس قولي لي، أي باكدج بتفضلوا؟ حاج سريع؟ ولا عادي ولا كيف؟

الزوج : هلأ إحنا ما بنعرف التفاصيل، بس بدنا شيfast ، يعني بتعرف الارتباطات مع العائلة وفترة العيد وهيك، ما بنفع نتأخر، وبنفس الوقت بدنا نأدي الشعائر الروحانية.

البائع : تمام، لكان خلينا بالأول نحكي عن الأوتيل، وبعدين بنحكي عن الشعائر، هلأ في عنا أكتر من خيار للأوتيلات، في<< Hilton mecca ، في movenpick >فيFairmont ، أي أوتيل بتحبوا تاخدوا؟

المدام : بدنا أحسن شي، وخليه Suite عشان الواحد ياخد راحته.

البائع : تمام، كلهم ممتازين مدام، بس Fairmont تقريبًا هو أحسن واحد، أنا شخصيًا بنصحكم فيه، ولحسن حظكم في متوفرSuite ، بس يا ترى بتحبوا ال suiteيكون كعبة فيو؟ ولا حرم فيو، أو سيتي فيو، لأنه الكعبة فيو بكون عليه شوية إكسترا تشارجز.

المدام : أكيد لازم يكون كعبة فيو، عشان photo taking وهيك، ولا شو رأيك غسان؟

الزوج : طبعًا طبعًا حبيبتي، (يوجه كلامه للبائع) احجز suite مطل عالكعبة، بهاد الأوتيل الفيرمونت، بس اشرح لنا كيف إجراءات الشعائر بتصير، لأنه إحنا أول مرة بنروح، وما عنا خبرة قبل، وبصراحة مش حابين يعني نكون في وسط الزحمة وهيك .

البائع : حضرتك الإجراءات سهلة كتير. هلأ معظم ال clients عنا بحبوا الحج السريع. بس أنا راح أشرح لكم كل شي عن الشعائر. وإنتوا بتختاروا اللي بدكم إياه.

المدام : أكيد. تفضل

البائع : هلأ أول يوم بتوصل الطيارة جدة على الساعة 8 الصبح.. ومن هناك بستقبلكم مندوبنا في ليموزين. وبوصللكم للأوتيل بمكة. ممكن وقتها بعد الفطور. تعملوا طواف القدوم والسعي بين الصفا والمروة.. وهون إحنا بنوفر لكم << air wheelبكون كتير أسهل عليكم من المشي. وبكون في كمان مرافق معكم. موجود معه<< water & refreshments . وكل شي بتحتاجوه. بعد الطواف. في غدا بالأوتيل. بعدين بتتوجهوا بسيارة خاصة لمنطقة منى. منى منطقة جميلة جدًا. وفيها كتير خيم. بتقضوا النهار هناك في خيمة 5 stars تابعة إلنا. فيها تكييف. تلفزيونات كبيرة. واي فاي سريع. open buffet. كل شي تقريبًا.. وفيكم كمان تناموا هناك لو بدكم. بس لو مش مناسبتكم النومة في الخيمة.. ممكن تناموا بالأوتيل عادي. . بس راح يكون في كفارة. أو خلينا نقول إكسترا تشارجز.

الزوجة : يعني أول يوم camping تقريبًا. حلو والله هيك. ولا شو رأيك غسان؟

الزوج : كتير حلو. بس أنا ما بفضل أنام في الخيمة. برأيي خلينا نرجع على الأوتيل ننام فيه أحسن.

البائع : تمام. لكان بنرتب لكم رجعة على الأوتيل المسا. تاني يوم هو يوم عرفة. بعد الفطور الصبح. مندوبنا بوخدكم بسيارة جولف. وبتتوجهوا لجبل عرفة تقضوا النهار هناك.

المدام – مقاطعة - : شي زي ال hiking يعني؟

البائع : لا مدام. مش hiking تقريبًا. sight seeingلأنه مش جبل جبل. هو مكان واسع هيك. . وحلو. و انتوا هناك بتكونوا باستراحة تابعة برضه لشركتنا. بس بتقضوا النهار هناك. وبكون فيه كمان كل شي بتحتاجوه في الاستراحة. تقريبًا كأنكم بالأوتيل. المسا طبعًا. لو حبيتوا تناموا بمزدلفة. ممكن تناموا فيها. أو ممكن ترجعوا على الأوتيل. بس في شوية إكسترا تشارجز.

الزوج : أخي قلت لك أنا، إحنا مع كل الاحترام للشعائر، بس ما راح ننام بره الأوتيل.

البائع : تمام سيد غسان، ولا يهمك، هلأ بعد يوم عرفة، بكون العيد، وفي صباح العيد، بعد الفطور، بنقدر يرتب لكم مندوبنا عملية الدبح.

المدام تضع يدها على رأسها من الصدمة، !Oh mon dieu :

الزوج : الله يسامحك، شو اللي قلته؟ زوجتي عندها فوبيا من البربرية اللي قلتها هاي، احنا ما راح نعمل هيك يا أخي، شوف لنا طريقة زي هون، where we can swipe our credit card or something>>

هيك شي رمزي، donation، بدون دم، أستغفر الله بس، شو هاد؟؟

البائع : ولا يهمك أستاز، consider it done، بعتذر منك مدام، تقبلي اعتذاري رجاء.

المدام تتنهد pas de probleme :

البائع : حقكم علي، المهم هيك بتكونوا تقريبًا خلصتوا الحج، بضل بس إنكم تتوجهوا لرمي الجمرات، وهون إحنا ممكن نوفر لكم منطقة خاصة وسيارة جولف صغيرة، بحيث ترموا من السيارة، بدون ما تختلطوا بأي حد من الحجاج، ولا تنزلوا من السيارة حتى.

المدام : مش هاد اللي ماتوا فيه الناس السنة الماضية غسان؟ ما راح نروح عليه هاد، قيمه من ال program بليز.

البائع : ولا يهمك مدام، فينا نوكل مندوب من عنا يرمي عنكم، بس بكون عليها برضه إكسترا تشارجز.

الزوج : الفلوس مش مشكلة، بس هيك بنكون خلصنا يعني؟

البائع : هيك بكون خلص سيد غسان، بعد الظهر بكون السائق جاهز يوديكم على المطار.

المدام : يعني يوم camping ويومhiking ، أوsight seeing ، لطيف كتير غسان مو؟ بس متعب شوي صح؟

الزوج : يعني حبيبتي، الأجر على قدر المشقة. و من زمان والواحد نفسه بشي spiritualوهيك، وهي إجت الفرصة.

خلص احجز لنا، go ahead

من له حيلة فَلْيَحْتَل

ربما من أكثر قصص القرآن التي يساء فهم مقاصدها هي قصة ابنة سيدنا شعيب مع نبي الله موسى. ففي الوقت الذي يتم الاحتجاج بالقصة على منع الاختلاط وأن المرأة مكانها البيت وليس مزاحمة الرجال. وإلخ من المفاهيم التي تخنق المرأة بداعي الحفاظ على الشرف. نجد في القصة نموذج مضيء لامرأة عاملة نشيطة مبادرة. تمكنت بذكائها الشديد من تزويج نفسها بنفسها. لنتابع سياق الآيات للتوضيح.

بداية. هي بنت فقيرة لأب عجوز. ومع ذلك لم تقعدها ظروفها عن السعي والعمل. أخذت مع أختها غنم أبيها وخرجت لسقاية الغنم. لما لاحظ موسى عليه السلام أنها لا تزاحم الرجال وتنتظر فراغ البئر. خاطبها. فلم ترتبك. ولم توبخه. ولم تعتبر الحديث مع رجل غريب في مكان عام شيء معيب. بكل ثقة وأدب قالت. "لا نسقي حتى يصدر الرعاء. وأبونا شيخ كبير". تفاعل اجتماعي محمود وحتمي. لا يعيب ولا ينقص من قيمة الإنسان ولا أخلاقه.

سقى لهما موسى وتولى إلى الظل. وعادت هي لبيتها. طبعًا الأب لا يعلم ماذا حدث. لكن بذكاء الأنثى التي أعجبت بقوة وأمانة الرجل. أرادت لأبيها أن يراه. فأخبرته عنه. وربما اقترحت أن يكافئه. وذهبت بنفسها لتدعوه في استغلال جميل وسريع للفرص والظروف. "جاءته إحداهما تمشي على استحياء. إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا". وهو تصرف طبيعي لا يعيب أيضًا. ذهب موسى للرجل وقص عليه القصص. وقبل أن يغادر موسى البيت. وبعد أن رآه والدها. ألمحت لأبيها بمنتهى الذكاء أن الرجل يعجبها. "قالت يا أبت استأجره".

بذكاء مماثل لذكائها فهم النبي شعيب. وقال " إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين". وبإمكانك تخمين أيهما اختار موسى نبي الله. كل شيء في الدنيا رزق. لكن الرزق له سعي وأسباب. وإذا كانت المكاسب المادية يسعى لها بالعمل والجهد والعرق. . فمخالطة المجتمع والتألق فيه هو السعي المطلوب لتحصيل المكاسب الاجتماعية. ومن له حيلة فليحتل.

هان الود

لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألّفت بين قلوبهم"

حتى مع افتراض المستحيل. النتيجة محكومة بالفشل. بمعنى آخر، الحب لا يصنع ولا يشترى ولا يطلب ولا يخلق وعصيَ على التفسير حتَى. وبالتالي. إما أن يضعه الله بين قلبين أو لا يكون أبدًا. كل محاولات استحضاره وتخليقه. لا تفعل شيئًا سوى استنزاف وقتك وقلبك وجهدك. فلا تذهب نفسك حسرات وراء حب لن يكون، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. رفعت الأقلام وجفت الصحف.

شرشرة فوق الجبل

-هلا أبو صطيف هلا، نورت نورت.

-هلا أبو حميد، كيف حالك؟

-تمام والله، أنت كيفك؟ مالك مكتئب ومش على بعضك؟

-يا رجل، والله مش عارف شو أحكي لك، إلي يومين مخي مقلوب قلب.

-له له، شو صار؟ عسى ما شر.

-يا رجل، قبل يومين، رحنا عند بيت عمي نذير، بعد الفطور، قعدنا نسولف، ولا بنته هاي الصغيرة اللي في الجامعة، من ضمن الحديث يعني، بتحكي إنه فش في الإسلام حد رجم، وانه حد الزنا الجلد، للمتزوج وغير المتزوج، أنا قلت هاي مهسترة البنت، شوي ولا بتجيب أدلة من القرآن إنه فعلًا فش حد رجم، وأدلة مقنعة يعني، فإنه تخربطت.

-طيب؟

-قول ما أخذنتش في بالي الموضوع، قلت يمكن، مبارح، بقول لعبد الرحمن ابني قوم صلي، بلاش يجي الأقرع الشجاع يوكلك في القبر، ولا مرتي بتحكي لي، لا تخوف الولد، فش شي اسمه أقرع شجاع، وفش عذاب قبر أصلًا، إيه؟ كيف يا مرة يا ملحدة أنت فش عذاب قبر؟ ولا هي بتفتح لي فيديو لواحد شيخ، بحكي إنه ما في عذاب قبر، وجاب أدلة صريحة من القرآن إنه فعلًا ما في عذاب قبر، وبيني وبينك كلامه صح الزلمة، أقنعني يعني، بس إنه مصيبة والله هيك.

-شو المصيبة؟

-شو شو المصيبة أنت الثاني؟ طلع دين جديد يعني واحنا مش عارفين يعني؟ ولا الشيوخ كاينين يحكوا لنا خرابيط ولا شو؟ يا زلمة كيف يعني فش عذاب قبر؟ يعني الأحاديث غلط؟ وهو أنا أصلًا صليت إلا لأني خايف من الأقرع الشجاع اللي بطلع في القبر لتارك الصلاة؟ أي والله بتذكر أيامها، كنت في الصف الثالث لما الشيخ رجب حكى لنا عنه، وقضيت الصف الثالث يا رجل وأنا أحلم فيه بالليل، وأصبح عاملها على حالي من الخوف، صارت أمي بالآخر بدها تحط لي حفاظات،

وجاي هسه تقول لي فش عذاب قبر؟!! شككوا الواحد بدينه يا رجل، كل واحد بطلع بحكي لك شي وعنده أدلة، وبطلنا عارفين الصح من الغلط.

-شوف أبو صطيف، أنا زيك مريت بنفس هاي المشكلة، بس لقيت لها حل.

-هات نورنا، شو الحل؟ إيدي بحزامك.

-شوف أبو صطيف، أول شي لازم تعرفه إنه التناقضات هاي مش جديدة، هاي قديمة جدًا جدا، وعشان نستوعبها ونقدر نشوف الصورة الكاملة، ما في حل إلا نكون فاهمين التاريخ الفكري للمسلمين من البدايات، وعارفين كل واحد شو حكي، وعلى شو استقر الرأي.

-طيب إذا أنت عارفه يا محمد سولف، هات نسمع، بس لا تعطيني مصطلحات غريبة وكلام مرمز، أعطيني أشياء واضحة أستوعبها، يعني، شغلة لغير المختص.

-ولا يكون خاطرك إلا طيب، راح أحكي لك بأبسط لغة ممكنة، شوف يا سيدي، راح نبدأ من عصر النبي عليه السلام، ولغاية تاريخه.

-عليه أفضل الصلاة والسلام.

-في سنة 573 ميلادي ولد طفل في قريش، اسمه محمد بن عبد الله، اللي هو رسولنا الكريم، واللي شاء ربنا إنه يجي بدين الإسلام اللي شكل بدوره أهم عنصر في ثقافة ومعيشة سكان الشرق الأوسط اللي هما احنا.

-تمام صحيح.

-في عمر أربعين سنة، أوحى ربنا سبحانه وتعالى للرسول محمد بأول آيات القرآن، عن طريق الملاك جبريل، وكانت هاي بداية المرحلة الأولى من نبوته، اللي هي مرحلة الدعوة، كانت في مكة، ومدتها ثلاثة عشر سنة، وتميزت تقريبًا بقلة المتبعين، والتكذيب من قريش، ونزول السور المكية، اللي بتناقش في مجملها مسألة وجود الله كخالق وبترد على تكذيب قريش للرسول.

-كلام سليم، كمل.

-بعد هجرته عليه السلام للمدينة المنورة، بدأت المرحلة الثانية من النبوة، وهي مرحلة الدولة، وفيها كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائد دولة المسلمين ونبيهم في الوقت نفسه، مدة مرحلة الدولة كانت عشر سنوات، وتميزت بنزول السور المدنية اللي وضحت العبادات والمعاملات وأحكام الطلاق والزواج والميراث والنساء، إلخ، وتميزت بكثرة الأتباع اللي هم الصحابة، متفقين؟

-متفقين.

-في فترة الدولة، ولغايات حياتية معيشية يومية، كانوا الصحابة الكرام، يسألوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أمور في حياتهم بشكل يومي، فكان الرسول عليه السلام، إما يجاوبهم من عنده على أمور قلبية وأخلاقية، أو يستنى لما ينزل القرآن بالتشريع لو أمور تشريعية، مثل يعني، "يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي" ومثل "لقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله"، وكان ينزل القرآن بالتشريع، صحيح؟

-صحيح.

-فإذن الناس، طول فترة وجود الرسول عليه السلام في المدينة، كانت أسئلتهم الفقهية والعقدية مجابة، لأنه في وحي، وفي الرسول صاحب الوحي موجود، لكن اللي صار انه الرسول عليه السلام توفى، وترك للناس، القرآن، وترك لهم الأجوبة اللي كان يجيبها على أسئلتهم، ونصائحه الهم، وسيرة حياته العطرة كتطبيق عملي لحياة المسلم.

-صحيح، الكتاب والسنة.

-تماما، بس خلينا نلاحظ إنه وقتها سواء القرآن أو أحاديث الرسول ما كانت مجموعة في كتب، بمعنى كتاب مادي ذو دفتين، كان القرآن صفحات متفرقة وآيات في الصدور، وكانت السنة شفاهية، في قلوب الناس.

المهم، إنه الرسول (صلى الله عليه وسلم) توفى، بس الأسئلة ما انتهت، بدأت الأسئلة تتكرر وتظهر أسئلة غيرها، وهون كان دور الصحابة وزوجات الرسول عليه السلام، وبالأخص السيدة عائشة إنهم يجاوبوا أسئلة الناس، سواء من القرآن أو من اللي حكاه الرسول (ص).

مع توسع الفتوحات، ظهرت حاجة لجمع القرآن الكريم في كتاب، عشان ما يختلفوا الناس، وفعلًا تم جمعه وكتابته بالرسم العثماني (نسبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه)، وتم توزيع هاي النسخ على حواضر العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وطبعًا تم إضافة النقاط للأحرف على يد أبو الأسود الدؤلي، وإضافة الفتحة والضمة والكسرة في مرحلة لاحقة على يد الحسن البصري، المهم إنه القرآن جمع ككتاب، لكن الحديث لم يجمع، ولسبب بسيط، إنه الصحابة كانوا متخوفين من فكرة الخلط بين الحديث النبوي والقرآن، فكان في نهي عن جمعه.

-لغاية الآن تمام.

-بالزبط، ومشي القرن الأول الهجري تقريبًا على نفس المنوال، الناس تسأل، والصحابة تجيب، اعتمادًا على كتاب الله أولا، ثم ما قاله الرسول أو فعله ثانيًا.

ووصلنا سنة 100 هجرية، اللي كانوا الناس فيها في مرحلة الدولة الأموية، وهون تقريبًا بدأت الاختلافات.

-كيف؟

-أقول لك كيف، طبعًا بحلول سنة 100 هجرية، توفي آخر صحابي عاصر الرسول عليه السلام، وكان بدأ قبل ذلك عصر ما يسمى بالتابعين، والتابعين هم أشخاص رأوا الصحابة ولم يروا الرسول، وانتقلت مهمة إجابة أسئلة الناس من الصحابة للتابعين، وهون ظهر مصطلح الفقه والفقهاء لأول مرة، والفقه لغة هو العلم بالشيء، واصطلاحًا هو العلم بالدين.

لكن الحدث الأهم كان بعد وفاة الصحابة، هو دخول مصدر جديد للتشريع، بعد الكتاب والسنة، وهو إجماع الصحابة، ودخل أيضًا مصدر آخر هو القياس، بمعنى إنه الفقيه لما كان بده يحكم في مسألة معينة، يدور على أصلها في القرآن، إذا مش موجودة، يدور في السنة، إذا مش موجودة، يشوف إجماع الصحابة، أو القياس.

-أعطيني مثال، كيف يعني إجماع وقياس؟

-يعني أجمع الصحابة إنه المرأة ترث من دية زوجها، مع إنها ليست من ماله المكتسب، وهذا مما ليس فيه نص، والقياس، إنه الصحابة مثلًا قاسوا حد شرب الخمر على حد القذف، ثمانين جلدة.

-تمام، صح هيك، شو اللي تغير طيب في القرن الثاني الهجري؟

-القرن الثاني الهجري شهد بدء نشاط رجلين مهمين جدًا جدا في تاريخنا، والعجيب إنهم الاثنين انولدوا في نفس السنة، 80 هجرية، أما الأول، فهو النعمان بن ثابت الكوفي، اللي عرف لاحقا باسم الإمام أبو حنيفة النعمان، الإمام ابو حنيفة كان رجل قادم من أسرة ثرية تعمل بالتجارة، وبالإضافة لعمله في التجارة، بدأ بعد تحصيل العلم الشرعي، يجلس في مسجد الكوفة ويفتي الناس، وضمت مجموع فتاواه وأسلوبه في مرحلة لاحقا في كتب له، شكلت ما عرف بالمذهب الحنفي في الفقه، وهو المذهب اللي لغاية الآن منتشر في العراق.

طبعًا جاء بعد الإمام مالك بن أنس، (ولد 93 هجرية،) والإمام الشافعي (ولد 150 هجرية)، وآخرهم الإمام أحمد بن حنبل، ولد (164 هجرية)، . وكل منهم كان عنده مذهبه الخاص في الفقه، مذاهب متشابهة تقريبًا، وتختلف في أمور بسيطة، لكن كل منهم أفاد الناس بعلمه واجتهاداته.

-طيب ما كان في غير هذول الناس علماء يفتوا؟ وليش انشهروا دون غيرهم؟

-كان في طبعًا. كان في كثير. كان في الإمام الأوزاعي في لبنان. والليث بن سعد في مصر. لكن علمهم الغزير وجود المريدين والطلبة والأتباع لهؤلاء، ساهمت في شهرتهم. مما أدى لاعتناق مذاهبهم الفقهية. وتوارثها جيلًا بعد جيل.

-طيب هيك فهمنا قصة الأئمة والفقه والمذاهب الفقهية. تمام. بس مين الرجل الثاني اللي ظهر في القرن الثاني الهجري وكان له تأثير؟

-الرجل الثاني هو واصل بن عطاء. واصل بن عطاء كان رجل ذكي. ولد سنة 80 هجرية في المدينة. وكان عنده مشكلتين أساسيات. الأولى إنه كان عبد محرر. فكان في داخله نزعة شديدة للحرية. وكره للتقاليد. المشكلة الثانية إنه كان ألثغ بحرف الراء. وكانت هاي اللثغة عامله عنده أزمة. لأن كان في ناس في المدينة كانوا يسخروا من لثغته ومن كونه عبد محرر. (وهذا أصل في بطلان النظرة الملائكية للمجتمعات القديمة. السفهاء موجودين في كل زمان ومكان).

-وشو عمل واصل؟

-واصل بن عطاء. ترك المدينة وهاجر للبصرة. والتحق بمجلس شخص يسمى الحسن البصري. كان من أئمة المسلمين. وبعد خمس سنوات من جلوسه في مجلس الحسن البصري. اختلف معه في مسألة معينة. وترك مجلسه. فالحسن البصري حكى "اعتزلنا واصل". وهاي كانت بداية الفكر المعتزلي أو الاعتزالي. ومن هون جاءت التسمية.

-سمعت عنهم المعتزلة صح. سامع الاسم. بس ما بعرف عنهم شي. إنه شو عملوا يعني؟

-المعتزلة ما كان عندهم مذهب فقهي زي أبو حنيفة مثلًا. بس كان عندهم مذهب فكري بتعلق بمصادر التشريع. فمثلا. اعتبروا إن القرآن هو أول المصادر. بس الحديث النبوي لا يؤخذ به. والسبب (من وجهة نظرهم). إنه في تلك الفترة كان في مئات الآلاف من الأحاديث النبوية المنتشرة. ومنها ما كان مضحك وغير منطقي. وبالتالي لا يمكن الوثوق فيها. أضف إلى ذلك إنه الصحابة بالنسبة للمعتزلة ما كانوا كلهم أهل ثقة. واعتبروا انه في جزء منهم خاض بالفتنة بين علي ومعاوية. وبالتالي لا يؤخذ عنهم. وعلى رأسهم علي بن أبي طالب .

-يعني اكتفوا بالقرآن الكريم؟

-لا طبعًا. أضافوا مصدر جديد وهو العقل. وقالوا إنه العقل قادر لوحده على تمييز الحلال من الحرام والقبيح من الحسن حتى بدون وجود نص. والشريعة من الممكن أن تكون كلها عقلية. بل يجب أن تكون. وهذا مغالاة نوعًا ما. وهذا

كان خلافهم الأول مع المذهب الثاني اللي تشكل أو توضح بتشكل المعتزلة وهو أهل الحديث.

-يعني هيك صار عنا مذهبين، المعتزلة وأهل الحديث.

-بالزبط، مذهب عقلي بحت، يمجد العقل على حساب النص، وهم المعتزلة أو المذهب العقلي ومقره العراق، ومذهب نصي يعتمد النصوص على حساب العقل، أو أهل الحديث ومقرهم الحجاز.

-حلو. هيك الأمور توضحت شوي. طيب وكان في خلافات ثانية بينهم ولا بس هذا؟

-كان طبعًا. الخلاف الثاني الشهير هو مسألة الأسماء والصفات. وخلاف ثالث اجا في مرحلة لاحقة.

-شو هذا خلاف الأسماء والصفات؟

-هاي ببساطة شغلة تتعلق بذات الله عز وجل والتصور البشري عنه. طبعا الإيمان بأسماء الله من البديهيات. إنه هو الرزاق الحكيم العليم. إلخ. لكن الخلاف كان في الصفات. أهل الحديث حكوا "نثبت لله ما أثبت لنفسه من صفات، وننفي عنه ما نفى عن نفسه. " بينما حكوا المعتزلة إنه صفات الله هي عين ذاته.

-شو يعني؟

-يعني بعض أهل الحديث حكوا. بما إنه الله قال في كتابه "يد الله فوق أيديهم" فنثبت أن له يد، لكن ليست كأيدي المخلوقات. فالمعتزلة حكوا لهم. انتوا مشبهين مجسمين. الله ليس كمثله شيء، ولفظ اليد يدل على القدرة. فقال لهم أهل الحديث انتوا تعطلوا صفات الله وتأولوها يا معطلة يا مأولة. واحتدم الخلاف لغاية إنه رويت حادثة انهم في الكوفة تخانقوا ورموا بعض بالطوب وواحد اجته طوبة في راسه ومات.

-شغلات زي هيك كانت تناقش علنا؟

-طبعًا، وهذا أصل في إنه المسلمين القدامى ما كانوا أغبياء ولا بدو رحل، كانوا بناقشوا أمور فلسفية أعمق من هاي كمان.

-طيب وشو صار بعدين؟

-أهل الحديث. لدفع شبهات المعتزلة. بدأوا بجمع الحديث. وعشان يعرفوا الحديث الصحيح من اللي مش صحيح. عملوا شي اسمه الجرح والتعديل. وصار في سند للحديث. قال فلان عن فلان. لأنه قبل 100 هجرية. ما كان في اهتمام

أبدًا بالسند. المتن بس كان مهم، والمتن هو نص الحديث. والمعتزلة بدورهم كانوا بنشروا مذهبهم وبضيفوا عليه، وبنتسب لهم ناس إلهم ثقل، كالجاحظ مثلًا، مولود 159 هجري، كان من كبار المعتزلة.

-طيب وتم جمع الحديث وقتها؟

-في القرن الثاني الهجري كانت بدايات جمع وتدوين الحديث لكن مش بشكل احترافي تقريبًا. أول كتاب مشهور في جمع الحديث كان موطأ الإمام مالك بن أنس، وكان بحدود 140 هجرية. وتوالت بعد الكتب، مثل مسند الإمام أحمد، ثم صحيح البخاري، صحيح مسلم، بس هاي الصحاح تأخرت شوي، كانت بحدود 250 هجرية. يعني كنا دخلنا في القرن الثالث الهجري اللي شهد أكبر مواجهة بين أهل الحديث والمعتزلة.

-شو هي هاي المواجهة؟

-هاي مواجهة خلق القرآن. أو ما يعرف بفتنة خلق القرآن. هاي حدثت تقريبًا في أواخر عهد الخليفة المأمون، اللي كان فيه وصل المعتزلة لقمة مجدهم، بأن الخليفة المأمون نفسه كان معتزلي، ومعظم حاشيته من المعتزلة، وطبعًا عشان تتخيل الجو العام وقتها، كانوا المعتزلة بمثلوا النظرة العلمية العقلانية للأمور، حداثة يعني، وكان أهل الحديث بمثلوا التاريخ الغابر القائم على الروايات التي يرون أن العقل ليس له قدرة على تحديها، وللأمانة، كانوا معظم الناس تقريبًا مع أهل الحديث، ضد المعتزلة.

المهم إنه هذا الكلام تقريبًا كان سنة 215 هجرية، وأصدر الخليفة المأمون قرار بإنه أي شخص بنفي كون القرآن مخلوق، يعزل من منصبه، وأي شخص ثاني ينكر خلق القرآن يسجن ويعذب، طبعًا المعتزلة كانوا بحكوا إنه القرآن مخلوق، ولو تم إثبات ذلك، لكان القرآن غير معجز، لأنه مخلوق، والمخلوق يعتريه النقص، وهون كان رأي مدرسة أهل الحديث، إنه القرآن ليس مخلوق، بل هو صفة الله وكلامه، وبما أن الصفة تتبع الموصوف فالقرآن كامل بكمال الله عز وجل.

وقتها العلماء خافوا من بطش المأمون، خصوصًا إنه آلرجل كان قتل أخوه الأمين قبل هيك، يعني ما برحم، فأقروا بكون القرآن مخلوق، إلا عالمين، واحد اسمه محمد بن نوح، والثاني هو إمام أهل السنة، الإمام العظيم أحمد بن حنبل، اللي رفض بشكل قاطع الاعتراف بكون القرآن مخلوق.

محمد بن نوح توفى في السجن. أما الإمام أحمد فظل في السجن تحت التعذيب. وتوفى المأمون، وجاء المعتصم، واستمر تعذيب الإمام أحمد، وتوفى المعتصم، وجاء الواثق، فطلع الإمام أحمد من السجن. لكن فرض عليه إقامة جبرية. وما انتهت الفتنة إلا بموت الواثق ووصول الخليفة المتوكل سنة 232 هجرية، اللي رد الاعتبار لأهل الحديث وأقر أن القرآن غير مخلوق.

-يا إلهي!! هيك كاينين عاملين في الإمام أحمد؟

-طبعًا، مهي هاي هي الخلافة لما تكون حكم مستبد. لا يرى الإنسان إلا رأيه. والأهم من هيك، إنه هذا أصل في الشخص اللي بجلس تحت التكييف يسب أئمة مثل أحمد بن حنبل، اللي لو اختلفت معه، فلا يمكنك إلا أجلاله. فالرجل صاحب مبدأ، وصاحب فكر وعقيدة، ولم يقبل العطايا أبدا، وكان بشتغل عامل في المزارع عشان يصرف على نفسه وأهله.

المهم، انه المعتزلة استمروا، واستمر الخلاف بينهم وبين أهل الحديث، حتى دخول القرن الرابع الهجري، اللي ظهر فيه شخصين، غيروا تقريبًا من فكر الأمة الإسلامية، وهم أبو الحسن الأشعري (مولود 260 هجرية)، وأبو منصور الماتريدي (مولود في تاريخ قريب)، اللي أشاعوا المذهب الفكري الثالث بين المسلمين.

-شو عملوا هذول؟

-أبو الحسن الأشعري، كان معتزلي، لكن في لحظة صفاء، قرر الانقلاب على المعتزلة وتفنيد كل آراءهم ضد الدين، بس الجميل في اللي عمله، إنه ما لجأ للنصوص والأحاديث مثل أهل الحديث، بل بالعكس، استخدم نفس الأساليب والحجج العقلية بس ضد المعتزلة، اللي عرف في تلك الأيام وقبلها بعلم الكلام، أي باختصار، هدم مذهب المعتزلة بنفس أدواته. والماتريدي – مع إنه الرجلين ما التقوا – عمل نفس الشي، هدم فكر المعتزلة بنفس أدواتهم اللي كان يتحرج من استخدامها أهل الحديث، وعرف مذهبهم بالمذهب الأشعري .

-يعني نصروا أهل الحديث على المعتزلة؟

-إلى حد ما لأ. هم فعلًا هاجموا المعتزلة بضراوة، وفندوا كثير من آراءهم، لكن موقفهم كان وسطي في أمور أخرى، بمعنى، إن الأشعري، وجماعته اللي عرفوا بالأشاعرة فيما بد، قالوا أن النقل هو الأساس، لكن ان خالف النقل العقل، يقدم العقل عليه، والواجبات كلها نقلية، العقل لا يحلل ولا يحرم، هو فقط يناقش النص .

-كيف يعني؟ أعطيني مثال.

-أعطيك مثال، الأشاعرة حكوا إنه الأحاديث على عيننا وعلى راسنا، والصحابة عدول، لكن ماذا لو تعارض حديث شريف مع نص قرآني؟ كيف يمكن الأخذ به؟ والشاهد هون مش إنه تعارض مع العقل، هو تعارض مع النص، لكن العقل هو من كشف التناقض. وكمثال، في حديث في صحيح البخاري، بحكي إنه ملك الموت راح على سيدنا موسى يقبض روحه، فسيدنا موسى رفض وضرب ملك الموت وقلع عينه، فرجع ملك الموت، حديث طويل، الأشاعرة بحكوا لك يبدوا أن هذا الحديث تسرب إلى الصحاح من الإسرائيليات، لأن متنه يخالف صريح نص القرآن "إذا جاء أجلهم فلا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون"

-طيب كلامهم صحيح.

-مزبوط، ومن هون الأشاعرة رفضوا أحاديث كهذه. وقالوا نعرض الحديث على كتاب الله، فإن وافقه، أخذنا به، وإلا حكمناه للعقل.

-أهل الحديث شو كان رأيهم؟

-بعد ظهور الأشاعرة، معظم الأمة تقريبًا تبنت مذهبهم الفكري، لأنه بجمع بين تقديس النص واستخدام العقل، اتبعهم الحنفية، والمالكية، والشافعية وجزء كبير من الحنابلة. (لاحظ مرة أخرى الفرق بين المذاهب الفقهية والفكرية(.

جزء من الحنابلة بس، رفضوا الفكر الأشعري، وأصروا على موقفهم بعدم استخدام العقل في الحكم على النص، والمعتزلة بالطبع اختفوا وآثارهم اندثرت، انهزموا شر هزيمة، مع إنه نوعًا ما إلهم فضل في إثارة مسألة العقلانية، ولو إنهم غالوا فيها .

-طيب وفي مسألة الأسماء والصفات، ومسألة خلق القرآن، شو كان رأي الأشاعرة؟

-في الأسماء والصفات وافقوا المعتزلة، إنه ليس كمثله شيء، اليد تدل على القدرة، والعين على الإحاطة، إلخ، وفي مسألة خلق القرآن وافقوا أهل الحديث، انه القرآن كلام الله وصفته وهو غير مخلوق.

-جميل جدًا والله، وشو صار بعدين.

-انتشر الفكر الأشعري، وصارت كلمة أشاعرة تدل على الأشاعرة والماتريديين مع بعض، وظهر بعدها علماء كبار في الأمة، جلهم من الأشاعرة، مثل الفخر الرازي، أبو حامد الغزالي، النووي صاحب شرح مسلم، ابن حجر العسقلاني صاحب شرح صحيح البخاري، العز بن عبد السلام، تاج الدين السبكي، ابن الجوزي، إلخ .

وللعلم كان في منهم فلاسفة أيضًا، على رأسهم أبو حامد الغزالي، اللي وإن هاجم الفلاسفة الملحدين، إلا إنه كان نفسه فيلسوف. وهو أول من طلع بفكرة الشك، وقال إنه الشك أول مراتب اليقين، ويعتقد على نطاق واسع إنه المفكر الفرنسي ديكارت أخذ مذهب الشك من أبو حامد الغزالي، لأن عثر في مكتبته على كتب الغزالي مترجمة وفيها تعليقات بخط يد ديكارت. وطبعًا ينسب للغزالي تثبيت الفكر الأشعري في عموم بلاد الشام، ومصر والعراق، من قوة الرجل يعني.

المهم إنه الفكر الأشعري تطور وزاد، ومال لقبول الآخر، البعد عن التكفير، السعة في الأحكام، إلخ. وظلت الأمور على حالها، حتى وصلنا القرن السابع الهجري، وفيه ظهر في بلاد الشام شخصية عظيمة لكن مثيرة للجدل.

-مين هو؟

-شيخ الإسلام، أحمد بن تيمية. ولد سنة 661 هجرية. ابن تيمية كان رجل ذكي جدًا، وزاهد، ومجاهد، حارب التتار، وغزير التأليف والتصنيف. طبعًا ابن تيمية كان من الحنابلة الذين بقيوا على موقفهم، ومع ذلك عثر في مؤلفاته على مواضع كثيرة يمدح فيها الإمام أبو الحسن الأشعري. (وهذا أصل في إن لو اختلفت مع الرجل ما تنقصه قيمته) وكان لابن تيمية رأي جميل جدًا في موضوع العقل والنقل، لما قال في رسالته "درء تعارض العقل والنقل" إنه النقل الصحيح لا يعارض العقل الصريح لأنهما من نفس المصدر، لكن لو كان هنالك ظنية؟؟ يؤخذ بالأكثر أدلة. أي أنه لم ينف العقل بالمرة، لكن بين بين.

المهم أن ابن تيمية قضى حياته، وهو ينظر لمحاربة البدع. فهاجم أكثر ما هاجم ما يعرف بالتبرك بالقبور، والمعتزلة والخوارج، وفرق أخرى اعتبرها ضالة. وطبعا هاجم فكرة تأويل الصفات بالمجاز، إلخ. المهم أن الرجل، يبدو أنه غالى قليلًا في موضوع التكفير وكان متشدد نوعًا ما، وطرح فتاواه في مصنفات عديدة.

-واتبعوه الناس؟

-لأ، ما اتبعوه، كان الفكر الأشعري المنتشر أكبر من تأثيره. اتبعه تلميذه ابن قيم الجوزية، ويعرف بابن القيم، ونفر قليل جدًا، لكن مخطوطاته بقيت موجودة.

-وبعد ابن تيمية؟

بعد ابن تيمية اجت الدولة العثمانية، ومع إنه كل سلاطينها كانوا من الماتريديين، إلا أنه فترة حكمهم كانت عصر ركود فكري هائل، وشبه اختفوا العلماء، واختفت هاي النقاشات، لكن ظلت معظم مدن العالم الإسلامي تقريبًا

تتبع الفكر الأشعري، وفي العصر الحديث، عاد فكر الحنابلة في الظهور تحت اسم التيار السلفي، وهو يمتد فكريًا إلى أحمد بن حنبل، مرورًا بابن تيمية، وطبعًا التيار السلفي المنتشر حاليًا يعارض الفكر الأشعري، ويميل لرأي الحنابلة الذين رفضوا تقديم العقل على النقل، وتعظيم الحديث النبوي، وتميزوا بإطلاق اللحى وتقصير الثوب ووجوب النقاب، إلخ.

-يعني الصراع اللي احنا بنشوفه حاليًا هو إعادة للي حدث في القرن الثاني بين المعتزلة وأهل الحديث؟

-الظروف نفسها، الحداثة في مواجهة الموروث، وهذا شيء طبيعي حدث في أوروبا في بداية ما يعرف بعصر التنوير، لكن في حالتنا الآن هو أشد وأخطر، في جزء كبير من الشباب "يعبد العلم" تقريبًا، ويعتبره الطريقة الوحيدة لتفسير الكون، بينما بتطلع على الدين كموروث مش قادر يجاوب أسئلته، خصوصًا في صيغته المنتشرة، لذلك هم مش مهتمين أصلا في الدخول في أي مناقشات مع رجال الدين.

-طيب ما في طرف ثالث يحاول يوازن الأمور؟ الأشاعرة الجدد؟

-الأشاعرة الجدد هم اللي أنت سمعت لهم، اللي بحاولوا يوصلوا مع السلفية لنقطة اتفاق، بحيث إنه يتم تنقية دين الله من الشوائب، كي لا يرفضه الجيل الجديد كاملًا، وهذا توجه حتى في داخل الفكر السلفي، مش بس عند الأشاعرة الجدد، ويعرف بما بعد السلفية، أي بدء تحكيم العقل عند السلفية، ومن شواهده رد حديث الجساسة، مع إنه في صحيح مسلم، وبسند صحيح، لأنه غير مطابق للعقل بالمرة، وشواهد أخرى أيضًا، خصوصًا في مصر.

-طيب والإنسان العادي؟ اللي ما اله بالأشاعرة ولا السلفية ولا المعتزلة شو يعمل؟

-الإنسان العادي لازم يفهم انه الدين مش كله نفس المرتبة، في أصول اعتقاد، وفيه فقه، وفيه غيبيات، إلخ، ومش معنى إنه الإنسان يؤمن أو لا يؤمن بجزئية معينة، إنه خرج من الملة، غير صحيح، يعني سواءً آمنت بعذاب القبر أو رفضته، فهو شيء غيبي، وليس من أصول الاعتقاد، وسواء آمنت بالدجال أو رفضته، وبعودة المسيح أو رفضتها، فهي أيضًا أشياء غيبية.

وكون الشباب ينشغل بهاي المعارك العدمية، هو خطف لجهود الأمة، لأنه لا يمكن أبدًا إثباتها، ولو تم، فهي لن تقدم ولن تؤخر في مسيرة المسلم العادي اليومية، ولازم نؤمن أكثر بالتعددية داخل المذهب الواحد وفي المذاهب الأخرى،

وإنه هذا تنوع فكري لا يضير أحد. فلا هنالك من مبتدع ولا من متخلف. الكل سواء. وابن تيمية نفسه أكد على هذا حين روي عنه في آخر حياته. أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة. وأن كل من توضأ فهو مؤمن.

يعني بالنهاية. كل الخلافات هاي مش لازم تأثر على علاقتنا اليومية ببعض. لكن العلم فيها أفضل من الجهل. والتحدي الحقيقي لا يكون بتحدي بعضنا البعض. بل بتحدي الفقر والجهل والبطالة. وسوء مستوى التعليم. . سوء الخدمات الصحية. الرشوة. الفساد. المحسوبية. التعصب. العنصرية. وآلاف آلاف التحديات اللي بتطحن السلفيين والأشاعرة والمعتزلة. بل وحتى الملحدين. على حد سواء.

-والحل؟

- الحل إنه الإنسان ينحي هاي الأمور. لأنه تخيل يا عزيزي إنه لو الرسول عليه السلام رجع الآن. هل برأيك إنه راح يجلس في المسجد يناقش المسيح الدجال وحد الرجم وعذاب القبر والأسماء والصفات؟ مستحيل. راح تلاقيه في حلب. بضمد الجرحى. وراح يكون في بغداد بمسح على رؤوس الأمهات الثكالى. وراح يكون في مقاديشو بطعمي الجائعين. وراح يقود ثورة ضد الظلم والعبودية والقهر والفقر والجهل وضد كل شيء سيئ بأذينا. لأن هذا هو الرسول اللي بنعرفه. إنسان منا وفينا. بحبنا وبنحبه. وهذا أكبر من أي فقه وحديث وخلافات.



الجمل والواوي

-تقبّل الله حبيبي .

-منّا ومِنّك صالح الأعمال يا سناء، شو وينهم البنات؟ مش سامع لهم حسّ. ناموا بدري معقول!؟

-حلا نامت من المغرب، وحنين فاتت تنام قبل شوي.

-كأني سمعتها بتبكي حنين، شو كان في؟

-فش شي حبيبي، لا تشغل بالك.

-لا جدّ شو في؟ احكي.

-والله يا مصطفى مش عارفة شو أحكي. بس هذول بنات أم أحمد بظلن يقاهرن فيها باللعبة اللي جايب لهم إياها أخوهن من دبي. وشفتها اليوم عند أبو سماعين، طلب فيها عشر ليرات الضلالي، وقلت له بدفع لك أول الشهر ما رضي .

-لا حول ولا قوة إلا بالله العليَ العظيم.

-مصطفى، والله ما كنت بدي أحكي لك، وعارفة الوضع سيئ، وعارفة قديش بتتعب عشاننا، بس الله يرضى عليك، لو صحّ لك عشر ليرات، من هون أو من هون، إنه نشتري هاللعبة للبنت، أولى من كل شي، والله قلبها ناطف عليها للعبة مسكينة، قطّعت قلبي.

-والله يا سناء نفسي أجيب لها الدنيا كلّها، بس قسمًا بالله ما معي، مش ظايل في جيبتي إلا ثلاثين ليرة، والراتب لسه لآخر الأسبوع الجاي، وحكيت مع علي أخوي، قطع إيده وشحد عليها، مش عارف من وين بدي أجيب والله.

-الله بفرجها حبيبي، لا تقلق، اللي برزق النملة في الصحرا برزقنا، أنا هدّيتها ونيمتها وقلت لها إن شاء الله، الله برزق بابا فلوس وبجيب لك إياها.

***

يا ربّ، تعطي بابا مصاري كثير عشان يشتري لي اللعبة الزهرية يا رب، وبوعدك أحفظ سورة الكوثر وسورة قريش وسورة الزلزال، وكل السورات. وما أزعل ماما ولا مس فاطمة ولا أضرب حلا حتى لو ضربتني، يا رب يا رب، ما تنسى يا رب.

***

-خالد، ولا تفكّر ولا تحلم بالموضوع حتّى، قبل ما تغير لي غرفة النوم ما في شي، بكفي فضايح، أنت عارف السرير "بزقزق" وكله بث حيّ ومباشر ما شاء الله.

-مالك يا خديجة؟ ما أنا قلت لك راح أغير لك إياه وبعدين؟!! والله أول ما آخذ الدفعة الأولى من مشروع المستشفى إلا أحلى غرفة نوم في عمَان كلّها إلك.

-ظلك اضحك علي أنت بس، وينه مشروع المستشفى هذا؟ وينه؟

-ولك ما أنا قلت لك، المهندس يوسف قال لي هاليومين بمضوا العقد وبنبدأ فيه، شو مالك؟

-طيب حبيبي، بس تمضيه على خير أنت والمهندس يوسف تبعك، وتجيب لي غرفة نوم محترمة، ساعتها بنحكي، يا زلمة، ياا‌ا زلمة!! هذا وأنت نجار وسريرنا هيك!! يا زلمة والله سناء مرة الناطور مصطفى عندها أحسن منه!!

-لا حول ولا قوة إلا بالله، وك أصبري أنت بس، أصبري.

***

-يوسف، باش مهندس يوسف حبيبي، شفت شو رند كانت لابسة اليوم!؟ شفت طقم الذهب اللي بصرع !؟ هذا جاب لها إياه عزَّام، جوزها المحاسب، محاااسب، خطّين تحت محاسب، . مش مهندس قدّ الدنيا!!!

-لا إله إلا الله، يا رجاء يا حبيبتي ما أنا قلت لك، المهندس ماهر وعدني، إنه أول ما نمضي مشروع المستشفى يعطيني بونص السنة اللي فاتت، البونص كله راح أشتري لك في طقم ذهب، خمس آلاف ليرة هذول! أحلى طقم ذهب بجيبوا، بس استني شوي أنت.

-ظلك اضحك علي أنت بمشروع المستشفى هذا أنت والمهندس ماهر، شكله عمره ما راح يجي مشروع المستشفى هذا!! والمهندس ماهر هادا بضحك عليك

-يا بنت الحلال شو بضحك علي!؟ ١٠٠٪ جاي المشروع فش فيه شك!! والبونص بعده مباشرة!! هاليومين يوقعوا العقد! مالك أنت!؟

***

-ماهر حبيبي، متذكر شو في الأسبوع الجاي ولا ناسي؟

-وهذا شي بنتسى يا قمر؟ أحلى يوم بالعالم، عيد ميلاد الأميرة مرام.

-ومتذكر يا ترى شو وعدت الأميرة مرام ولا ناسي؟

-أنا وعدتك. كامري موديل السنة، ويمكن قبل عيد ميلادك حتّى، ويمكن يتأخر شوي، بس أول ما نوقع عقد المستشفى بتكون المفاتيح في جيبتك، هذا وعد مني.

-ومتأكدين منه حبيبي مشروع المستشفى هذا؟

-طبعًا متأكدين شو هالحكي؟ متفق أنا والدكتور نشأت على كل شي، وموقعين مذكرة تفاهم، هم بستنوا التمويل من البنك ونبدأ. وهاليومين واعدينه.

***

-نشأت. ما صار وقت تشتري لنا المزرعة اللي وعدتنا فيها؟ والله كل ما أشوف مزرعة رغدة أختي وكيف مبسوطين فيها إنه قلبي بنقبض.

-نسرين شو مزرعة رغدة هاي!؟ أنا بس ينبنى هالمسستشفى ويشتغل أول سنة بس، إلا أجيب لك قدها عشر مرّات. أكبر وأحلى مزرعة في الصبيحي كلها فدوى لعيونك حبيبتي. ولو.

-إن شاء الله يا حبيبي يوافقوا لك بكره عالتمويل وتعمل أكبر مستشفى.

-ما فيها إن شاء الله حبيبتي. بكرة 100٪ موافقين. كلهم دافع لهم أنا. شو مزح بتفكري هي؟ بكره عشرة الصبح اجتماع لجنة التمويل. وخلص!

***

-معلمي فرحان، أما وقد جنّ الليل وهجع الناس. فإن في قلبي سؤالًا يراودني منذ فترة، وأود منك الإجابة عليه.

-سل يا فتى.

-كيف للمؤمن يا معلّمي أن يفهم كيف يوزع الله الرزق!؟ فإني أرى الله قد يبسط للغني الفاسق، وقد يمنع الفقير العابد. قد يبسط للجاهل المبذّر، ويمنع العالم الحريص. وفي صدري شيء من ذلك.

-اعلم يا فتى أن فهم توزيع الرزق، لهو فوق طاقة استيعاب البشر، وإن كنت ترى الله يبسط للغني الفاسق والجاهل المبذّر. فقد سبق في علمه أن هذا الرزق لا يستقر عندهما، بل يتعداهما إلى حيث يريد الله. ويدور هذا الرزق بين الناس في دائرة لا يعلم أبعادها إلا الله. وما يبدو لك كشيء غير منطقي إنما هو قمة المنطق. لكن عقلك يعجز عن إدراكه لنقصه عن رؤية الصورة الكاملة.

ولتقريب هذا لذهنك، فحال الرزق بين الناس هنا هو كحال المطر بين الأشجار والحشائش، فهل بإمكانك أن تفهم لم أمطرت السماء بغزارة هنا ولم تمطر هناك؟ لا يمكنك ذلك. إنما ترى بعد هطول المطر وجريان الأودية أن كلًّا ناله رزقه بما يكفيه، وأعطى الله ما أعطى ومنع ما منع، لحكمة لا يعلمها إلا هو.

وعلى هذا فقس، ولا تجعل تفكيرك في هذا الأمر يتجاوز إيمانك بحكمة الله وتقديره، ولا تجعل نصيبك من موضوع الرزق إلا العمل، وتحري الحلال، والدعوة بأن يغنيك الله بفضله عمن سواه، أذّن لصلاة الفجر يا فتى، قلوب المستغفرين حيرى تنتظر .

***

-أعزّائي المستمعين الكرام. الساعة الآن تمام الحادية عشرة صباحًا بتوقيت عمّان وما حولها، حان الآن موعد موجز أخبار الوطن وفيه،

قام جلالة الملك اليوم بزيارة تفقدية ل. ....

***

-ألو، الحلوان دكتور نشأت الحلوان !

-أحلى حلوان خليل، بشّر!! شو صار؟

-قبل دقيقة خلّص الإجتماع، وافقت لجنة التمويل على تمويل المستشفى.

-أوووه، شابووووه خليل، ممتاز ممتاز ممتاز، ساعة زمن وبكون عندك!! جهز العقود وأحلى حلوان إلك.

-الله يبارك فيك دكتور، احنا بخدمتك، بس خلي الزيارة لبكرة، لأنه لسه لازم تيجينا الموافقة من الفرع الرئيسي للبنك في دبي، إجراء شكلي روتيني، بس بيخلص بكرة.

-تمام تمام تمام، بكرة الصبح أنا عندك .

-شايفة يا نسرين؟ شايفة؟ قلت لك! راح يوافقوا يعني راح يوافقوا !

-ألف مبروك حبيبي، بتستاهل كل خير.

-خليني أحكي مع المقاول خلص! الأسبوع هذا راح نبدأ .

***

لحظة لحظة مرام، هذا الدكتور نشأت، لحظة.

-ألو، هلا دكتور.

-أهلًا ماهر، كيف حالك؟

-بخير من الله، الله يسلمك، أنت كيف أمورك؟

-تمام يا ماهر تمام، خلص البنك وافق على التمويل، وبكره الفلوس بتكون بالحساب، جهز لي آخر نسخة من العقود ومرّ علي بكرة نوقعها، بدنا نبدأ هذا الأسبوع إن شاء الله.

-ألف ألف مبروك دكتور، تستاهل كل خير، بكره بإذن الله العقود كلها عندك، وما بنخيب ظنك إن شاء الله.

-هلا هلا دكتور.

-شايفة؟ مش قلت لك يا أميرتي ممكن قبل عيد ميلادك تيجي السيارة؟ بس صبر ما في !

-حبيب قلبي أنت، روحي أنت، أصلًا ثقتي فيك ما لها حدود.

-خليني أكلم يوسف بس، عشان يحضروا للمشروع، لحظة.

***

-ألو. يوسف كيف حالك؟

-أهلًا مهندس ماهر، الحمد لله.

-يوسف حبيبي، حكوا معي جماعة المستشفى بكرة توقيع العقد،، جهز لي اليوم ثلاث نسخ من العقد، وإبدأوا تحضير للموقع، شوف نقل الكرفانات والسور ورتب الموضوع، السبت راح نبدأ.

-مبروك مهندس ماهر، مبروك.

-الله يبارك فيك، ومش ناسيك أنا ترى، البونص زي ما وعدتك، أول ما نوخذ الدفعة بنزل في حسابك، بس بدي تشد همّتك بالمشروع هذا.

-إن شاء الله ما بخيب ظنك مهندس.

-إن شاء الله. يلا جهز لي العقود والكرافانات واحكي مع المقاولين.

-حاضر مهندس ماهر، حاضر.

***

-ألو.

-هلا يوسف.

-زوجة المهندس يوسف الحبيبة. بإمكانك هذا الأسبوع تنقي أحلى طقم ذهب في عمّان.

-جددددد!؟؟؟ نزل البونص ؟؟

-ما نزل لسه. حكى معي المهندس ماهر. وقال بس أحضر العقود. توقيعها بكرة. وبلسانه قال لي البونص خلال يومين.

-يا رب! يا رب! روعة روعة روعة !!

-طيب انبسطي. بس خليني أروح.. بدي أحكي مع المقاولين وأجهز للمشروع. فش وقت!

***

خديجة!! خديجة!! سكتي الولاد! هذا المهندس يوسف! وك سكتيهم!!!

-ألو، هلا مهندس.

-هلا خالد، كيف حالك!؟

-الله يخليك مهندس، الحمد لله .

-خالد.. تقريبًا وقعنا عقد المستشفى، تعال بكرة عشان نوقع معك، وجهز لي العدة كلها، راح نبدأ حفر السبت، وبدنا قبل الخميس نصب النظافة.

-مبروك مهندس مبروك! بكرة من النجمة بكون عندك!!

***

-وك شايفة يا خديجة شايفة؟ ظليتك تقولي بضحك عليك المهندس يوسف! سمعت بذانك؟؟ سمعت؟ وك راح نغتني ولك! راح نغتني ونقب على وجه الدنيا!!

وراح أرميه التخت المزقزق اللي مزعجك هذا! وأجيب لك اثنين بداله!!

-ههه، حبيبي انت! اليوم راح نودعه بس، روح بكير.

-هههه، طيب، خليني أروح أشوف العمال وين صاروا وأحضر الخشب والجكات، أبوك يالشغل!!!

***

-بتعرف يا مصطفى! عمري ما تصبحت فيك وما شفت الخير! أنت وجهك حلو علي يا أخي، أقول لك؟ وهاي أحلى عشر ليرات حلوان عشان وجهك الحلو هذا!! بس تسألنيش ليش !

-الله يكرمك يا سيّد خالد! والله ما إله داعي.

***

-تفضل يا أبو سماعين، هاي عشر ليرات وهات لنا اللعبة، هاي ربّنا رزقنا من عنده، بدناش جميلة حدا!!

لا مش هاي.. هاي طرف الكرتونة مطعوج، بدنا واحدة جديدة.

-تفضلي ست سناء، هاي واحدة جديدة.

***

شكرًا يا الله إنك سمعتني. والله إنّي بحبك. كتير. والله راح أحفظ كل السورات اللي وعدتك فيهم. بس بعد ما ألعب شوي باللعبة. بس شوي.

معلش. طيب؟

***

أعزائي المستمعين. تمام السابعة مساءً في عمّان وضواحيها. هذا موعد موجز أخبار الوطن.

-زار جلالة الملك اليوم دار....

***

-شو مالك حبيبي نشأت شو في!؟ مين على التلفون؟ خوفتني.

-هذا خليل. مسؤول البنك. رفضوا مشروع تمويل المستشفى .

-أوففف! كيف؟ مش الصبح وافقوا؟

-فرع عمّان وافقوا. وحكى لي إنه بعتوا للفرع الرئيسي في دبي. إجراءات شكلية. قبل شوي حكى لي إنه الفرع الرئيسي رفض. بدهم يعملوا إعادة هيكلة. ووقفوا تمويل أي مشروع.

-شو هادا يا ربي شو هادا!؟ مش معقول!!! شو هالحظ هادا!؟؟

***

واحذر يا فتى. أن تخدعك نفسك فتتوهم أن بشرا مثلك قد ينفعك أو يضرك. فإن الإنسان عاجز عن إنفاذ مشيئته بمفرده. ولا يملك نفع نفسه فينفعك. أو يملك دفع الضرعن نفسه فيدفعه عنك. إنما هي أوهام وآمال. تعلق نفسك بها فيصيبك الخذلان والندم. ومن لم يخذلك قصدا وهو لك كاره. خذلك عجزًا وهو لك محبَ.

لذلك علّق قلبك دائمًا بمن لا يحتاج إلى غيره لإنفاذ مشيئته. وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن. فيكون. وإذا سألت فاسأل الله. وإذا استعنت فاستعن بالله.

المجد

أحد أهم الشخصيات التي أثرت في وجداني وتفكيري، والتي أستحضرها بشكل شبه يومي تقريبًا، هو أويس بن عامر القرني، الاسم يبدو مجهولًا، ولا شك أنك بدأت بحك ذاكرتك الآن، إن كان هذا من الصحابة أو من المبشرين بالجنة أو ما إلى ذلك، ولم تهتد إلى إجابة، وهنا تكمن عظمة الرجل فيما أعتقد، أنك لا تكاد تعرف عنه شيئًا.

قبل خمسة عشر قرنًا، وفي جلسة بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعمر بن الخطاب، قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لعمر، "يأتي عليكم أويس القرني مع أمداد من اليمن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بار، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل"، ويموت الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويموت أبو بكر، ويحكم عمر في أمور المسلمين، وتمر السنوات، وهو في كل عام، يسأل وفود حجاج اليمن عن شخص يسمى أويس القرني، ويردون أنهم لا يعرفونه، حتى يأتي عام 23 للهجرة، وفيه يلتقي عمر بوفود اليمن، ويسأل - كعادته - عن أويس هذا، فيقولون أنه راعي إبلنا، فيذهب عمر نحو الإبل ويلتقي الرجل، فإذا هو هو، وبعد أن يستغفر لعمر كما جاء في الأثر، يسأله عمر عن وجهته، فيقول أنه يقصد الكوفة، وعندما يعرض عليه عمر أن يجهز له راحلة أو يوصي عليه واليه على الكوفة يقول بكل بساطة وتواضع " لأن أكون في غبراء الناس، أحب إلي". يعيش أويس في الكوفة، ويموت شهيدًا في إحدى المعارك، وتتحدث الروايات أنه لم يعرف له قبر .

فتى راعٍ للإبل، رث الثياب، خامل الذكر، لا يعرفه من أهل الأرض أحد، ربما يطرق الأبواب فيطرد عنها، ربما يطلب فتاة للزواج فلا يعطى، ويمر بين الرجال فلا يؤبه له، ومع ذلك، فهو عزيز عند الله لدرجة أن الله يجيب أي دعاء له، وبشكل فوري كما يوحي الحديث، فما هي المقاييس التي نقيس بها الناس؟ المال؟ الشهرة؟ الجاه؟ السلطة؟ الحشم، الخدم؟ الحرس؟ السجاد الأحمر؟ الكراسي؟ العروش؟ ماذا؟ هذا كله سراب في سراب.

ربما من يهتف الناس باسمه لا يساوي عند الله خردلة، وربما من نقفل الباب في وجهه هو أويس آخر، نحن في عمى كامل عن معرفة القيمة الحقيقية لكل إنسان، وهذا برأيي أدعى الأسباب لأن نتعامل مع الكل بتواضع وتقدير، يسألني أحد القراء عن تعريفي للمجد، وإن لم يكن ما كانه أويس هو المجد، فلا أعرف ماذا يمكن أن يكون.

الاشتهاء

أنت لا تفهم الأمر على حقيقته. أنا لا يخيفني الفشل. ولا يزعجني ضياع المجهودات سدى. ولا يعنيني في نهاية الأمر ألا أحقق شيئًا يذكر. ما هكذا تقاس الأشياء. هذه مخاوف الأطفال والحالمين. أما أنا فقد اعتدت ذلك. لكن ما يرعبني حقيقة. هو اختفاء الرغبة. هل تعلم ماذا تعني الرغبة لرجل مثلي؟ هل تتخيل أن أستيقظ يومًا ما فأجد تلك النار القلقة في صدري قد انطفأت؟ أو أن يختفي توهج عيني؟ أو أن أنظر إلى الناس والأشياء ببرود وكأنني ثور محنط؟

لا أعد نفسي شخصًا عاديًا. ولا يهمني كثيرًا أن يراني الناس كناجح أو فاشل. إن معظم عالمي يدور داخل نفسي. ومعاركي أخوضها داخل عقلي. وإن كان الآخرون رضوا بأن تضيع حيواتهم في مقابل القليل من الحديد والخشب والقماش والذهب الأصفر فأنا لم أفعل ذلك. وإن كانت خطتهم تقضي أن يعملوا كعبيد لأربعين عاما مقابل أن يمضوا شيخوختهم ممططين كفقمات فوق الأرائك فأنا لم أخلق لهذا. ولم أسع يوما للحصول على ما يجب الحصول عليه. بل ما أحب الحصول عليه.

نعم لقد مررت بالحزن. لكن الحزن لم يكن قط كهفًا أعتكف فيه. بل جسرا أعبره إلى ما سواه. وإن كنت قد رأيتني محطمًا وبائسًا في لحظات ما. فلم يعن ذلك قط أن البحر الذي في داخلي قد هدأ واستكان. أو أن الريح التي تعوي في داخلي قد صمتت. إن الحزن ليس نقيضًا للحياة بل هو جزء منها. وهل بإمكاننا أن نفرح دون أن يكون عندنا استعداد للبكاء؟ هل يمكننا أن نسعد برؤية مولود جديد دون أن نكون قادرين على الحزن لوفاة عجوز؟ أو هل يفرحنا انتشار شذى الأزهار ولا يحزننا جفاف النهر؟

لقد عشت حياتي كلها ممتطيًا حصان الرغبة. موجهًا بصري لا نحو ما أملك. بل نحو ما لا أملك. حاملًا قلق الصياد الأبدي في قلبي وعيني. مترقبا أن يحدث شيء أو ألا يحدث شيء. منصتا لكل صوت ولكل صمت. ومحدقًا في كل ما أرى. ولا يحركني في كل ذلك إلا شبقي. بالإنسان والأشياء. لذلك إذا ما رأيتني يومًا ما منطفئًا كموقد مهجور. أو هادئًا ومستكينًا كساعة حائط. فلك حينئذ أن تدفنني. إن انعدام الاشتهاء هو الموت.

الخطيئة الظاهرة

كرجال، فإن الزنا يا عزيزتي لا يعلق بأجسادنا، كما أن المال الحرام الذي نبتت لحومنا منه، لا يترك فيها أي أثر. والكذب كما تعلمين، لا يلوّن ألسنتنا بالأزرق، كما أنه لا يمكن لأحد أن يعرف كم نحن ظالمون وجشعون ومستغلون وسفلة. وحتى وإن حدث وحطمّنا حياة إنسان ما -كما يحصل دائما -، فإن ذلك لا يبدو أبدا على هيئتنا.

الخطيئة الوحيدة التي يمكن للجميع ملاحظتها، هي ملابسك كامرأة، ولهذا يحدث كل ما يحدث.

تنويعات على مقام الريحان

-أخلاقك وشخصيتك مفيدة لك، لكن عندما يتعلق الموضوع بتقييم الناس لك، . فإن ما تملكه هو الشيء الوحيد الذي يهم.

-من المهم أن تعرف أن جزءًا كبيرًا من فقرك هو فقر مصطنع ناتج عن سياسات حكومية، لكن من المهم أيضًا أن تعرف أنك لن تستطيع أن تفعل شيئًا حيال ذلك.

-القبلات لا تؤخذ عنوة ولا تؤخذ بالتراضي. إنما تؤخذ في منزلة بين المنزلتين .

-الناس لا يهاجرون من أوطانهم بدافع الفقر، بل بدافع الإحباط، . لذلك فالأوطان الجميلة ليست هي الأكثر غنى، بل الأكثر عدالة.

-لا شيء يكشف عمق الإنسان أو سطحيته، أكثر من تفضيلاته الكوميدية، ما يضحكه وما لا يضحكه.

-في الإسلام مدرستان فكريتان، العقل والنقل. إذا ما أردت أن تعرف لأي مدرسة ينتمي أي شخص، ما عليك سوى سؤاله عن رأيه في ختان الإناث.

-التشاؤم ليلًا والتفاؤل صباحًا هي أفضل واقعية ممكنة .

-هدف الزواج هو السعادة، وليس إنجاب الأطفال، فمتى فقدت السعادة، فقد الزواج هدفه، لكنك وقتها ستكون قد أنجبت، فلا مفر، امضغ أحزانك يا أخي واستمر.

-في كل قصص الأنبياء، الشر كان ينتصر على الخير، لكن التدخل الإلهي هو من كان يقلب الموازين، أي أن الشر فعليًا هو الأقوى، ومع أنك لا تمتلك تدخلًا إلهيًا لصالحك، إلا أنه يمكنك الاستمرار في أحلامك .

-جزء كبير من قلقك، نابع من خوفك أن يحزن المحيطون بك، وليس أن تحزن أنت، تخلص من هذا القلق.

-إذا كان لديك مشكلة تؤرقك في جسدك. فمن المفيد لصحتك العقلية أن تعرف أنك لست جسدًا فقط. بل أنت جسد وروح. لتتأكد من ذلك حرفيًا. حدق في المرآة لخمس دقائق. حينها سترى جزأيك بوضوح تام.

-لو سئل أي رجل في الدنيا إن كانت الفتاة التي أحبها هي أجمل فتاة شاهدها. سيكون رده بالنفي. نحن نقول لحبيباتنا أنهن الأجمل لأننا فقط نراهن كذلك. أو لأنهن يحببن سماع ذلك. لكن الحقيقة أننا ما يعجبنا في النساء هو الأنوثة. هذا المزيج السحري من خفة الروح والثقة التامة بالنفس. لكن المحزن فعلا أن الفتاة التي لا تمتلك الجمال. تخسر هاتين الصفتين بسبب الاكتئاب.

-كلام الناس السيئ هو عذاب بالمعنى الحرفي للكلمة. وذلك أن من نعيم الجنة أن لا تسمعه "لا يسمعون فيها لغوًا ولا كِذابًا"

-أفضل علم بالجنس. هو الجهل به.

-لا يمكن لأي إنسان أن يحافظ على حقيقة أن جميع جوانب حياته تعمل بشكل صحيح. دائمًا سيكون هنالك جانب أنت مقصر فيه. عملك. عبادتك. دراستك. علاقاتك العائلية. صحتك. لا تشعر بالهزيمة ولا بالذنب. فقط داور اهتماماتك من وقت لآخر

-يعتبر الأمريكيون فيلم الخلاص من شاوشانك أحد أعظم أفلامهم. ومع ذلك لا يوجد فيه أي دور لأي امرأة. وصور بشكل شبه كامل في سجن للرجال. مخطئ من يعتقد أن السينما الجيدة هي السينما العارية.

-لتتمتع بصحة عقلية جيدة. حاول دائمًا أن تكون دائرة اهتماماتك مطابقة تقريبًا لدائرة تأثيرك. سقاية شجيرات منزلك قد تكون أهم من تنظيرك لحماية مسلمي الروهينجا.

-إذا مر بك موقف معين. وأحسست أن هنالك شيئًا مضحكًا لا بد أن تقوله لكن تخشى ردود فعل الناس. فقم بقوله واقلق بشأن النتائج لاحقا. عندما تكبر فإن هذه المواقف هي من ستضحكك. ولن يضحكك تذكر كم كنت مؤدبًا.

-يخطئ من يظن أن الليل هو وقت الحب الأنسب. لا وقت أفضل للحب من الصباح. الليل أكثر سترًا. هذا كل ما في الأمر.

-صراحة كبار السن لا تعني أنهم وقحون. لكنهم وصلوا لمرحلة من النضج. بحيث يسمو قول الحقيقة على أي اعتبار آخر.

-لا يمكن أن يجتمع سب الناس وتحقيرهم مع الإيمان في قلب واحد. لا يمكنك أن تحب الله وتحقر خلقه في الوقت نفسه.

-في فيلم الانفصال لجينيفر أنستون. تطلب صاحبة معرض اللوحات الفنية من أنستون أن تدخل إحدى اللوحات إلى المخزن لأن أحدًا ما لم يشترِها. ترد الموظفة أنستون. أنها لوحة فنية رائعة. ومن الظلم أن توضع في المخزن. فترد صاحبة المعرض

.It’s not art .If it doesn’t sell

هذه الجملة العظيمة هي أفضل ما قرأت في علم الاقتصاد. عندما تفكر في اختيار تخصصك أو مهنتك. فكر بها مليًا.

-تأثير المهنة على أخلاق ممارسيها واضح وجلي. لذلك ليس من التعنت أن يكون لديك قائمة بالمهن التي لا تحب أصحابها. كالمحامي مثلًا. أو خريج كلية الحقوق، أو المشتغل بالمحاماة، إلخ.

-بعكس ما تصور ناشيونال جيوغرافيك الأسد بأنه صياد لا يقهر. إلا أنه ينجح فقط في ربع محاولاته للصيد. ومع هذه النسبة الضئيلة – التي تشاركه فيها معظم الضواري- إلا أنه من المستحيل أن ييأس. السبب الرئيسي في ذلك لا يرجع للجوع كما قد يظن البعض. بل يرجع لأن الحيوانات مبنية غريزيًا على استيعاب قانون الجهود المهدورة. وهو القانون الذي تعمل به الطبيعة كلها. نصف بيوض الأسماك يتم التهامها. نصف مواليد الدببة تموت قبل البلوغ. معظم أمطار العالم تهطل في المحيطات. معظم بذور الأشجار تأكلها العصافير. وغيرها وغيرها من هذه الأمثلة ما لا يعد ولا يحصى.

وحده الإنسان من يرفض هذا القانون الطبيعي الكوني ويعتبر أن عدم نجاح أي محاولة هو فشل. لكن الحقيقة أن الفشل الوحيد هو التوقف عن المحاولة. النجاح ليس أن يكون لديك سيرة حياة خالية من العثرات والسقطات. النجاح هو أن تمشي على أخطائك. وتتخطى كل مرحلة ذهبت جهودك فيها هدرًا وتتطلع

للمرحلة المقبلة. لو كان هنالك من حكمة تلخص هذه الدنيا فستكون بكل بساطة. "استمر".

جاويد خان

حدث ذلك منذ أربعين عامًا. كنت أعيش في "موران" في ذلك الوقت. وكنت منتسبًا في السنة الثانية في كلّية الطبّ. شابًا جامحًا يبحث عن نفسه وعن المعرفة. كان الفصل شتاءً. وكانت الاضطرابات تملأ المدينة. بدأت الأحداث عندما قتل مرتضى حيدر أمين عام حزب الحق بتفجير سيّارته. وردّت الميليشيات التابعة لحزبه في اليوم التالي بقتل أمين زركلي، مفتي المدينة، مع زوجته وابنه. ثم اشتعلت المواجهات في عدة أحياء. كان أشرسها مواجهات مسلّحة يوم الجمعة في محيط مستشفى الصّفاء. قتل فيها أكثر من ثمانين شخصًا من الجانبين. مما اضطر الحكومة لفرض حظر التجوّل. وبدأت محاولات حثيثة للوصول لحلّ سياسي.

وبينما كان الخوف والترقّب يملأ النفوس. بدأ تساقط كثيف جدًا للمطر مصحوبًا بعواصف رعدية شديدة ورياح قارسة البرودة. كان الوضع سيئًا لدرجة أنه تمّ تعطيل الدوائر الحكومية ولم يستطع أحد الخروج من بيته إلّا للضرورة. قيل لاحقًا أن تلك كانت كما يبدو رسالة من السماء لكي يهدأ الجميع.

في صباح الجمعة التالية طلعت الشمس، وخرج الناس لأول مرّة من بيوتهم. كانوا مرتاحين ومتوجّسين في الوقت نفسه. كانوا كمن نجى من غضبٍ لا يعرفون كنهه ولا مصدره. وتزامن ذلك مع إعلان الحكومة إنهاء حظر التجوّل وعودة المؤسسات الحكومية للعمل. يوم السبت عدنا إلى الجامعة. كان ذلك أول أيام الفصل الثاني. وكطلبة في كلّية الطبّ كان لزامًا علينا أن نأخذ عدة مسافات في الكلّيات الإنسانية. وفي محاضرة مدخل إلى التاريخ الإسلامي. رأيت جاويد خان لأول مرّة.

دخل إلى القاعة بهدوء وتواضع. ولولا أنه وقف وبدأ بالتعريف عن نفسه. فلم نكن لنميز أنه هو المحاضر. بدا وكأنه واحدٌ منا. كان شابًا باكستانيًا في منتصف الثلاثينات من عمره. عرّف عن نفسه بعربية سليمة باسم جاويد خان ولم يستخدم لفظ "دكتور". باكستاني يحمل الجنسية البريطانية وشهادة الدكتوراه

من جامعة بيرمنغهام في الدراسات الإسلامية. وأنه هنا في برنامج للتبادل الأكاديمي لمدة ستة أشهر.

ثم أضاف مازحًا أنه وصل المدينة منذ عشرة أيام مع زوجته وطفلته، وأن هدفه الأساسي من الاشتراك في برنامج التبادل الأكاديمي هذا كان رؤية العالم العربي والشرق عن قرب، لكن بعد ما رَآه في أيامه الأولى، فإن هدفه الآن ربّما يتلخص فقط في أَن يبقى رأسه بين كتفيه، بعد ضحكات خفيفة تجاوبًا مع دعابته السوداء، نزع معطفه الأسود الطويل وذهب إلى السبّورة وكتب عليها بخط عربي واضح، "حمزة بن عبد المطّلب". ثم إستدار وبدأ في الكلام.

حكى لنا في البداية، قصة عن أستاذه في جامعة بيرمنغهام وأحد أفضل أصدقائه، كولومبي في أواخر الستين من العمر يدعى سيزار رودريجيز، يعمل كمحاضر لمادة الكيمياء الحيوية منذ ثلاثين عامًا وكان أستاذه في مرحلة البكالوريوس، أخبرنا جاويد أن رودريجيز هذا، بدأ عندما أصبح جاويد أستاذًا في الجامعة بسؤاله عن الإسلام ومناقشة بعض الأفكار الإيمانية معه، وبعد سلسلة طويلة من المناقشات، كانت فرحة جاويد عارمة عندما قرر رودريجيز اعتناق الإسلام، وبدأ فعلًا في الصلاة والصيام وامتنع عن الخمر والخنزير والنساء وحوّل حياته لحياة شخص مسلم.

ثم حدث بعد أن انتظم رودريجيز في حياته الجديدة كمسلم، أن أهداه جاويد بعض الكتب الإسلامية التي تضمنت الأحاديث النبوية وبغض الكتب عن تاريخ الإسلام والفتوحات وما إلى ذلك، وهنا كانت المفاجأة لجاويد، قال له رودريجيز أنه يشكر اهتمامه وكرمه، ويُقدِّر هذه الكتب كثيرًا، لكن حياته لم يتبق فيها الكثير، ولا يريد الآن سوى قراءة القرآن الكريم فقط، لأنه يعتقد أن هذا الكتاب يحتاج إلى عشر سنوات على الأقل لقرائته وفهمه. ثم استطرد جاويد فقال أنه بعد عامين من ذلك الحوار، أصيب رودريجيز بحمّى شديدة أقعدته الفراش ومات على إثرها، ولم يكن قد ذهب للحج كما كان يخطط ولم يصل في القرآن إلا لسورة النساء التي فتنته.

بعد قشعريرة بسيطة ودعوات بالرحمة لأخينا الكولومبي الذي لم نعرفه، سألنا جاويد إن كنا نعرف شخصًا مسلمًا له قصة مشابهة لرودريجز، أسلم وطبق أركان الإسلام وقرأ القرآن وصلى وتصدق لكنه يجهل كل شيء عن تاريخ الإسلام،

ولا يعرف الخليفة أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الصحيحين ولا فتوحات الإسلام ولا أي شيء من هذا القبيل، وقبل أن يجيب أحدٌ منا، أشار إلى السبّورة نحو ما كتب سابقًا "حمزة بن عبد المطّلب".

وبعد فترة قصيرة من الدهشة، باغتنا جاويد بسؤال آخر وقال، "هل تعتقدون أن أيًا من هذين الرجلين، حمزة - سيّد الشهداء - وورودريجز، إسلامه ناقص مثلًا؟"

لم يجب أي منا على السؤال. كانت الإجابة الصحيحة هي النفي، لكننا كنا في حالة صدمة وكأن على رؤوسنا الطير، وخيّم صمت كامل على القاعة، قطعه جاويد بقراءة القرآن بصوت رخيم وخاشع فقرأ، "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا".

ثم أكمل بصوت جهوري وحازم "وهذا هو بالضبط محور مساقنا لهذا العام، الإسلام اكتمل بعد حجة الوداع، أي شيء حدث بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يمكن نسبه للإسلام، يمكن نسبه للتاريخ، للحضارة، لمسيرة الجنس البشري، لأي مفهوم معرفي آخر، لكن ليس للإسلام، الإسلام اكتمل وانتهى كدين بعد حجة الوداع.

وعليه، فإنني وبكل ثقة أقول أن التسنن والتشيع وبقية فرق الإسلام لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار وجودها وكينونتها جزءًا من الدين الإسلامي، هي موجودة فعلًا لكنها موجودة خارج سياق الإسلام، متعلقات حضارية بِه، لكن ليست جزءًا منه، أي أن المرء يمكن أن يكون مسلمًا مكتمل الإسلام دون أن يكون سنّيًا أو شيعيًا أر صوفيًا أو غير ذلك، مسلم فقط." بعد كمّ من الاستغفارات والتململ والهمهمات، استدرك جاويد خان فقال أنه يعرف أنه كلامه قد يكون صادمًا للبعض، ومنافيًا لاعتقادات البعض الآخر وربَما توقيت الكلام له تأثير، لكنه لم يأتِ هنا ليتفق مع الجميع، ولا ليفرض رؤيته عليهم، بل جاء ليطرح ما لديه ونتناقش جميعًا سعيًا وراء الحقيقة.

تحدث بعدها جاويد عن محتويات المساق بشكل مختصر، وقال أننا سندرس ما يسميه هو "تاريخ العرب بعد الإسلام" وليس تاريخ الإسلام أو التاريخ الإسلامي كما هو شائع، لأنه سبق وأسلف أن الإسلام كمشروع ودين اكتمل وانتهى بوفاة النبي عليه السلام، وهنا أشار جاويد أن من أحد أكبر أخطاء المؤرخين كانت في

ربط التمدد الحضاري للدولة العربية الناشئة بالإسلام نفسه. بحيث أن المسلم العادي لم يعد يميز بين الدولة القومية أو ما فوق القومية التي قادها العرب وبين الدين الذي يعتنقه أفرادها. بحيث أنه أصبح يعتبر فترات ضعف ما يسمَى بالأمة الإسلامية كفترات ضعف للإسلام نفسه وتدين الناس. وهذا ربط خاطئ وخطر.

كما أن من أسوأ أثار هذا الربط. أن التدين الجمعي في عقل المسلم أصبح أهم من التدين الفردي الذي هو أسَ رسالة محمد. ولا أدل على ذلك أن المسلم العادي اليوم يفرح كثيرًا بدخول عشرة فلبينيين لا يعرفهم للإسلام ولا يحزن على أن صلاة العشاء فاتته هو شخصيًا. وهو تناقض صارخ ومرير لكن مبرّر ومنطقي في ظل هذا الخلط. مع نهاية المحاضرة كان ذلك الشاب الباكستاني البسيط قد أثار الكثير من الأسئلة والإعجاب في داخلنا. وبدا أن هذا المساق يعد بالكثير. لكن بدا واضحًا أيضًا أنه أثار الكثير من السخط لدى البعض. فبمجرد فتح باب الأسئلة قام أحد الساخطين وسأل جاويد بلهجة تقريرية حادة. عن تعريفه للسنة والشيعة إن كان يعتقد أنهما ليسا من الدين.

بابتسامة هادئة رد جاويد أنه كمسلم غير عربي. يعتقد أنها خلافات سياسية عربية عربية تمايزت دينيًا لكسب الأتباع. وأنها لا تعنيه حقيقة. ببساطة لأن هذه الخلافات لا تحلَ إلا بإخراج أطرافها من قبورهم وهذا مستحيل. ولتقريب مفهومه. قال أن هذا يشبه أن يكون النبي باكستانيًا ثم يضطر العرب لمعاداة بعضهم لأن صحابيًا من البشتون اختلف مع صحابيٍ من البنجاب.

وعليه. فالواجب كما قال هو ليس السعي نحو التسامح لأنه في حقيقته تكريس للاختلاف. بل تجريم التحزُب أصلًا. والتركيز بشكل أكبر على التدين الفردي الذي نزلت به رسالة محمد دون النظر لما حدث من خلافات بعد ذلك. وأنه ما لم يتم إعادة تعريف الأشياء كما يجب أن تكون. والتركيز على رسالة الدين الأخلاقية. فسيستمر العرب في طحن أنفسهم فكريًا وموارديًا في هذا الاختلاف العقيم. وهذا لا يشكل فقط راحة لأي قوى استبدادية أو استعمارية. بل ويهدد مستقبل المنطقة. بما هو أكبر من احتقانات طائفية. بل بحرب شاملة تأكل الأخضر واليابس. وقودها شباب مسلم لا يمانع أن يرتكب جريمة القتل دفاعًا عما يعتقد أنه الإسلام أو بدقة أكبر المفهوم المشوه للأمة الإسلامية. وقال أن هذا هو محور كتابه الذي يعمل عليه ويأمل أن ينتهي منه قريبًا. وهو بعنوان " الإسلام بعيون غير عربية"

خرجت من محاضرة جاويد وأنا منتشٍ ومتخم فكريًا بكل ما قال الرجل. وتمنيت لو أنني عرفته من قبل. غادرت حرم الجامعة يومها وأنا في قمة السعادة أنني سجلت في هذا المساق وقابلت هذا الرجل. كنت كمن عثر على كنز. في المساء. كان الجو رائعًا. كانت السماء ترسل رذاذًا منعشًا مع نسمات باردة خفيفة. وغيوم ملبدة سوداء أسهمت في رسم حالة من الحزن الجميل. لذلك قررت استغلال هذه الفرصة وخرجت أنا وزميلي في السكن عبد الحميد للمشي وشراء وجبة عشاء خفيفة.

وصلنا شارع الفارابي. وهو الشارع التجاري المقابل للجامعة. حيث يجتمع الطلاب مساءً لشراء الطعام والمستلزمات. كان شارعًا مرصوفًا بالحجارة ولا يسمح للسيارات بالمرور فيه. يتوسطه صفَان من الأشجار.وتتوزع على جانبيه المطاعم والمحلات بروَادها وكراسيها المتنوعة. وبينما كنت أشرح لعبد الحميد عن أستاذنا الجديد وما قاله لنا اليوم. إذا بي أراه أمامي مع زوجته وابنته الصغيرة. كانوا جالسين إلى طاولة أحد مطاعم الشواء ينتظرون عشاءهم. كان يرتدي زيًا باكستانيًا أبيض ويلاعب ابنته ذات العامين التي كانت تجلس فوق الطاولة. وعلى الكرسي المقابل له كانت تجلس زوجته. التي كانت بدورها ترتدي زيا أحمر مزركشا. وتنظر إليهما بحنان.

لوَحت له بيدي فرد السلام وهو مبتسم ابتسامته الواثقة العريضة. وبينما كنت أقول لعبد الحميد أن هذا هو جاويد خان الذي أخبرته عنه. صمَ أذنيَ أزيز درَاجة نارية مسرعة. تخلله إطلاق كثيف للرصاص. وكعادتنا في تلك المدينة المجنونة. أسرعنا بالانبطاح على الأرض. لكنني وبدون وعي. وفي أجزاء من الثانية وجدتني أنهض بسرعة وأنظر نحو الطاولة التي كان عليها جاويد خان. وكانت الصاعقة التي فطرت قلبي. كان رأسه المبتسم ممددًا على الطاولة الخشبية غارقًا في الدماء. وبينما سقطت ابنته من فوق الطاولة مضرجة بدمائها. كانت زوجته تصرخ بهستيريا مؤلمة وتدور حول نفسها كمجنونة. احسست وقتها أن الرصاص اخترق قلبي أنا. ولا أذكر للآن كيف تمكنت من العودة للبيت.

في الصباح التالي لم أستطع الذهاب للجامعة. كنت كمن قتل وبقي على قيد الحياة. وكان مجرد تذكر المشهد يصيبني بالغثيان وضيق النفس. فقررت البقاء في البيت. أعددت كوبًا من القهوة وجلست أستمع للراديو. في العاشرة صباحًا أصدرت الخارجية البريطانية بيانًا حزينا نعت فيه الرجل. وطالبت رعاياها

بالخروج من المدينة. تبعه بيان للحكومة أعربت فيه عن أسفها الشديد لما حدث وبدء التحقيقات. بدورها نعت جامعة بيرمنغهام الرجل قائلة أنها خسرت أحد أهم مفكريها الشباب.

عندما عاد عبد الحميد مساءً من الجامعة، أخبرني أنه عرف من مصادره أن كلا الطرفين أهدر دم الرجل بالأمس، إنما بشكل شفوي، لكنه لا يعرف بالضبط من الذي حاز "فضل" قتله وإراحة الأمة من شروره. مع غروب الشمس أصدر حزب الحق، بيانًا نفى فيه مسؤوليته عن الحادث، وإن أشار أن الله لا يسامح من يتعدى على آل بيته الكرام باللمز والطعن. كما تَبَرَّأ حزب الأمة المسلمة من قتل الرجل، لكنه دعا كافّة الأطراف لعدم إستفزاز المشاعر الدينية لعموم الأمة.

نقل جثمان الرجل وابنته إلى باكستان حيث دفنا هناك، وتمّ تعيين أستاذ آخر مكان جاويد، عجوز ستيني بدأ يشرح لنا المساق مستعينًا بتاريخ ابن كثير، لم أكمل المساق ولم أكمل دراستي في تلك الجامعة أساسًا. غادرت المدينة متوجهًا نحو أوروبا حيث أكملت دراستي هناك، ثم تخرجت وتزوجت وطوى الزمان جاويد وما قاله، لولا ان ما حدث الأسبوع الماضي قد ذكرني به.

كنت أجلس مع حفيدي أتابع على التلفاز ما يجري في بلدة لا تبعد عن المدينة التي أعيش فيها أكثر من مائتي كيلومتر، دخل المسلحون إلى البلدة بعد تدمير معظم المساكن، وقتل وتهجير سكانها، وضعوا الرايات على المساجد المشوهة بفعل القذائف، ثم بدأوا في ترديد هتافات طائفية بمنتهى الحماسة.

في زاوية المشهد، كان هنالك جثة رجل محني على طاولة، نظرت جيدًا إليه، كانت ابتسامته قريبة جدًا من ابتسامة جاويد، ثم أزاح المصور الكاميرا عنه ووجهها نحو فرسان الإسلام الجدد، كانوا يدوسون جثث أعدائهم ويلعنونها، ثم يصرخون ويضحكون كبرابرة، والدخان كان يملأ الأفق.

رشفة حب

فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟" هذه الجملة قالها الرسول (صلى الله عليه وسلم) للصحابة بعد أن أغضبوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه، بعيدًا عن الإسلام وبالمنطق البشري الخالص. فإن هذه الجملة قيلت من رجل ليس لديه مال ولا متاع، ولا قصور ولا جاه ولا حرس، زاهد في دنيا الناس، لكن في نفس الوقت يتبعه عشرات الآلاف، وعلى استعداد كامل للحرب والموت بإشارة من يده، ومع ذلك لم يسبق أن طلب منهم شيئًا، بل هم من كانوا يتسابقون لرضاه وخدمته وطاعته، وعندما يحين الوقت أخيرًا أن يطلب منهم شيئا، يقول أنّه يكتفي منهم بأن يتركوا له صاحبه؟!!

هذه كمية حب، قادرة على تخضير صحراء.

الفكرة

حتى لو لم يرسل الله رسلًا إلينا لنعرفه، كنا سنخترع قوة عظيمة خفية ونسميها الله، لأنه لا بد من وجود هذه القوة العظيمة في الحياة حتى تتزن، لا بد من قدرة في مواجهة الضعف. صدق في مواجهة الكذب. عدل في مواجهة الظلم. وجود في مواجهة العدم. وحب. حب لا نهائي. وبلا حدود. يشبع قلوبنا المتعطشة للحب. في ظل هذه الوحدة القاتلة. قاسية جدًا هي الحياة بدون فكرة وجود الله. حتى ولو كنا لا نطيعه دائمًا. إلا أن مجرد وجوده ولو بشكل خفي لهو شيء رائع.

تنويعات عن الهوى والسياسة

-رفقًا بالقوارير تعني أنه عندما تقابل أي أنثى. طفلة كانت أو شابة. وقبل أن تنطق بكلمة. يجب أن تهمس في داخلك

"تذكر أنها مصنوعة من الزجاج"

-من الخطأ أن تنظر للفظ "إنساني" بأنه لفظ يحمل دلالة خيرية. الحرب، الغل، الحقد، الحسد، الغيرة، الطمع، الجشع، كلها منتجات إنسانية بحتة.

-الحياة عاملة زي كاندي كراش. كل ما تحل مشكلة. بتكون المكافأة مشكلة أصعب منها. وهكذا دواليك.

-لا أحد يمكنه الإساءة للذات الإلهية ولا للشريعة الإسلامية. ما يتم الإساءة له هو مشاعر المسلمين. والإساءة للمشاعر لا تعاقب بالقتل المرتجل.

-هتقولي بس أنا اجتهدت وهم لأ. أقولك برضه رزق. ليه؟ علشان في ناس كتير ما كانش عندها فرصة تجتهد زي ما كان عندك. تبقى الفرصة دي هي رخرى رزق.

-وهي الحياة إيه يا مخيمر أفندي. غير إننا نصلح اللي كسروه فينا الناس؟

-يمكنك معرفة أخلاق سكان أي مدينة من تصرف طيور الحمام فيها. إن كانت تطمئن لهؤلاء الناس، أو تهرب منهم إلى أعالي الجبال.

" -هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين" لا تقطف عن الشجر. لا تشترى من السوق، ولا تؤخذ من الناس، ينزلها الله في قلوب عبادهَ.

-من أصدق ما سمعت في الحب كان قول المغني. "ما قال لي قلبي إنه بيعشق" هذا ما يحدث غالبًا. لا نشعر بالبلل. إلا وقد وصلنا عمق البحر.

-مخطئ من يقول أننا نحب ملامح شخص ما. نحن نحب ما تحت هذه الملامح. وهذا الشيء الخفي الذي تحتها. هو ما نحاول لمسه بالقبلات.

-وكلما نازعتني يا نفس لتعظيم ملكٍ قلت. "هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار. سبحان الله عما يشركون"

-ربما لست قويا كما تعتقد، والأمر فقط أنك لم تمتحن بعد.

-لا تتحدث معهم، ربما لا تعرفهم شخصيًا، لكن وجودهم معك في نفس الزمان وعلى نفس الكوكب يعطيك نوعًا من الأمان والسعادة، تشعر أنك بخير.

-في لحظة ما، ستتوقف خلايا عقلك عن إنتاج السعادة، فيكون الحل بمنح هذه السعادة للآخرين ليعكسوها عليك، ولا أحد يفعل ذلك أفضل من الأطفال.

-يقال أن الموسيقا حرام، ولكنني الآن أتساءل بشكل شخصي، فيما إذا لو لم أستمع لكل تلك الأغاني الجميلة في صباي، فماذا عساي كنت؟ شخصًا بائسًا بالتأكيد.

-وأعوذ بك أن أرى شيئًا جميلًا، فأحجم عن مدحه حسدًا وغلًّا.

-لم أقابل في هذه الدنيا عدوًا أكبر من نفسي التي بين جنبي، كلما هممت بعمل نافع، قالت لي - ليس الآن–

-لعل أحد أهم حقوق الإنسان المهملة، هو حقه في أن يحبه شخص ما، يشتاق له، يخاصمه، يعاتبه، يشعره أنه موجود، حق لا يطالب به أحد، لكنه أساسي.

-سواءً كنت علّامة فهّامة، أو أمّيًا لا تفك الخط، فستترك عقلك هنا، وما تأخذه هو قلبك فقط، "إلا من أتى الله بقلب سليم"

-أستاذي في الجامعة، رزق بتوأم من الإناث، وجاءت إحداهما أكبر حجمًا من الأخرى، فسمى الصغيرة وفاء، والكبيرة وعد، لأن الوفاء دائمًا أصغر من الوعد.

-يضحكني من يقول أن التعدد هو حل للعلاقات العاطفية خارج إطار الزواج، هذه العلاقات في جوهرها، تمرد على فكرة الزواج نفسها.

-تقرأ للرجل كلامًا، فيعجبك ما كتب، فلا تزال تقرأ له حتى تراه يمدح ملكًا أو رئيسًا، أو يحابي ظالمًا، فتنزع يدك منه، وهكذا دواليك.

-تعلم الاستمتاع بأوقاتك العدمية، تفكر في اللا شيء، تنتظر اللا شيء، تفعل اللا شيء، بعد كل حساب، المزاج أهم من الإنجاز.

-وراء كلّ أزمة سير، شخص يعتقد أن وقته أثمن من وقت الآخرين.

-لم أنظر يومًا لبائعات الهوى إلا كنساء بائسات يعملن في وظائف حقيرة. أما الشتائم المرتبطة دلاليًا بهن، فلطالما رأيت نساء أخريات أحق بها وأجدر.

-و يبقى الشعر أجمل ما يقوله الإنسان.

حبيبتي زنبقة صغيرة

أما أنا فعوسج حزين

طويلًا انتظرتها طويلًا

جلست بين الليل والسنين

الراعي

وأنا أقلب أوراقي اليوم، عثرت على صورة قديمة لجدي، كنت في السادسة من عمري عندما رأيته لأول مرّة، كان يعيش في قرية بعيدة، وأخذتني أمي لنقضي إجازة الصيف هناك، بعد سفر طويل لثلاث ساعات، وصلنا إلى القرية، وتوقفت السيارة في باحة طينية أمام كوخه البسيط. سلم علي بيده الخشنة ونظر مطولًا إلى عيني، كان في عينيه بريق غريب لا يوحي بالارتياح، لكنني لم أحفل بذلك. نقد السائق أجرته وحمل الحقيبة الضخمة بيد واحدة ودخلنا إلى الكوخ.

الطابق الأرضي كان مقسومًا إلى جزئين، في الجزء الأيمن غرفة جلوس كبيرة تتناثر فيها مقاعد خشبية يكسوها صوف ملون ويزين جدارها رأس لذئب أسود، وفي الجهة المقابلة مطبخ صغير، وبينهما درج خشبي يقود إلى العلية التي تحتوي غرفتين، نزلنا أنا وأمي في إحداها، بعد أن ارتحنا قليلًا، حضرت أمي إبريقًا من الشاي وجلسنا كلنا في غرفة الجلوس نتحدث، تكلم عن أبي قليلًا، ثم تكلم عن جدتي الراحلة، وبعدها استرسل في الحديث عن غنمه، كان يملك قطيعًا من الغنم ويؤويه في زريبة خلف الكوخ، وكان فخورًا جدًا أنه الراعي الوحيد في القرية الذي لم يستطع الذئب أن يأكل أيًا من غنمه، وتفاخر برجولته أنه هو من قتل ذلك الذئب الأسود الكبير. كانت أمي فرحة كثيرًا بأبيها وطلبت منه أن يأخذني معه لرعي الغنم علني أصبح شجاعًا مثله.

في الصباح الباكر، أخذني معه لرعي الغنم، كان مهووسًا بأغنامه ويحبها أكثر من أي شيء آخر، كان لا يفعل شيئًا سوى مراقبتها وعدها، وكان دائمًا يحذرني أن أغفل عنها كي لا يأكلها الذئب، وحتى عندما كنا نعود من الرعي في المساء، كان يتأكد بنفسه أن المشرب مليء بالماء، وهنالك كفاية من الطعام، وأن باب الزريبة مغلق تمامًا. كنت معجبًا جدًا بحبه لأغنامه وكيف هي أيضًا تحبه، لم يكن يحتاج للنداء على أي منها، كن يتبعنه أينما ذهب.

ذات يوم، وجدته يأتي لغرفتي ويوقظني قبل المعتاد، كانت الشمس لم تشرق بعد، أيقظني بهزة من يده، وأشار إلي أن أتبعه بصمت قبل أن تستيقظ أمي، خرجنا من الكوخ في الفجر البارد، وذهبنا نحو زريبة الغنم، لم تكد الأغنام تراه حتى اقتربت منه، فتح الباب وأخرج اثنتين فقط، كانت كل الغنمات يردن الخروج

لكنه اكتفى باثنتين فقط، وذهبنا نحن الأربعة إلى خلف الزريبة. ما إن وصلنا هناك، حتى أمرني أن أمسك واحدة حيث لا تهرب، لم يكن هنالك حاجة لأمسكها. لكنني فعلت ذلك بخوف وترقب، كان جدي واقفًا بثبات والغنمة الأخرى تمسح رأسها بفخده، فجأة رأيته يمسكها بقوة ويطرحها أرضًا، وقبل أن يفهم أي من ثلاثتنا ما الذي يحدث، كان قد أخرج سكينًا طويلة من اللامكان، وبيد لا ترتعش ذبح تلك الغنمة المسكينة، وألقاها على الأرض تنزف وتنتفض.

حاولت الغنمة الأخرى الهرب، وبدأت قوائمها الأربعة تتحرك بشكل عشوائي وهي تخوض في دم أختها، لم يكن في يدي أو قدمي أي قوة لمنعها، لم أكن أقل ارتعاشًا منها، لمح جدي كل شيء وكان أسرع منا، أمسكها من قدمها، وجرها إليه، وبينما أغمضت عيني، كانت المسكينة تصرخ صرخة الموت الأخيرة، كان هنالك كرسيان حجريان، جلس جدي على أحدهما وطلب مني أن أجلس على الآخر، وبينما أشعل لفافة تبغ، انكمشت أنا على مقعدي أراقب البخارالذي ينبعث من الدم الساخن في برد الفجر، كان الحيوانان المسكينان لا يزالان يتحركان، وانتهى بهما الأمر مكومين فوق بعضهما البعض، وينظران بعيون جامدة نحو جدي.

عندما أشرقت الشمس، قام بسلخ الحيوانيين، ثم ذهب بعد أن اغتسل وأطعم بقية القطيع الذي قابله بحبور وبهجة، قامت أمي بعدها بمساعدة القرويات بطبخ وليمة كبيرة كان جدي أقامها لعمدة القرية، لم أذهب معه بعدها للرعي، تذرعت بالمرض، وبعد يومين غادرت أنا وأمي القرية، ولم أره بعد ذلك، أخبرتني أمي لاحقًا أنه مات محمومًا، وأننا لن نذهب هنالك مرة أخرى، واختفى ذلك الجد المخادع من حياتي، لكن ذلك الفجر البارد لم يختف أبدا، وعلمني عن الدنيا اكثر مما علمني أي شيء آخر، اليوم فقط، عندما دققت في صورته، عرفت ما هو الشيء الذي كان ينفرني منه، كان يملك عيني ذئب، غير أن الغنمات المسكينات لم يكن يرين ذلك، كن ببساطة يحببنه، ويتبعنه أينما ذهب، أينما ذهب.

الاغتيال

ربما من أهم احتياجات الإنسان النفسية هي قبوله في مجتمعه، وأن يكون محط تقدير واهتمام وحب، من أسرته أولًا، ومن مجتمعه الكبير ثانيًا، لذلك دائمًا ما نجد أنفسنا بحاجة دائمة للاحتضان والحب والتشجيع والكلام الطيب، سواءً كنا أطفالا رضع، مراهقين، وحتى كهولًا وعجائز، هذه الحاجة للحب والقبول لا تختفي، ولا تزول بمرور السنين، وتأتي بحسب ماسلو في المرتبة الثالثة بعد الحاجات الجسدية والشعور بالأمان، وتمر هذه الحاجة بثلاث حالات أساسية.

الحالة الأولى والمثالية وهي الإشباع، وهي أن تحصل على كل الحب والتقدير من أسرتك، شريك حياتك، أصدقائك، أطفالك، إلخ. وعندما يصل إليها الإنسان يكون في قمة سعادته وحبوره، الحالة الثانية هي الانعدام، أي أن يعيش الإنسان كأنه شفاف أو مختفي، لا يهتم به أحد، لا يسأل عليه أحد، لا يحتضنه أحد، وكأنه لا وجود له، طبعًا هذه الحالة قد تسبب الوفاة عند الرضع، ولكن يمكن تحملها في مراحل لاحقة وتترجم على شكل اكتئاب.

الحالة الثالثة وهي الأهم وهي موضوع المقال، أن تكون مرفوضًا من مجتمعك، سواء لعيب خلقي، أو خُلُقي أو لأي سبب آخر، وهنا يمارس هذا المجتمع رفضه لك بالضحك عليك، أو السخرية منك، ولعل أوضح مثال على ذلك والمثال الذي أجبرني على الكتابة هي حالة صالون سلوى زايد، وهي كما اتضح سيدة بسيطة تملك صالون تجميل منذ حوالي عشر سنوات في منطقة العقبة، وصدف أن قام أحد مريضي النفوس بنشر صور زبائنها، لتبدأ سلسلة عملاقة من السخرية والاغتيال للمرأة وزبائنها بسبب أنهم يرون المكياج سيئًا، مما اضطر السيدة بعد أن واجهت ما لا يعلم به إلا الله، أن تغلق صفحتها على الفيس بوك، لكن هذا لم يمنع من استمرار السخرية.

والشاهد هنا أنه بغض النظر عن المبرر الذي سمح به هؤلاء لأنفسهم بهذا التصرف الحيواني والسخرية من امرأة لا تعرفهم ولا يعرفونها، ونشر صورها وصور زبائنها بدون وجه حق، إلا ان هذه ليست الحالة الأولى ولا الأخيرة التي تحدث في الأردن، فقبل سنتين أو ثلاثة، قام طفل عمره ثماني سنوات في الأردن بالانتحار لأنه لم يحتمل تنمر الأطفال عليه كونه ولد بلا أصابع في يديه، وإذا كان

من الممكن تصنيف تلك الحالة كفردية، مع أنها ليست فردية، إلا أن حالة ملكة جمال الأردن في السنة الماضية، ثم حالة حارس النادي الفيصلي، ثم حالة هذه المرأة، أثبتت بما لا يدع مجال للشك أن هذا شذوذ فكري مستشري، مرض نفسي مجتمعي يحتاج إلى علاج، وهو شيء لا إنساني، بل إن أقرب تصرف شبيه له هو حالة الحيوانات التي تقتل مواليدها المختلفين جوعًا وإهمالًا.

يقول الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون أن السخرية من الناس هي طريقة لتفريغ غضبنا منهم، لأنهم مختلفون، لأننا نعتقد أننا متفوقون عليهم، ونكرههم لهذا السبب ونود اختفاءهم، لكننا نخفي هذا الكره والرفض بالسخرية، فالموضوع في أساسه هنا هو عقدة نقص شديدة تجاه الآخرين، لذلك فأنت تختلق أي مناسبة للسخرية منهم وتبيان أنك أفضل، مع أنك لو قمت بتحقيق عن عمل هؤلاء الذين يعيبون "عمل" هذه المرأة، لوجدت معظمهم مهملين فشلة، وبدون عمل أصلًا، أي أنها طرف منتج أكثر منهم، ومع ذلك يسخرون منها.

وربما ما سبب تفاقم مثل هذه الحالات المرضية هو ما عبر عنه السيناريست المصري مصطفى حلمي، بمدى خسة ونذالة بعض مستخدمي الشبكات، إذا أصبح بإمكان أي منهم أن يسب إنسان ويحقره من وراء شاشة، ثم يغلق هذه الشاشة بدون تحمل أي عواقب ولا شعور بالذنب فهو لم يؤذ أحدا بشكل جسدي، بينما هو لا يستطيع ذلك في الحقيقة، لأنه لا يود تحمل العواقب، التي قد تكون كلامية أو جسدية.

سرطان السخرية هذا الذي ينتشر بيننا وكأنه من الرائع أن تسخر من الناس لتحصل على بعض الضحك الرخيص وحفنة من الإعجابات يجب أن يتوقف، لأن كل شخص فينا معرض له، أنت معرض لأن يلتقط لك أي سافل صورة في وضع محرج، وربما غير مقصود، لتتحول عبر ساعات إلى مادة دسمة للسخرية من مجتمع بأكمله، ولتدخل بعدها الثقافة المجتمعية كما دخلته سلوى زايد مرادفة للمكياج السيئ

هذا التنمر الإلكتروني عبارة عن اغتيال اجتماعي، قد يودي بضحيته للانتحار، وحدثت عدة حالات موثقة في الولايات المتحدة وأوروبا بشكل عام، وما لم يفهم مهرجو الإنترنت أن هذا نقيصة خلقية وذنب عظيم فنحن في مشكلة حقيقية، ولا أعتقد هنا أن مقالًا كهذا قد يكون الحل، على الأقل ليس مقالًا واحدًا وليس عدة مقالات، بل أن يجب أن يكون هنالك إجراءات قانونية تمنع

هذا التنمر في المدارس، الجامعات، أماكن العمل، والأهم في هذا المجتمع الرقمي المريض الذي يدعي أفراده أنهم يضحكون فقط، ولم يؤذوا أحدًا، وحجتهم أن الجميع يفعل ذلك.

وهنا تحضرني قصة شكلت ولا زالت تشكل جزءًا كبيرًا من وعيي الديني والفكري والتشريعي، وهي قصة مذكورة في كتب التراث، تقول القصة أن امرأة في اليمن، سافر عنها زوجها، وترك عندها ابنًا صغيرًا له من زوجة سابقة، ولما كانت هذه المرأة لعوبًا، رأت أن هذا الطفل قد يكشف أمرها، فطلبت من عشاقها، وهم سبعة تقريبًا، أن يقوموا بقتل الطفل، وبعد شد وجذب، وافقوا، وقاموا بقتل الطفل ورميه في بئر، بعد التحقيق وانكشاف الأمر واعتراف القتلة، احتار والي اليمن في كيفية تنفيذ القصاص، فالقتيل واحد والقتلة كثر، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستشيره، فكان رد الخليفة العادل، اقتلهم جميعا به، ثم أضاف مقولته التاريخية، "والله لو تمالأ عليه أهل صنعاء، لقتلتهم جميعًا".

هذه القصة تريك أن الحق والمجد قد يكون مع جثة طفل في بئر، والخزي والعار قد يكون لمدينة، أو لمجتمع كامل، ولقد مات عمر، ولكن رب عمر موجود، وهو شاهد على كل حرف وكل صورة وكل تعليق، وسيحضركم جميعًا للقصاص من سخريتكم على هذه المرأة وغيرها، وتوبوا أو لا تتوبوا، لا توبة في حقوق، وانتظروا، إني معكم من المنتظرين.

أبو علاء

-أبو أسامة؟!! مش معقول.

-غالب؟! هلا هلا هلا هلا.

-حبيبي. وينك يا رجل؟ وين أيامك؟ مشتاق لك والله

-الله يسلمك يا حبيب. شو أخبارك؟ طمني عنك.

-والله بألف خير يا أبو أسامة. طمني عنك أنت. كيف أمورك وكيف شغلك بمصنع الألبان؟ إن شاء الله مرتاح.

-تمام والله. بس المصنع تركته زمان أنا. صارت مشكلة هيك وتركته.

-عن جد؟ ليش يا رجل؟ كنت مرتاح معاهم كثير أنت.

-والله يا سيدي. أنا فعلًا كنت مرتاح فعلًا بالمصنع.. إنه. بتعرف أنا كنت مسؤول عن التحميل والتوزيع .

-بعرف آه.

-فالمهم. لاحظت في يوم. إنه في علب لبن قاعدة بتطلع من خط الإنتاج. وفيها طعجة بسيطة من تحت. ومنهم علب كانت مخزوقة. فيرفضوها الموزعين. وترجع على المصنع مرتجع. خلل بسيط في واحدة من ماكينات الإنتاج.

-طيب وحكيت لهم؟

-آه. رحت على مدير الإنتاج وورجيته العلب. وحكيت له عن الخلل. وكتبت تقرير كمان عن الموضوع.

-زين ما عملت. طيب. وصلحوه؟

-لأ ما صلحوه. فرجعت حكيت لهم كمان مرة. وكتبت كمان تقريرين عن الموضوع. بس ظلوا مهملينه لغاية ما طلعت شحنة كاملة مخزوقة من تحت. ورجعت كلها من السوق للإتلاف.

-إيه بستاهلوا! طيب؟ وبعدين؟

-ولا قبلين، صارت مشكلة كبيرة في المصنع، ووصلت للإدارة، وناداني مدير خط الإنتاج، وأعطاني رسالة الاستغناء عني مع خصم ثلاث شهور!!

-أوف!! وأنت شو دخلك؟؟ هو أنت المسؤول عن الإنتاج؟ شو هالخربطة؟

-ما أنت هيك بتقول خربطة، فأنا ما سكتت له، وطلعت فورًا على مدير المصنع نفسه، أبو علاء!

-أيوة هيك! وشو عمل أبو علاء؟

-والله الزلمة يا غالب للأسف طلع وقح جدًا ومغرور، وكنت مفكره راح ينصفني، بس لأ، قال لي أنا ما بعرفك، أنا بعرف مدير الإنتاج وعندي تقارير منه، والتقارير كلها بتحكي إنه الغلط غلطك، وما لازم أناقش أصلًا، فلما اعترضت، عصب علي وطردني بره المكتب!!

-حسبي الله عليه! حسبي الله على الظلم، وشو عملت أبو أسامة؟؟ سكتت؟

-لا شو سكتت؟ أنا بسكت على الحق؟ طلعت من عنده وبوجهي على النقابة، وأخذت معي كل التقارير ورحت هناك والشرر بتطاير من عيوني، حاولوا وقتها الموظفين الصغار يهدوني ويفهموا مني المشكلة ما رضيت، قلت لهم ما بحكي إلا قدام مدير النقابة نفسه، وفعلًا، بعد عشر دقايق كنت في مكتب أبو علاء نفسه.

-وك مين أبو علاء؟

-مدير النقابة يا زلمة! شو بحكي أنا؟

-نفسه مدير المصنع ولا حدا ثاني؟

-نفسه! شو حد ثاني؟ مهو بداوم هون وهون! الصبح في المصنع وبعد الظهر في النقابة.

-طيب!! وشو قال لك؟!

-والله يا غالب الزلمة ما قصر، يعني قديش أنا كنت معصب وقتها، قدر يحتويني، وقعدني وطلب لي ليمون، وسمع القصة كلها بكل التفاصيل، وقرأ كل التقارير، وقال لي بعدها، إنه هاي طبقة رجال الأعمال بطبيعتهم بطغوا وبظلموا،

لأنه حتى ربنا بالقرآن بقول "إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى". لكن لهذا السبب بالذات. النقابة موجودة. عشان تحط قوانين تمنع تغول رجال الأعمال والسلطة على العمال، وإنه البلد هاي فيها قانون. وفي ديمقراطية وفش حق بضيع. ومن هالكلام. وأخذني من إيدي ونزل معي على الطابق الثاني. عند الشؤون القانونية. وظل قاعد معي لغاية ما عملوا رسالة دعوى قانونية تتقدم بالمحكمة. بس كان يومها خميس، فقال لي الأحد الصبح بتروح بوجهك على المحكمة. وإن شاء الله حقك برجع لك.

-طيب الحمد لله. . منيح اللي ربنا وفقك بأبو علاء هذا. والله إنه ابن حلال .

-اه والله. ساعدني كثير أبو علاء، مهو يا أخوي يا غالب. المظلوم دايمًا الله بوقف له ولاد حلال.، لما رحنا على المحكمة يوم الأحد. وقدمنا الدعوى إجت قضيتي عند أشرف وأنزه قاضي في المملكة كلها، يعني المحامي نفسه حكى لي، إنه هذا القاضي بالذات. ما عنده ولا كبير ولا صغير. عنده رئيس الحكومة بسعر أصغر مواطن في الدولة. ومستقل جدًا بقراراته. وورع. شو ورع يا غالب هالقاضي! اشي لا يصدق. لدرجة حكى لي المحامي. إنه أول فترة من شغله بالقضاء ما كان يرضى يتنفس من هوا المحكمة. خوف الحلال والحرام. فكان يظل كاتم النفس. ويكتب الحكم كتابة. لغاية ما قطعوا له فتوى إنه بصير يتنفس عادي من هوا المحكمة. عشان بس يحكي الأحكام.

-ما شاء الله عليه. والله نزاهة نادرة بالزمن هذا.

-آه والله يا غالب. المهم قول دخلنا عليه. وبس ناداني. قلت لي شوف سيدي أبو علاء.

-ولك مين أبو علاء أنت الثاني؟

-القاضي يا زلمة القاضي. أنا شو قاعد بحكي من الصبح!

-هو نفسه مدير النقابة؟

-آه نفسه! نفسه! بس لما يكون بالمحكمة يا دوب تميزه. بكون لابس هالروب الأسود والشريطة الحمرا اللي على صدره! إشي آخر أبهة. يعني بتحس العدل والورع طالعين من وجهه.

-طيب؟؟؟ وشو صار؟

-الجلسة الأولى شرحت له فيها كل شي. ومحامي الخصم حكى اللي عنده. ووقتها المحامي قال لي، أنت محظوظ يا أبو أسامة. هذا القاضي مش بس عادل وسريع كمان، جلسة جلستين بكون حكم في القضية. وفعلًا، في الجلسة الثانية، وبعد شوية مداولات، رفع الجلسة للنطق بالحكم. حتى محامي المصنع إجا يحكي ما سمح له، وفش عشر دقايق كان مصدر الحكم!

-سريع ما شاء الله. يلا الحمد لله اللي رجع لك حقك يا زلمة! والله شغلة بتغم البال هاي.

-هو الحمد لله على كل شي. بس يعني الحكم طلع ضدي.

-ضدك، كيف طلعت معه هيك ؟؟ مش قلت نزيه وعادل وأبصر شو.

-قال لي المحامي، إنه كل أوراقي سليمة، بس كاين في التقرير الثاني اللي بعتته أنا، ناسي أحط فاصلة بين جملتين، فتغير المعنى، شايف الحظ؟ فاصلة واحدة بس غيرت المعنى، فما قدر القاضي يحكم لي. من يوم يومي وإمي بتقول لي أنت يا أبو أسامة ما لك حظ في الدنيا.

-لا إله إلا الله!! وشو عملت؟

-بيني وبينك، ما اقتنعت كثير بالحكم، حسيت حالي مظلوم، فقدمت طعن واستئناف ونقض، وكلهم حكموا ضدي، لوصلتها للآخر للمحكمة الدستورية! أكبر محكمة في الأردن .

-أوه دستورية مرة وحدة؟

-آه، قلت لحالي مشوار الحق طويل، وما ضاع حق وراءه مطالب، وطعنت إنه قرار فصلي غير دستوري، وقبلت المحكمة الدعوى، وحددوا لي موعد للفصل في الدعوى، ورحت، بس شو يا غالب طلعت هالمحكمة الدستورية ؟ إشي أبهة عالآخر.

مش زي المحاكم التعبانة اللي لعامة الشعب لا.. جدران رخام، وسقوف عالية، وتكييف، وقضاة قضاة يعني، بتحس هيك فيهم هيبة العدالة، ونادوا علي ودخلت القاعة، وأتفاجأ إني أنا و رئيس المحكمة الدستورية بنعرف بعض من زمان.

-جد؟ مين؟

-أبو علاء.

-كمان؟!!! نفسه القاضي اللي حكم عليك.

-آه يا زلمة، مهو بداوم هون وهون. مهم جنب بعض المحاكم.

-طيب؟

-للأمانة. الزلمة طلع كبارة، قعد معي وكأننا إخوان، وشرح لي كل تفاصيل القضية، وقال إنه ما بهتم بالشكليات تبعة الفاصلة والنقطة وهاي، وبركز على عموم المعنى مش خصوص اللفظ. وإنه أوراقي سليمة مية بالمية. بس ما بقدر يحكم لي.

-ليش؟

-قال لي، إنه عشان أتمتع بحقوقي الدستورية، لازم أكون مواطن صالح، ومن أهم شروط المواطنة الصالحة إنه يكون المواطن إيجابي، مش سلبي، واللي عملته أنا سلبية، وإني لو كنت مواطن إيجابي كان لازم رحت صلحت الماكينة اللي في خط الإنتاج فورًا، مش أقعد أعمل تقارير، وحكى لي، إنه لنفرض إنه أنت شفت إنسان بغرق؟ شو بتعمل؟ بتنقذه ولا بتعمل تقرير؟ لأ، بتنقذه، لأنه هاي هي الإيجابية، بس أنا كنت مواطن سلبي، وبدي أورط الآخرين بدل ما أبحث عن حل، وعليه، ما إلي حق.

-لا حول ولا قوة إلا بالله، حظك غريب يا أبو أسامة.

-آه والله يا غالب، طول عمرها إمي اللي يرحمها تقول لي، أنت ما لكش حظ يما.

-الله يرحمها، طيب وشو عملت؟

-روحت على الدار وقتها، إنه خلص، عملت اللي علي، بس بيني وبينك كنت زعلان، كانت الدنيا ضايقة في، قامت أختك أم أسامة، قالت لي ولا تزعل حالك ولا شي، قوم صلي لي لك ركعتين في الجامع، وإن شاء الله، ربنا بريح قلبك، ومحسوبك مش خياب، قمت تحممت، وتوضيت، ورحت أصلي المغرب، وأتاريهم

الأوقاف يا صاحبي، شايلين الشيخ أبو صبحي وحاطين لك محله إمام جديد، أما شو إمام؟

-مين حطوا؟

-أبو علاء.

-اللي شفته الصبح في الدستورية أكيد.

-عين ذاته، بس كان عاد لابس هالجلابية البيضا زي الثلج، وها اللحية الخفيفة البيضا، بتحس هيك كله هيبة وإيمان الله يحرسه، وأول ركعة وبهالصوت الشجي، ويقرأ لك علينا سورة الصبر، وفي الثانية قرأ سورة الرضا، أقول لك؟ ما خلصنا صلاة، إلا والواحد كل هموم الدنيا طلعت من صدره، وقعدنا بعد الصلاة وأعطانا درس عن الرضا بالمقسوم، ونبذ الاختلاف والتعلق الزائل بحطام الدنيا، أقول لك يا رجل؟ طلعنا من الجامع الإيمان بشرشر منا، أنا شخصيًا، دموعي على عرض وجهي، الإيمان والرضا من مناخيري كانوا يطلعوا.

-ما شاء الله.

-آه والله يا غالب، يعني كلامه في الصميم كان، ووقتها قعدت أفكر، إنه أنا عنجد غلطان وسلبي، ليش ما صلحت الماكينة؟ ليش هيك عملت أنا؟ يعني فوق ما الناس شغلوني وأعطوني راتب، أروح أشتكي وأرفع قضايا؟ هيك رد الجميل؟ يعني لحم كتافي وكتاف ولادي من خيرهم، وهذا جزاء الإحسان؟ أجرجرهم في المحاكم؟ شو اللي كاين عامله؟ ليش كاين متعلق بأذيال الدنيا هيك! ندمت والله ندم كبير، وصرت حتى أفكر أروح أتداين وأعطيهم من عندي راتب ثلاث شهور، تطوع بس، بدل الغلبة اللي غلبتهم إياها.

-لا إله إلا الله!

-آه والله يا غالب، غشاوة وراحت عن عيني، أتاريها دنيا زائلة كلها، واحنا بس اللي متعلقين بالوهم، بس الحمد لله على كل حال.

-طيب وشو عامل هالأيام أبو أسامة، إنه يعني وين بتشتغل.

-والله يا غالب ما لقيت شغل، بس أبو علاء الله يكرمه، شفق علي، وشغل إم أسامة عندهم في البيت، تساعدهم في شغل البيت يعني، غسيل وكوي والأمور هاي.

-وإن شاء الله مرتاحة إم أسامة هناك.

- والله مرتاحة كثير، بعاملوها كأنها وحدة منهم، اللهم إنه عندهم ولد مراهق بضايقها شوي، بتعرف، الولاد المراهقين بكون عندهم تصرفات طايشة شوي، بس يعني مرحلة وبتعدي.

الطابق الأول

(ألم تر كيف فعل ربك بعاد* إرم ذات العماد* التي لم يخلق مثلها في البلاد* وثمود الذين جابوا الصخر بالواد* وفرعون ذي الأوتاد* الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد* فصب عليهم ربك سوط عذاب* إن ربك لبالمرصاد)

أنصت جيدًا. هل تسمع تلاطم حرف الدال؟ هل تسمع هذا الهدير الغاضب وكأنها حجارة ترتطم بعضها خلف بعض؟؟ هل تحس الغضب الكامن في الكلمات؟؟ هذا مهم، لكن الشاهد الأهم أن رب العالمين هنا اختص بذكر الأقوام الأقوياء فقط. الذين كانت لهم حضارات عظيمة. ولم يذكر ضعاف الناس الذين كفروا مثل قوم نوح. أو قوم إبراهيم مثلًا. أو حتى قوم لوط. الذكر هنا فقط للجبابرة. عاد أصحاب مدينة إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها، ويروى في التفاسير أنه إرم هذه كانت مدينة عملاقة رائعة بناها قوم عاد العمالقة. ثم ثمود الذين نحتوا الجبال بيوتا لقوتهم. ثم فرعون صاحب الأوتاد. ماذا فعل هؤلاء؟ "الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد". ما هي النهاية؟ (صب عليهم ربك سوط عذاب) صب. كصب الماء. قوي هادر مستمر.

مقياس المجتمعات الإنسانية عند الله عز وجل ليس تطورها التقني والعمراني، بل بصلاح مجتمعاتها وخلوها من الظلم والفساد. فجميع الأقوام الذين ذكروا في هذه السورة كانوا متفوقين حضاريًا ومدنيًا، ومع ذلك دمرهم الله شر تدمير بدون أسف على منجزاتهم. فالأحجار لا تعني لله أي شيء. وفي آيات أخرى امتدح مجتمع النبي (ﷺ) وهو مجتمع متخلف عمرانيًا. بدوي موغل في البداوة. لا ماء ولا كهرباء ولا صرف صحي ولا وسائل نقل ولا أي شيء. ومع ذلك قال عنهم "رضي الله عنهم ورضوا عنه". بل وامتدح أصحاب الكهف ونحن نعلم ما كانوا فيه من ضعف وفقر.

أولوية أي حكومة لا يجب أن تكون التطور العمراني والمادي على حساب آدمية الإنسان، بل إن الأولوية تكون لبناء مجتمع نزيه صادق متحلي بفضائل الأخلاق. خالي من الظلم والنفاق والمحسوبية والاستبداد والفساد. قائم على

العدل والمساواة (طبعًا بدون فرض معايير شاملة) هذه هي الغاية، وما التطور التقني والحضاري إلا وسائل لتحقيق غايات هذا المجتمع، افتتاح المدارس أهم من افتتاح الجسور، علاج المرضى أهم من شراء الطائرات، رفع المظالم أهم من رفع الأعلام.

وهذه ليست دعوة للتقشف ولا للتخلف الحضاري وإهمال العلم، لكن ترتيب أولويات. فالدول في النهاية ليست أبراجًا واستعراضاتٍ وجيوشًا ودخولًا قومية، الدول أنظمة وعدالة وحقوق، ولنا في تجارب دول جنوب المتوسط عظة وعبرة، دول بدأت على طريق نهضة اقتصادية، ووصلت لمراحل من الاكتفاء الذاتي، ثم سقطت وانهارت بسبب الظلم والفساد، لأن اللبنة الأولى للبناء كانت ضعيفة. الطابق الأول كان منهارًا، الأسئلة الأساسية كانت بدون أجوبة، أو بأجوبة مفروضة على الناس، لكن بدون اقتناع، بينما دول شمال المتوسط قد أجابت على أسئلتها الأساسية إجابة مقبولة من العقل الجمعي، فبني الطابق الأول للحضارة، وسهل بعدها بناء الطوابق الأخرى، هل في ذلك قسم لذي حجر

تنويعات على مقام الغياب

-اعتقادك أن الحكومة تعمل لمصلحة الشعب يشبه تمامًا أن تعتقد أن الشركة تعمل لصالح الموظفين.

-فترات الصمت المبتسمة أثناء الحوارات الإلكترونية ليست انقطاعًا في الحوار، بل ربما تكون أهم جزء فيه.

-برغم كل الكلام الذي قيل عن جمال الروح، فإن أشكال الناس شكلت مصائرهم، وعندما يقول لك شخص ما، أن الجمال لا يهم، فإنه بكل بساطة يطلب منك أن تبذل جهدًا أكبر لعكس تأثيره.

-لا تزال مميزات الإنسان وفضائله محمودة، حتى يبدأ بالتفاخر بها، فتتحول بشكل تلقائي إلى نقائص، تبقى جميلًا إلى أن تتحدث عن ذلك.

-لا شيء أشبه بالحب من طرف واحد سوى العمل لدى شركة بدون راتب.

-لتفهم أمرًا ما، حاول شرحه لغيرك، لكن لتفهم فلسفته وحقيقته، تخيل أنك تشرحه لشخص قادم من الفضاء.

-خلف أكثر الأفعال براءة، تختفي أقذر الدوافع، ويرى الناس أفعالك، ويرى الله دوافعك.

-كل تجربة في الحياة تصرخ في وجهك بحقيقة أنك وحيد، لكنك ترفض الاستماع.

-في الغالب، يتصورك الناس سعيدًا أكثر، حزينًا أقل، لذلك فإن مجموع السعادة المتخيلة على الأرض أكبر بكثير من الموجودة فعليًا.

-أولئك الذين يرون الانتقام والتشفي نقيصة أخلاقية، لا يفهمون مبدأ العدالة بشكل كامل، أي عدالة تعتمد مبدأ تعويض المظلوم دون عقاب الظالم هي عدالة منقوصة ومطعون فيها، التشفي بالظالم جزء مهم وأصيل من العدالة.

"ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا"

-سواءً رأيت ذلك أم لم تره، صدقته أم رفضت تصديقه، فإن كراسي الحكم تثبت بالدم، وخلف تلك الوجوه المبتسمة والتيجان اللامعة، سكب الكثير من الدم.

-في ركن صغير من غرفتك، وعلى طاولة خشبية صغيرة، ضع كل شهادة تقدير أو ميدالية أو كأس أخذته في يوم ما، وكلما حدثك شيطانك بأنك لا شيء، أشر إلى الطاولة، وقل "هذا أنا".

-عندما تقابل شخصًا تلقى تربية جيدة، فأنت تأخذ فكرة عن والديه، قبل أن تأخذ فكرة عنه هو شخصيًا.

-لأن الحياة ثقيلة جدًا على الروح، نلجأ للحب، لنجد شخصا يشاركنا حملها، كل التفاصيل الأخرى من تغزل بالمفاتن، وشكوى من الهجر وتنعم بالوصال هي مجرد تفاصيل ثانوية ودروب، من يحبك، يحمل الحياة معك.

-من نكد الدنيا أن يضطر الإنسان لتدريس أطفاله مناهج وأحداثًا، يوقن تمام اليقين أنها كذب وتزوير.

" -قد يكون الأسد ملك الغابة، لكنك لن تجد ذئبا يؤدي في سيرك" هذه الحكمة تقول لك ببساطة أن القوة شيء، والكبرياء شيء آخر، قد تكون ضعيفًا نسبيًا، ومع ذلك تحتفظ بكامل كبريائك.

-قد تكون العلاقات الخطية التي تحافظ على مستوى شبه ثابت من الزخم هي أفضل صيغة للعلاقات الإنسانية طويلة المدى، كل شيء يصعد بسرعة، ينهار بشكل مفاجئ.

" -سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين" "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا" "وأعرض عن الجاهلين"

بصريح كتاب الله، فإن الحوار مع الجاهلين هي خير معركة تنسحب منها.

الفلوس مش كل شي

شوف يا عمي يا أنس. أنا متفق معك تمامًا. معك حق. الفلوس مش كل شي، الفلوس ما بتشتري صحة. ما بتشتري سعادة، إلخ. بس مع هيك بتظل هي أهم شي بالدنيا. عارف ليش؟ مش لأنها بتشتري كل شي. لكن لأنها بتعطيك راحة بال تعمل كل شي ثاني وأنت مرتاح.

خليني أشرح لك. الفلوس هي شو؟ أكيد مش ورق. الفلوس وقت. الفلوس بالزبط هي الوقت اللي بلزمك عشان تعمل شي معين. يعني أنت لما تعطي شخص ما فلوس. فأنت بتشتري وقته عشان يخدمك. فمثلًا أنا لما أروح آكل بمطعم، بكون اشتريت وقت الفلاح اللي زرع، والطباخ اللي طبخ، والجرسون اللي خدم. كل هذول، أنا اشتريت وقتهم. فالفلوس وقت. والدليل لو أنا مثلا ما بدي أشتري بيت وبدي أبنيه لحالي، بقدر ولا ما بقدر؟ بقدر وبدون فلوس. بس يمكن بلزمني عشرين سنة عشان أخلص، لكن لما يكون معي فلوس، بشتريه ب خمس دقايق. لأني اشتريت كل وقت الناس اللي اشتغلوا عليه. وأعطيتهم فلوس يشتروا وقت ناس ثانيين. وهيك. عشان هيك الفلوس مهمة. مش لأنها بتشتري كل شي، لكن لأنها بتخلينا نعيش مدة أطول، أو نستغل وقتنا الثمين بالأشياء المهمة اللي أنت بتحكي عنها.

ويا سيدي. حتى هاي الأشياء المهمة اللي أنت بتحكي عنها، صدقني، مع الفلوس بتصير أحسن وأحسن. يعني مثلًا. العلاقة مع ربنا شيء مهم. بس هل يا ترى، علاقة الفقير مع ربه زي علاقة الغني. يا رجل أنا وأنا فقير. شو كانت صلاتي فكرك؟ كنت أفرش هالسجادة وأظل. يا رب ما يقطعوا الكهربا. يا رب ما يرفعوا الإيجار. يا رب فرجك. يا رب رزقك. هاي صلاة مؤمن ولا مناجاة شحاد؟ هذا واحد واقف قدام ربه ولا قدام التنمية الاجتماعية؟ شوفني هسه. حجيت واعتمرت. والحمد لله بتصدق. وبزكي. ومرتاح جدًا بعلاقتي مع ربي، صرت أقرأ شي في القرآن غير آيات الرزق، صرت أفهم في الدين، وأحكي فيه. أقول لك. بلاش الدين، شوف شي ثاني.

ستك أم عامر هاي اللي شايليتني من على الأرض شيل وطول نهارها بتحلف بحياتي. حماتي يعني. فكرك زمان هيك كانت تشوفني؟ أي والله عمري ما قعدت

معها إلا تقول فلان عمل لمرته وفلان سوى، وتسمع في حكي عالطالعة والنازلة، وكنت أسمع وأسكت، وأفكرها لئيمة، بس هي مش لئيمة، هي عادية، بس هم الناس هيك، بحبوش الفقير، وبخافوا منه، كأنه بخافوا يعديهم بفقره.

أقولك، بلاش ستك، . شوف خالتك أم فوزي مثلًا، بتحبني وبحبها، صح؟ صحيح، كل زوجة بتحب زوجها وزوجها بحبها حتى لو مفلسين، لكن هل يا ترى نفس مستوى الحب؟ هل يا ترى تدخل على مرتك بطقم ذهب زي ما تدخل عليها بشوال بطاطا؟ لا يستويان. أي أيام الفقر الله لا يعيدها من أيام، كانت ما تطيقنيش، وأنا بيني وبينك ما كنت بنطاق، كنت دائمًا متذمر وساخط على كل شي، ساخط على كل الناس، وبحملهم كلهم مسؤولية فقري، اللي بعرفهم واللي ما بعرفهم، وحياتي كلها كانت مطبوعة بشكوى الظلم والظلام، أي لدرجة كنت أشوف الوزرا ولا الملك على التلفزيون، أبلش أدعي عليهم دعاوي الأرامل، ورايح جاي، مات عمر وعاش عمر وأستجدي تاريخ عمره ما راح يرجع، هالأيام بتشوفني بدعي على حدا؟ بالعكس، متصالح مع كل الناس، وبحبهم، بكل تناقضاتهم بحبهم، وبتطلع عليهم من فوق، من موقع أمان، حتى الملك، أي والله ما بدعي لحدا قده، الله يطول لنا بعمره ويديم علينا الأمن والأمان في ظله.
كل شي بفرق لما يكون معك فلوس يا أنس، كل شي بفرق، الفقر مش رذيلة صح، لكن مش فضيلة بنفس الوقت، اوعى عمرك توجه جهودك لشي غير انه يصير معك فلوس، ولما يصير معك فلوس وترتاح، بتقدر تعمل اللي أنت بتحبه، وبتعمله بطريقة أحسن بكثير مما لو كنت مفلس، الفلوس يمكن ما بتشتري سعادة يا أنس، بس الفقر عمى، والحياة على الأعمى صعبة.

سحرة فرعون

قصص الإيمان والكفر في القرآن كثيرة. لكن لعل أغربها فعلًا هي قصة سحرة فرعون. الغريب فيها أن هؤلاء جاؤوا من مدن متعددة. "وأرسل في المدائن حاشرين". لذلك كان من المقبول مثلًا لما رأوا معجزة موسى عليه السلام، أن يكتموا إيمانهم حتى يعودوا لمدنهم. وهذا شيء متوقع في ظل سلطة وجبروت فرعون. لكن هذا لم يحدث. بل الذي حدث. "ألقي السحرة ساجدين". ولنقل أن هذا تصرف عفوي نتيجة وقع المفاجأة. لكن بعد تهديد فرعون بالقتل والصلب. كان بإمكانهم أن يتراجعوا ويكتموا إيمانهم. حرصًا على زوجة وولد. أو على حياتهم نفسها. لكن هذا لم يحدث "اقض ما أنت قاض" ثم قتلوا الواحد تلو الآخر دون أن يتراجع أحد.

ما سرّ هذا الإيمان الهائل الذي يقع في النفس في لحظة ويكون بهذه القوة؟ إيمان عمره دقائق، لم تصقله العبادات ولم ترسخه التجارب ولم يدعمه العقل والتفكر. ومع ذلك يجعلك ترحب بالموت في سبيله. بل للدقة. ترحب بالموت في سبيل عدم كتمانه. وأي موت؟ موت محتوم بتقطيع الأوصال، ولا مجال فيه للدفاع عن النفس أصلًا.

اللهم ارزقنا إيمان سحرة فرعون. أو نصفه. أو ربعه. أو معشاره. أو اقبل منا بضاعتنا المزجاة. إنك عفو غفور.

عن العام والخاص

بتعرف؟ ما في أسوأ من إنه بنت حلوة ومثقفة وفهمانة تكون تحب شاب تافه بسواش بصلة، والمشكلة كمان إنه مش معبرها، إنه يعني ليش هيك بصير؟ يعني ألف شاب بكون بتمناها. وعنده استعداد يسعدها. وهي مش شايفة إلا هذا التافه.

-قصدك على صفاء صح؟

-لا طبعًا. مش قصدي على حدا. أنا زمان نسيتها صفاء، وبفكرش فيها لعلمك. أنا بحكي بشكل عام! بتفكر في الدنيا وبحكي يا أخي. ضروري يعني كل شي أحكيه يكون عن حدا؟ بتعرف؟ أنا أصلًا غلطان اللي حكيت لك أفكاري حتى! كل شي بتفسره غلط! يا أخي أنا قصدي إنه الإنسان بشكل عام لما يك .

-لسه بتحبها؟

- (صمت)

عيونها فيهم شي غريب

تفتح تمارة عينيها بصعوبة بينما تحاول يدها اليمنى البحث عن زر المنبه لإيقافه، تنظر بنصف عين نحوه لتجد أن الساعة تجاوزت السادسة والنصف، تتنهد بحسرة، فاتتها صلاة الفجر مرة أخرى!! تنهض من سريرها بسرعة متجهة نحو غرف الأولاد، آخر شيء تريده هذا الأسبوع هو أن تصل عملها متأخرة مرة أخرى.

تنهي صلاتها على عجل وتبدأ بتحضير الشطائر للأطفال، بينما تحاول فك اشتباكاتهم الصباحية المعتادة، وبينما تقف على المرآة تعدل قميصها يأتي زوجها من الخلف عاري الساقين، مرتديًا سترة سوداء ويمسك بنطالًا أسود في يده، ويسألها بامتعاض:

-تمارة أنت مش كاوية البنطلون الأسود؟ مش قلت لك مبارح تكويه؟

ترد بارتباك آسف:

-يبي يا حبيبي، والله إني نسيت! حطيته مبارح بالليل عشان أكويه، بعدين صارت سماح تعيط، فرحت أنيمها ونسيت، ونمت بسرعة بعدها.

-طيب يعني أنا كيف أداوم هسه؟ البدلة الرمادية مبارح حكيت لك ودي الجاكيت تبعها عالدراي كلين ونسيت توديه! والبدلة السودا مش كاوية البنطلون تبعها، ألبس جكيت أسود على بنطلون رمادي يعني؟ بطريق أطلع عشان حضرتك ترضي؟

-يا حبيبي والله مش قصدي، أقسم بالله، مبارح كثير روحت تعبانة من الشغل، قلت بكوي بس أرتاح شوي، وانشغلت، وبالليل حطيته أكويه، بس رحت أشوف البنت وما لقيت حالي إلا ميتة من النعس، يا حبيبي ما تزعل، هسه بكوي لك إياه، دقيقتين وبكون جاهز.

تحاول أخذ البنطال من يده، فيسحب يده بقوة ويرمي البنطال على السرير:

-تكوي شو وتبطخي شو؟ هو في وقت؟ مهو أصلًا مبين نهار زفت من أوله، خلص، بلاها البدلة، ليش يعني لازم أبين مرتب في اجتماع مجلس الإدارة، مش

مهم، المهم إنه أنت مرتبة وبتشتغلي وبتروحي تعبانة ولازم ترتاحي، والله ما أنا عارف شغلك هذا شو جايبينا من وراه غير الهم والغم!

تطرق تمارة برأسها بينما يبدأ زوجها بالبحث عن ملابس ليرتديها وهو يتمتم بسخط. فجأة يُفتح باب غرفة النوم فيظهر ابنها ذو العشر سنوات مرتديًا ملابس المدرسة ويقول لأمه:

-ماما أنا جاهز، بس سماح بتعيط بدهاش تلبس الصندل الأبيض.

ينفجر الأب في نوبة هستيرية من الصراخ على ابنه:

-ولك يا كلب يا ابن الكلب! أنا كم مرة قلت لك تدق على الباب قبل ما تدخل! بدكاش تبطل هالعادة يا عديم الترباية!!

يتجمد الطفل في مكانه خائفًا بينما تمسكه أمه من يده، وتخرج به من غرفة النوم بسرعة لتنهي الموقف. تغلق الباب بينما يكمل الزوج شتائمه.

***

-حاضر ماما، والله غير أجيب لكم اللي بدكم إياه، بس يا حبيبيني خليني أروح، والله تأخرت.

تقبل الأطفال على عجل ثم تنسل إلى سيارتها تحت وابل من أبواق السيارات التي تقف خلف سيارتها. تقود سيارتها في زَحمة الصباح مخفية عيونها الدامعة خلف نظاراتها الشمسية. تحاول الهرب من التفكير فيما حدث، فتفتح المذياع ليطالعها صوت المذيع الخشن مطالبًا مستمعيه أن يبدأوا نهارهم بحمد الله على نعمة الأمن والأمان وما تقوم به الأجهزة الأمنية التي لا مثيل لها. تقفل المذياع بغضب.

***

تدخل الدائرة بخطى مستعجلة. لقد تأخرت ثلاث عشر ة دقيقة هذه المرة، ولسوء الحظ تجد مديرها واقفًا في خط سيرها تمامًا. ويبدأ بالنظر إلى ساعة يده ثم يبتسم لها ابتسامة باردة:

-صباح الخير أستاذ نضال. بعتذر على التأخير والله، بس كان في أزمة في شارع المد.

يقاطعها بلهجة مليئة بالسخرية:

-مسا الخير قصدك.

-معلش، حقك علي، بوعدك إن شاء الله ما .

يقاطعها بجلافة:

-اليوم في اجتماع عشان لجنة الأداء الحكومي، ومستني التقرير منك قبل الساعة 11، وإن شاء الله ما أضطر أذكرك.

ثم يتركها حتى قبل أن ترد.

***

تجلس في مقعدها، لتجد القاعة مزدحمة بالمراجعين، وتضغط زر الأرقام لتستقبل المراجع الأول لها.

***

في العاشرة تنهي تقريرها وترسله، ثم تتذكر أنها لم تأكل شيئًا منذ الصباح، القاعة لا تزال مزدحمة، ستأكل الشطيرة ثم تعود لاستقبال المراجعين مرة أخرى. تخرج شطيرتها من حقيبتها وتبدأ بالأكل، بينما تتصفح بريدها الإلكتروني.

-يخرب بيت موظفين الحكومة ما أبلدهم! شايف هاي الناصحة اللي هناك؟ اللي لابسة أسود؟

-مالها؟

-إلها ساعة ما أخذت ولا رقم، وهسه صارت توكل!

-إيه! آه والله بتوكل! شو قلة هالحيا! هو وقت الناس ببلاش؟

-وأنت يا روحي بتقول لي أنا هذا الكلام؟ ما تقوم تحكي لها إياه هي ! ولا مراجلك ما بطلعن غير عليَّ؟؟

ينهض الرجل الغاضب المطعون في رجولته من كرسي الانتظار ويتجه نحو تمارة بينما تتابعه زوجته بنظرات تشفي لما هو على وشك أن يحدث:

-يا اختي بس سؤال يعني، هو يعني احنا كم لازم نستنى عشان يجينا الدور؟ إذا حضرتك بتوكلي، وزميلك راح وما رجع؟ وأبصر مين أبصر وين! ايمتا بدها تخلص معاملات الناس؟ ولا بس شاطرين تلبسوا الناس ضرايب ورسوم وبلا أزرق وبس نيجي نقدم على ورقة بتمرمروا عيشتنا؟

***

تقترب الساعة من الثالثة، سينتهي هذا اليوم اللعين أخيرًا! يرن هاتفها برسالة من أختها تذكرها بضرورة دفع حصتها في هدية عيد ميلاد أمهما التي يجب شراؤها اليوم، تنهض من كرسيها كأنما لدغها عقرب.

-هاي تمارة جاي عندك، بدها الجمعية، قولي لها إنك نسيتيها.

-ليش؟

-متذكرة الشهر الماضي أخرتنا لدفعت؟ أخريها بتستاهل! قولي لها نسيتهم بالبيت، أعطيها إياهم الأحد.

-اه والله صح !

***

-يي يا تمارة، نسيتهم بالبيت والله، حطيتهم مع أقساط المدارس ونسيتهم. خلص الأحد حبيبتي بجيبهم، حقك علي.

***

-تمارة ما بصير هيك! السنة الماضية كمان دفعت بعد ما اشترينا، كلهم خمسين دينار يعني مش مستاهلين. وماما من زمان نفسها بالخاتم!

-لا تمارة، أنا ما معي. وسهى ما بعرف ظروفها بس إلها فترة بتشكي. دبريهم اليوم ضروري، الله يخليك. ما بنقدر نتأخر.

***

تخرج من باب الدائرة بخطى مثقلة، تجلس وراء المقود، وتضع رأسها عليه، وتتنفس بعمق.

***

-ههههههه. قتلتني هالنكتة يا ماما! بتعرفي لمين بدي أبعتها؟ لتمارة!!

-ابعتي لها بلكي أثرت فيها شوي وعملت ريجيم! والله انفضحت يوم عرس أيمن. كل الناس بقولوا لي. مالها كنتك صايرة قد البرميل؟

***

تستعد تمارة لرحلة العودة للمنزل. فيرن هاتفها برسالة من أخت زوجها

"دخلت على زوجها بتبكي. حكالها مالك؟

حكتله الجيران بحكو عنّي ناصحة

قال لها انتي كل اشي بتسمعي بتصدقي!!! هاتيلك كرسيين و تعالي اقعدي جنبي"

***

-يا زلمة مشان الله زمر لها هاي!! أي والله علتنا! إلها ساعة ماخذة دين هالمسرب الشمال! مش هيك!

-أقول لك! مش بس بدي أزمر لها! بدي أقلب مخها! أنا عارف مين هالحيوان اللي بعطي هالبنات رخص سواقة في البلد هاي!!

ترتبك تمارة من وقع بوق السيارة المزعج، فتنحرف يمينًا .

***

-يا سيدي الله يرحمها. بس أقسم بالله هي اللي حرفت فجأة على مسربي. وهاي تريلا يا سيدي مش بسكليت! ما مسك البريك. والله ما مسك.

***

-مالك بشو سرحان؟

-بفكر يا زلمة بالبنت اللي طلناها العصر من تحت التريلا. يعني قديش شفت أموات بحياتي. بحياتي ما شفت زيها. كأنها كانت بتبكي يا زلمة. عيونها مدمعين. عمرك شفت ميت بدمع؟ كل ما بتذكرها بقشعر بدني.

-خذلك هاظ الثاني! وك يعني هم يعني الكاسيات العاريات اللي زيها بده الله يرحمهم؟ أكيد شافت ملائكة العذاب!! بس وين؟ ولات حين مندم! انبح صوتنا واحنا نقولهم الحجاب قبل العذاب ما حدا بصدق! الله لا يردها، جهنم وبئس المصير!

-لا لا لا، مش هيك أكيد، ومش هيك قصدي أصلًا، أنا بس مش قادر أنسى وجهها، عيونها يا زلمة عيونها، عيونها فيهم شيء غريب.

****

تظهر تمارة مستلقية في سيارتها المحطمة، بعيون حمراء دامعة، وكتلة من الدم الجاف تغطي نصف وجهها الأيسر، بينما يتناثر الزجاج على نحرها، تثبت الصورة، ثم تختفي السيارة تمامًا، ويختفي الزجاج المتناثر على وجهها، يبدأ الدم الجاف على وجهها بالتحول إلى سائل، ويعود أدراجه باتجاه المكان الذي سال منه، ليصبح وجهها صافيًا مرة أخرى، تختفي الدموع المحبوسة في عينيها، ثم تغمضهما، فتبدو نائمة في سريرها، ثم يسمع صوت المنبه.

تفتح تمارة عينيها بصعوبة بينما تحاول يدها اليمنى البحث عن زر المنبه لإيقافه، تنظر بنصف عين نحوه لتجد أن الساعة تجاوزت السادسة والنصف، تتنهد بحسرة، فاتتها صلاة الفجر مرة أخرى!! تنهض من سريرها بسرعة متجهة نحو غرف الأولاد، آخر شيء تريده هذا الأسبوع هو أن تصل عملها متأخرة مرة أخرى، تنهي صلاتها على عجل وتبدأ بتحضير الشطائر للأطفال بينما تحاول فك اشتباكاتهم الصباحية المعتادة، وبينما تقف على المرآة تعدل قميصها يأتي زوجها من الخلف مرتديًا سترة سوداء وبنطالا رمادي اللون، ويحتضنها من الخلف، تستجيب بدلال لقبلاته على رقبتها، ثم تنتبه لما يرتديه فتعتذر بأسف:

-ييي يا حبيبي، والله نسيت أكوي لك البنطلون الأسود، حطيته مبارح بالليل عشان أكويه، بعدين صارت سماح تعيط، فرحت أنيمها ونسيت، حقك علي.

يبتعد عنها بلطف ويبدأ بتعديل ربطة عنقه الحمراء أمام المرآة.

-ما عليك، هو أنا وولادي راحمينك؟ بعدين مالها اللبسة حلوة؟ أصلًا هيك الموضة السنة بعمان، أبيض من تحت وأسود من فوق، موضة البطريق اسمها، ما سمعت فيها؟

-ههههههه، لا ما سمعت، حقك علي عن جد.

-يا شيخة ولا يهمك، بس بشرفك كيف طالع؟ بالله ما بشبه جوني ديب في الفيلم هذا، الأخير تبعه.

بينما تضع بعض الكريم على وجهها تجيب بضحك:

-أي فيلم؟

-هذا الفيلم اللي بكون متجوز فيه سعاد حسني، وبيجيهم ابن مريض، بلعب دوره أنتوني كوين، متذكريته؟

-ههههههه، بتتخوت؟

-أنت الثانية يعني لازم أقول لك تاريخ السينما كله عشان تقول لي أنت حليوة؟

تضمه بين ذراعيها بحنان:

-فشر جوني ديب، فش حدا أحلى منك أصلًا.

***

فجأة يُفتح باب غرفة النوم فيظهر ابنها ذو العشر سنوات مرتديًا ملابس المدرسة ويقول لأمه:

-ماما أنا جاهز، بس سماح بتعيط بدهاش تلبس الصندل الأبيض.

يعاتبه أبوه بحب:

-شوف الشرير! وك أنا أنا كم مرة قلت لك تدق على الباب قبل ما تقتحم المشاهد العاطفية هيك! ما بدك تبطل هالعادة يا بطيخة!!

يبتسم الطفل بينما تمسكه أمه من يده، وتخرج به من غرفة النوم فيما يتكلم الأب بصوت عال:

-اليوم الخميس يابا، بدي تتعبوا بالمدرسة، مش تظلوا قاعدين عالدروج! بدي إياكم طول اليوم تعملوا جري بالمكان، اليوم الخميس ترى! شو اليوم؟ الخميس، بدي تروحوا منتهيين من المدرسة، وتناموا على الخمسة.

تؤشر له تمارة أن يتوقف! وهي لا تكاد تمسك ضحكتها، ثم تغلق باب الشقة وتخرج مع أطفالها.

***

-حاضر ماما، والله غير أجيب لكم اللي بدكم إياه، بس يا حبيبيني خليني أروح، والله تأخرت.

تقبل الأطفال على عجل ثم تذهب إلى سيارتها بينما يبتسم لها سائق السيارة التي تقف خلف سيارتها دلالة على تفهمه. تقود سيارتها في زحمة الصباح مخفية عيونها الضاحكة خلف نظاراتها الشمسية، تقرر الاستمتاع أكثر. فتفتح المذياع ليطالعها صوت فيروز العذب .

-حبيتك تا نسيت النوم، يا خوفي تنساني، حابسني برات النوم وتاركني سهرانة، أنا حبيتك حبيتك. أنا حبيتك حبيتك.

ترنم مع صوت فيروز وتتمايل بينما تقود.

***

تدخل الدائرة بخطى مستعجلة. لقد تأخرت ثلاث عشرة دقيقة هذه المرة، تجد مديرها واقفًا في خط سيرها تماما، فيبتسم لها ابتسامة دافئة:

-صباح الخير أستاذ نضال، بعتذر على التأخير والله، بس كان في أزمة في شارع المد.

يقاطعها بلهجة حنونة وابتسامة:

-ما تأخرت تمارة، احنا اللي صايرين نداوم بكير .

ترد بابتسامة العاجز عن الشكر:

-المهم اليوم في اجتماع عشان لجنة الأداء الحكومي. فإذا بتبعتي لي التقرير قبل الساعة 11 بكون لك من الشاكرين.

-قبل هيك ان شاء الله أستاذ نضال بكون عندك.

***

تجلس في مقعدها مبتسمة، لتجد القاعة مزدحمة بالمراجعين، وتضغط زر الأرقام لتستقبل المراجع الأول لها.

***

في العاشرة تنهي تقريرها وترسله، ثم تتذكر أنها لم تأكل شيئًا منذ الصباح، القاعة لا تزال مزدحمة، ستأكل الشطيرة ثم تعود لاستقبال المراجعين مرة أخرى، تخرج شطيرتها من حقيبتها وتبدأ بالأكل، بينما تتصفح بريدها الإلكتروني:

-يخرب بيت موظفين الحكومة ما أبلدهم! شايف هاي الناصحة اللي هناك؟ اللي لابسة أسود؟

-مالها؟

-إلها ساعة ما أخذت ولا رقم، وهسه صارت توكل!

-يا شيخة خليها توكل! هي مش بني آدمة يعني، ما هم طول نهارهم على هالكراسي. الله يكون بعونهم، طولي بالك، شوي وبيجي دورنا، قربوا الأرقام.

***

تقترب الساعة من الثالثة، يرن هاتفها برسالة من أختها تذكرها بضرورة دفع حصتها في هدية عيد ميلاد أمهما التي يجب شراؤها اليوم، تنهض من كرسيها كأنما لدغها عقرب.

-هاي تمارة جاي عندك، بدها الجمعية، قولي لها إنك نسيتها.

-ليش؟

-متذكرة الشهر الماضي أخرتنا لدفعت؟ أخريها بتستاهل! قولي لها نسيتهم بالبيت، أعطيها إياهم الأحد.

-لا والله مش مأخريتها. . تمارة منيحة أنا بعرفها، وكان عندها ظرف الشهر الماضي. تقوليش هيك! ليش قلبك صاير أسود؟

***

-هيهم حبيبتي تمارة، 430. ناقصين عشرين بس، أم أنس دفعت ثلاثين وقالت الأحد بتكمل.

***

-طيب حبيبتي تمارة، خلص أنا راح أحاسب مني، لأني لازم أشتري الهدية كمان شوي، وبس أشوفك المسا عند ماما باخدهم هناك، مممماوه.

***

تخرج من باب الدائرة بخطى رشيقة، تجلس وراء المقود، وترجع رأسها للوراء، وتبتسم.

***

-ههههههه، قتلتني هالنكتة يا ماما ! بتعرفي لمين بدي أبعتها؟ لتمارة!!

-لأ، لا تبعتيها لتمارة، شو قصدك يعني تبعتي لها إياها؟ بلا قلة أدب، مخلفة اثنين تمارة، وبتاخد كورتيزون، منيح اللي جسمها هيك، الناس عندهم مشاعر ماما، ما بصير نجرحهم.

***

تستعد تمارة لرحلة العودة للمنزل، فيرن هاتفها برسالة من أم زوجها.

"اشتقنا لك تمورة، لا تنسي الغدا بكرة عنا، "

***

-يا زلمة مشان الله زمر لها هاي!! أي والله علتنا! الها ساعة ماخذة دين هالمسرب الشمال! مش هيك!

-يا زلمة بديش أزمر لها، إن شاء الله تظل سنة، شو ورانا يعني؟ مؤتمر دافوس؟

-ليش يعني ما تزمر لها؟

-يا أخي أنا من زمان ماخذ عهد على حالي ما أضايق مرة بالسواقة، أنا لما كنت بتعلم سواقة جديد، كنت أرتبك كثير، و ما كنت أحب حدا يزمر لي، فما بزمر لحد، بس تبعد لحالها بنطلع!

تنتبه تمارة أنها تقود ببطء في المسرب الأيسر، فتنحرف يمينًا.

***

-يا سيدي الله يرحمها. بس أقسم بالله هي اللي حرفت فجأة على مسربي، وهاي تريلا يا سيدي مش بسكليت! ما مسك البريك، والله ما مسك.

***

-مالك بشو سرحان؟

-بفكر يا زلمة بالبنت اللي طلناها العصر من تحت التريلا، يعني قديش شفت أموات بحياتي، بحياتي ما شفت زيها، كانت بتضحك! ضحكتها معبية وجهها، عمرك شفت ميت بضحك؟ كل ما بتذكرها بقشعر بدني.

-سبحان الله العظيم، أبصر شو شافت، الله يرحمها ويصبر أهلها، ويعطينا حسن الخاتمة زي ما أعطاها.

-آمين يا رب، بس لا لا، مش هيك قصدي، عيونها يا زلمة عيونها.

عيونها فيهم شيء غريب.

عندما تكلم القدر

لعل أحد أكثر الأسئلة التي تدور في أذهان الشباب المسلم خاصة، هو ما يعرف فلسفيًا باسم سؤال الشر. وهو بكل بساطة، لماذا خلق الله الشر والفقر والمعاناة والحروب والأمراض؟ لماذا يموت الأطفال في سورية؟ لماذا يموت الأطفال جوعًا في افريقيا؟ أليس الله هو الرحمن الرحيم؟ فكيف يمتلئ الكون بكل هذه المآسي؟ وتتبعه طبعًا أسئلة فردية تتعلق بالعدل السماوي مثل، لماذا تزوج الجميع ولم أتزوج أنا؟ لماذا يمتلك بعض الناس كل شيء، ولا يمتلك بعض الناس أي شيء؟ لماذا خلقتني دميمة؟ لماذا أنا قصير؟ ما الحكمة من كوني فقيرًا مدقعًا؟ لماذا لا أنجب أطفالًا كغيري؟ أين هذا العدل الذي تتحدث عنه يا الله أين ؟ تعبنا، تعبنا، تعبنا.

طبعًا سيكون من الرائع لو تمكننا من الجلوس مع الله عز وجل وسؤاله عن كل تلك المتناقضات التي ترهق أرواحنا، ومع أن هذا يبدو مستحيلًا الآن، إلا أن هذا الحوار العظيم فعليًا قد حدث، قبل ثلاثة وثلاثين قرنا من الآن، ونقل لنا كاملًا، لكن قبل شرح هذا الحوار، دعونا نتحدث قليلًا عن خلفية صاحب هذا الحوار، نبي الله موسى، والخلفية عن هذا النبي مهمة جدًا حتى لا تقول لنفسك موسى نبي وأنا بشر، بل ستكتشف أنه أحد أكثر الأنبياء بشرية إن جاز التعبير، وأنه أفضل نبي من الممكن أن تضع نفسك في مقارنة معه، وإليك ذلك.

إذا استعرض المسلم العادي سيرة الأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم، عليهم جميعا أتم الصلاة والتسليم، فسيلاحظ ببساطة أن كل واحد منهم تقريبًا كان يمتلك ميزة فوق بشرية تميزه عما سواه، وبالتالي، فمن الصعب أن يجد المسلم نفسه في واحد منهم، فنحن لا نمتلك صبر أيوب مثلًا، ولا ملك سليمان، ولا جمال يوسف وعفته، كما أن الطمأنينة التي كانت لدى إبراهيم بعيدة تماما عن القلق الذي نشعر به، وبالطبع أخلاق محمد العالية ليست في المتناول، النبي الوحيد الذي يشبهنا إلى حد كبير ولم يكن يمتلك أي صفة فوق بشرية، هو موسى الكليم عليه السلام.

مأساة النبي موسى الأساسية كانت في داخله، كان ككثير من البشر مثلنا يعجز عن التعبير عما في دواخل نفسه، يعتريه القلق والضيق ويتلعثم متى أراد الكلام، (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني)، بل نذهب أبعد من ذلك لنقول أن موسى كان دائمًا مسكونًا بقلق وخوف داخليين لازماه طوال حياته تقريبًا، وكان مثلنا أيضًا، يرتكب أفعالًا في سورة غضبه يندم عليها لاحقًا. (فوكزه موسى فقضى عليه)، ارتكب جريمة قتل، وهرب، وحتى بعد نبوته وكلامه مع الله، القلق كان لا يزال يعتريه، لدرجة أنه حطم ألواح التوراة التي أعطاها الله له (وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه)، تخيل هذا المشهد.. نبي يحطم ألواح الكتاب المقدس ويشد رأس أخيه إليه، قمة في البشرية، قمة في الضعف الإنساني والغضب البشري الطبيعي، نبي بشري تمامًا، وطبعًا الشواهد عن بشرية موسى كثيرة جدًا لمن أراد البحث، لكن نكتفي بهذا للاختصار ولتقتنع عزيزي القارئ كم كان موسى الكليم يشبهنا ونشبهه.

المهم أن نبي الله موسى، كان لديه كما لدينا الكثير من الأسئلة الفلسفية، ليس أقلها رؤية الله "رب أرني أنظر إليك" لكن الأهم على ما يبدو وموضوع مقالنا اليوم هو عندما سأل موسى ربه عن القدر، وكيف يعمل، وهي بالذات عين أسئلتنا اليوم، فطلب منه الله عز وجل أن يلاقي الخضر عليه السلام، والحقيقة التي يجب أن تذكر هنا، أن الأدبيات الإسلامية تسطح مفهوم الخضر وتختزله في صفة ولي من أولياء الله، في حين أنه الحقيقة أن الخضر عليه السلام يمثل القدر نفسه، يمثل يد الله التي تغير أقدار الناس، والجميل أن هذا القدر يتكلم، لذلك نحن الآن سنقرأ حوارا ين نبي بشري مثلنا تماما، لديه نفس أسئلتنا، وبين قدر الله المتكلم، ولنقرأ هذا الحوار من زاوية جديدة.

أول جزء في الحوار كان وصف هذا القدر المتكلم، آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا، أي أنه قدر رحيم وعليم، وهذا أصل مهم جدًا، ثم يقول البشري موسى، "هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدًا"، يرد القدر "إنك لن تستطيع معي صبرًا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرًا " جواب جوهري جدًا، فهم أقدار الله فوق إمكانيات عقلك البشري، ولن تصبر على التناقضات التي تراها، يرد البشري موسى بكل فضول البشر "ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا"، يرد القدر "فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرًا"، يمضي الرجلان، يركبان في قارب لمساكين يعملون في البحر، يقوم الخضر

بخرق القارب، وواضح تمامًا أن أصحاب المركب عانوا كثيرًا من فعلة الخضر، لأن موسى تساءل بقوة عن هذا الشر كما نتساءل نحن"أخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئا إمرًا". عتاب للقدر تمامًا كما نعاتب الله، أخلقتني بلا ذرية كي تشمت بي الناس؟ أفصلتني من عملي كي أصبح فقيرًا؟ نفس الأسئلة، يسكت الخضر ويمضي، طبعًا الشاهد الأساسي هنا أن أصحاب المركب عانوا أشد المعاناة، وكادوا أن يغرقوا، وتعطلت مصلحتهم وباب رزقهم، لكن ما لبثوا أن عرفوا بعد ذهاب الخضر ومجيء الملك الظالم أن خرق القارب كان شرًا مفيدًا لهم، لأن الملك لم يأخذ القارب غصبًا.

نكمل، موسى لا زال في حيرته، لكنه يسير مع الرجل (القدر) الذي يؤكد لموسى، "ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبرًا" ألم أقل لك يا إنسان أنك أقل من أن تفهم الأقدار، يمضي الرجلان، يقوم الخضر الذي وصفناه بالرحيم العليم بقتل الغلام، ويمضي، فيجن جنون موسى، ويعاتب بلهجة أشد، "أقتلت نفسا زكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئًا نكرًا". تحول من إمرًا إلى نكرًا، نفس حواراتنا عندما نقول أنّ أقدار الله ظالمة ومنكرة، والكلام صادر عن نبي أوحي إليه، لكنه مثلنا، ويعيش نفس حيرتنا، يؤكد له الخضر مرة أخرى "ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا"، طبعًا هنا أصل مهم، أننا كمسلمون قرأنا القرآن ننظر إلى الصورة من فوق، فنحن نعرف أن الخضر فعل ذلك لأن هذا الغلام كان سيكون سيئًا مع أمه وأبيه، "وكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا"، والسؤال، هل عرفت أم الفتى بذلك؟ هل أخبرها الخضر؟ الجواب لا، بالتأكيد قلبها انفطر وأمضت الليالي الطويلة حزنًا على هذا الفتى الذي ربته سنين في حجرها ليأتي رجل غريب يقتله ويمضي، وبالتأكيد، هي لم تستطع قط أن تعرف أن الطفل الثاني كان تعويضًا عن الأول، وأن الأول كان سيكون سيئًا، فهنا نحن أمام شر مستطير حدث للأم، ولم تستطع تفسيره قط.

نكمل، يصل موسى والخضر إلى القرية، فيبني الجدار ليحمي كنز اليتامى، هل اليتامى أبناء الرجل الصالح عرفوا أن الجدار كان سيهدم؟ لا، هل عرفوا أن الله أرسل لهم من يبنيه؟ لا، هل شاهدوا لطف الله الخفي، الجواب قطعًا لا، هل فهم موسى السر من بناء الجدار؟ لا، ثم مضى الخضر، القدر المتكلم، بعد أن شرح لموسى ولنا جميعًا كيف يعمل القدر والذي يمكن تلخيصه ببساطة كالآتي.

الشر شيء نسبي، ومفهوم الشر عندنا كبشر مفهوم قاصر، لأننا لا نرى الصورة كاملة، فما بدا شرا لأصحاب المركب، اتضح أنه خير لهم، وهذا أول نوع من القدر، شر تراه فتحسبه شرًا، فيكشف الله لك أنه كان خيرًا، وهذا نراه كثيرًا، النوع الثاني مثل قتل الغلام، شر تراه فتحسبه شرًا، لكنه في الحقيقة خير، ولا يكشف الله لك ذلك، فتعيش عمرك وأنت تعتقد أنه شر، مثل قتل الغلام، لم تعرف أمه قط لِمَ قُتِلَ، النوع الثالث وهو الأهم، هو الشر الذي يصرفه الله عنك دون أن تدري، لطف الله الخفي، الخير الذي يسوقه إليك، مثل بناء الجدار لأيتام الرجل الصالح.

فالخلاصة إذن، أننا يجب أن نقتنع بكلمة الخضر الأولى "إنك لن تستطيع معي صبرًا" لن تستطيع يا ابن آدم أن تفهم أقدار الله، الصورة أكبر من عقلك، قد تعيش وتموت وأنت تعتقد أن الله ظلمك في جزئية معينة، لكن الحقيقة هي غير ذلك تمامًا، الله قد حماك منها، مثال بسيط، أنت ذو بنية ضعيفة، وتقول أنَ الله حرمني من الجسد القوي، أليس من الممكن أن شخصيتك متسلطة، ولو كنت منحت القوة لكنت افتريت على الناس؟ حرمك الله المال، أليس من الممكن أن تكون من الذين يفتنون بالمال وكان نهايتك ستكون وخيمة؟ حرمك الله الجمال، أليس من الممكن أنك ذات شخصية استعراضية، ولو كان منحك الله هذا الجمال لكان أكبر فتنة لك؟ لماذا دائمًا ننظر للجانب الإيجابي للنعم وليس للجانب السلبي أيضًا؟ ونقول حرمنا الله ليؤذينا، نحن أصغر بكثير من أن يفكر جل وعلا في أذيتنا، إنما كل ذلك لمصلحتنا، لكننا لا نعي ذلك، تماما كما لم تعه أم الغلام.

استعن بلطف الله الخفي لتصبر على أقداره التي لا تفهمها، وقل في نفسك، أنا لا أفهم أقدار الله، لكنني متسق مع ذاتي ومتصالح مع حقيقة أنني لا أفهمها، لكنني موقن كما الراسخون في العلم أنه كل من عند ربنا، إذا وصلت لهذه المرحلة، ستصل لأعلى مراحل الإيمان، الطمأنينة، وهذه هي الحالة التي لا يهتز فيها الإنسان لأي من أقدار الله، خيرًا بدت أم شرًا، ويحمد الله في كل حال، حينها فقط، سينطبق عليك كلام الله، يا أيتها النفس المطمئنة، حتى يقول، وادخلي جنتي، ولاحظ هنا أنه لم يذكر للنفس المطمئنة لا حسابًا ولا عذابًا.

حب مقصود لذاته

-غادة. بتتذكري الفيلم اللي حضرناه قبل أسبوع اللي في هذا الشاب الفقير اللي بكون بحب البنت. وهي بتساعده. بعدين بطلع هو صاحب الشركة اللي بتشتغل فيها البنت؟ وكيف إنها حبته حتى وهو فقير وهيك؟

-متذكرته. ماله؟

-يعني. تخيلي مثلًا مثلًا. إني أنا طلعت زيه. وإنه أنا بالأساس مليونير. بس يعني كنت بمتحنك زي ما هو بمتحنها. شو ردة فعلك؟

-يعني احنا إلنا عايشين عشر سنين مش شبعانين اللقمة. وأنا ساكتة ومخروسة. ومتحملة اللي بسوى واللي ما بسوى. وأنت بالآخر بتطلع مليونير وبتمتحن في وفي أخلاقي؟

-مثلًا مثلًا بقول غادة. إنه عشان أعرف هل حبك إلي أصيل ومتجذر ومقصود لذاته ولا هو عشان الفلوس. وإنه بس تأكدت. أظهر على حقيقتي إني مليونير. هل يا ترى بتزعلي مني ولا بتنبسطي بالفلوس وبحياتنا الجديدة؟

)نظرة طويلة متفحصة باردة من غادة تعقبها تنهيدة(

- لا حبيبي ما بنبسط. القاتل لا يرث.

نقوش على خشب الزان

-لم يسبق أن تحدث معي شخص بشأن الجنس، لذلك كان لزامًا علي أن أبني كل تصوراتي الخاطئة بنفسي، وأن أتولى تصحيحها مرات عديدة بنفسي أيضًا، متحملًا في أثناء ذلك كل الأضرار الدائمة والمؤقتة.

-أثناء تعلمه المشي، يسقط الطفل على الأرض مئات المرات تقريبًا، لكن لا أحد يسخر من سقطاته، لأن الكل يعلم أنه في مرحلة تعلم.

وإن كان الأمر كذلك، فلماذا إذن يجب أن نعير الناس في كل مرة يخطئون فيها أثناء بناء شخصياتهم؟

-لا يؤمن الزواج ضمانة حتمية ضد الشعور بالوحدة، على العكس، يشكل في أغلب الأحيان حاجزًا أمام الاعتراف بها كمشكلة أو الشكوى منها، أي متزوج ذلك الذي يقبل أن يعترف لنفسه بأنه وحيد؟ عدا عن مشاركة الناس ذلك الشعور.

-بعد سنوات من جلد الذات، تدرك أنك لست شيطانًا كما كنت تعتقد أو يراد لك أن تعتقد، وأنك لم تكن سوى إنسان طبيعي ارتكب بعض الأخطاء، وأن ذلك الالتزام الأخلاقي الكامل الذي تم الترويج له كشيء قابل للتطبيق بل وسهل الوصول، ليس سوى مجرد وهم، وأن المطلوب كان فقط أن تكون لديك نية صادقة بعدم إيذاء الآخرين، وأنك تبذل ما في وسعك من أجل ذلك.

-الأنانية هي أكثر مفهوم تعرض للتشويه في التاريخ، ففي الوقت الذي يستخدمه الناس ضدك ويرمونك به كتهمة حين تهتم بنفسك، يقومون هم بممارسته ليلًا ونهارًا.

-العلاقات القديمة كالجثث، تشرح مرة واحدة لمعرفة سبب الوفاة، ثم تدفن إلى الأبد. استعادة تفاصيل العلاقات القديمة مرارًا وتكرارًا ليست إلا نبشًا لجثث متعفنة.

-يدرك المهندسون قبل غيرهم أن عملية البناء (أي بناء) هي عملية طويلة ومكلفة ومعقدة ومليئة بالأخطاء والإحباطات، لكن هذا المسار الصعب هو المسار الوحيد الممكن لإنتاج شيء جميل.

-لو اختفت كلمة البشر من القاموس، فإن كلمة "الهاربون" ستعوضها بكل سهولة، لا شيء يجيده البشر أكثر من الهرب، من ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، ومن أنفسنا ومن الآخرين.

-بعد سنوات طويلة من الخيبات المتتالية، تنظر بحزن إلى خيال شخص ما في الماضي وتلومه عبثًا وأنت تقول، لو لم تفعل أنت ذلك لما كنت قد وصلت أنا إلى هنا، لو لم ألتق بك لكان كل شيء مختلفًا.

-ليس هنالك شيء أقل فائدة من النصيحة. . من قالها تعلمها بعد أن خسر، ومن تقال له، يعتقد أنه يفوز بدونها.

-لعل أكبر عيوب المثالية هي التشويه المتعمد لمفهوم المجاملات، بحيث تم تقريبه من مفهوم الكذب، وكأن المطلوب من الناس أن يكونوا دائما صرحاء مع بعضهم البعض، لكنهم – للأسف- يكذبون، في الحقيقة، فإن مفهوم المجاملة لديه بعد أخلاقي أكبر بكثير من مفهوم الصراحة، وما لم يترتب على مسار الأشياء ضياع حقوق أو تغييب حقائق، فإن المجاملة هي الطريقة الأمثل للتعامل بين البشر.

ما هو الأخلاقي في أن نخبر امرأة ما أنها قصيرة؟ أو أن بشرتها جافة؟ أو أن رجلًا ما وزنه زائد؟ أو كسول قليلًا في عمله؟

-يسامح الإنسان نفسه على الجوع والعطش والعري، لكنه لا يسامح نفسه لو تسببت أفعاله في أن تمتهن كرامته، بنفس هذا المنطق ننظر إلى حكامنا، قد نسامحهم على الفقر، لكن لن نسامحهم أبدًا على الذل.

-الحزن لا يزورك عبثًا، بل يأتي ليريك أخطاءك، قصر نظرك، سذاجتك، هو معلم بالدرجة الأولى، فإن تركته يمر - دون أن يغيرك - كان حزنًا بغير طائل.

-سقط الأمويون والعباسيون والأيوبيون والفاطميون والمماليك والعثمانيون ولم يسقط الإسلام، وذلك أن الدين بطبيعته مفهوم فوق-دولتي، لذلك دافع عن أصنامك كما شئت، لكن إياك أن تقول أنّ دفاعك عنهم هو دفاع عن الدين.

-يغير الطائر ريشه مرة كل عام، قد لا يبدو ذلك جميلًا أو محببًا لك، لكنه ضروري لحياته، كل تغيير تلحظه في الناس حدث لسبب ما، سبب يتخطى رضاك.

-عندما تؤمن من صميم قلبك بفكرة معينة، فلا يعنيك قبلها الناس أو رفضوها، لكن إن كان لديك شك، فستحاول نشرها لتحصل على تأكيد المجموعة وقتل الشك.

-العالم لم يتغير ولا يتغير ولن يتغير، ما يتغير فعليًا هو أنت، الطريقة التي ترى بها العالم، عينك التي تنظر بها إلى الأشياء، عين الحالم، عين المجتهد، الساخط، الراضي، الساخط مرة أخرى، التائه، الغاضب، الفرح، اليائس، أو المشفق على نفسه وعلى الآخرين.



في شتاء محزن كهذا الشتاء

التقينا لأول مرة في مكتبة الجامعة، للصدفة، كنا نبحث عن الرواية نفسها، أو لعله ادعى ذلك فقط، لا أعلم، لم يكن هنالك سوى نسخة واحدة، فتحدثنا قليلًا، ثم أعطاني الرواية على وعد أن أعيره إياها بعد أسبوع، فكرت فيه قليلًا ذلك اليوم، وضحكت على احتمال أن يكون قد خدعني لنلتقي مرة أخرى، لكنني لم أعر الموضوع أية أهمية، لم يشغل بالي قط، فانهمكت في قراءة الرواية حتى غفوت، ونمت نومًا عميقًا وجميلًا، نومًا افتقدته لثلاثة أعوام قادمة.

وبصدفة أخرى رتبها الله أو رتبها هو، لا أعلم أيضا، لكننا في اليوم التالي التقينا، وكان من المفترض أننا غريبين، وأننا سنجامل بعضنا قليلًا ثم نمضي، لكنني وجدت نفسي أتحدث معه لعدة ساعات، ولولا أن الشمس قاربت على المغيب، ما توقفنا، وعدت إلى البيت، ولا شيء سواه يشغل تفكيري.

وبدون أن أدري كنا قد دخلنا في علاقة، بهدوء لكن بحزم، تمامًا كما يحتل المد الشاطئ، كان بارعًا جدًا في اختيار الكلمات، وكان لديه تلك القدرة العجيبة على جعل علاقتنا لزجة وجميلة في الوقت ذاته، لم تكن حبًا، لكنها لم تكن صداقة أيضًا، كانت تقف في منطقة الحياد الباردة تلك، المنطقة التي تسكن فيها كل الاحتمالات الموجعة، كان يقول لي كل الأشياء التي تسعدني، لكنه يتجنب كل الأشياء التي تطمئنني، كان يقول لي أشياء جميلة، لكنها ليست شخصية، موجهة لكل فتاة في هذه الأرض، لكن ليس لفتاة بعينها، وعبثًا انتظرت أذناي الكلمة التي كانت تنتظرها دومًا، لكنه لم يقلها، لم يقل لي قط جملة واحدة أنتمي لها وتنتمي لي، جملة واحدة يمكنني أن آخذها معي إلى البيت، أو أعلقها على جدار قلبي.

لا أعلم للآن كيف تقبلت هذا الوضع الذي ربما يجب ألا تتقبله أي فتاة، لكنني تقبلته، ربما ظننت أن هذه هي البداية، وأن شيئًا عظيمًا سيحدث فيما بعد، ومع أن أمنياتي كانت دائمًا تخيب، إلا أنني كنت لا أزال آمل في شيء، ربما أصبت بتلك اللوثة التي تدعى أمل العاشقين الكاذب، لا أعلم، لكنني بعد كل حساب ظللت واقفة هناك، طوع يمينه، يملكني ولا أملكه.

عندما كنت أكون معه، كنت أكون سعيدة، لكنني إذا ما عدت إلى غرفتي، كان يهاجمني الخوف، وتتجسد الحقيقة أمامي كعجوز عارية، كنت أعرف في قرارة نفسي أنني أقف على جليد رقيق، وأن كل شيء من الممكن أن ينهار في أي لحظة، لم يكن مدينًا لي بشيء، ولم يعدني بأي شيء، لكنني في ذات الوقت لم أكن حرة لأهرب، كان يستعبدني بشكل أو بآخر، وبدون قيود، وقد حاولت فعلًا الهروب منه، لكنني كنت أكذب على نفسي فقط، كان من الأسهل علي أن أخرج من جلدي على أن أخرج منه.

وتحطمت ثقتي بنفسي، كان السؤال الأبدي عن انعدام دوافعه ليحبني يؤرقني في كل ليلة، هل هي الطريقة التي أتحدث بها؟ التي أفكر بها؟ هل هو جسدي؟ هل هل هل؟ وآلاف الأسئلة التي تثقب القلب كالحراب، والتي لم أجد لها أي إجابة، وفقدت القدرة على الحياة ذاتها، نسيت حتى كيف كانت حياتي قبله، لم أعد أقرأ الروايات كما كنت أفعل، لم تعد تدهشني الأغاني كما كانت تفعل، حتى الأطفال الذين لطالما انتزعوا الضحكة انتزاعًا من قلبي، لم أعد أدهش لرؤيتهم، لم أعد أرى في الحياة سوى حبي له وألمي منه.

وبعد ثلاث سنوات من الخيبات المتكررة وحياة العذاب الجميل هذه، قررت أن أتركه، واستغرقني الأمر ثمانية أشهر كاملة للخلاص منه، ثمانية أشهر كاملة لإخراج سمّه من دمي، ثمانية أشهر من الحزن الطويل، من البكاء المر، من تطهير الذاكرة وغسلها من أي أثر له، من البكاء الذي يعقبه ضحك يعقبه بكاء، كل شيء في داخلي قد تحطم، فعليًا هدمت كل شيء في صدري وأعدت بناءه مرة أخرى.

-وكيف قررت تركه؟

-في لحظة من لحظات اليأس العظيم، فكرت أنه لن يكون أبدًا السبب في سعادتي، بل الصخرة التي تقف في طريقها، وقررت أن أقنع نفسي بهذه الحقيقة، مهما قال قلبي الكاذب عكس ذلك.

-هل تكرهينه الآن؟

-لا أبدًا، الكره هو الوجه الآخر للاهتمام، لو حاولت كرهه لما استطعت نسيانه، الفكرة كلها أنني وجهت عيوني إلى داخلي، وآمنت أنني أستحق شيئًا أفضل، وموقنة أنه سيأتي، موقنة تمامًا بذلك.

أطفال لكن أنبياء

جرت عادة الإنسان أنه لو قرأ شيئًا ما عن شخص ما، وكانت الكلمات هي مصدره الوحيد لمعرفة هذا الشخص، فإن عقله يحاول ملء هذا الفراغ المعرفي بخلق صورة بصرية تخيلية عن هذا الشخص، مثال ذلك أننا لم نر أيًا من أنبياء الله تعالى، لكن من وحي ما قرأنا عنهم، فإن عقولنا قد شكلت صورًا تقريبية لأشكالهم، فترانا مثلا نتخيل نبي الله نوح شيخًا طاعنًا في السن، يمسك عصاه بيده ويجوب الأرض بحثًا عن المؤمنين، ونرى إبراهيم الخليل كهلًا جليلًا وقورًا يمسك السكين مشفقًا من ذبح ابنه الشاب إسماعيل، ونرى سليمان ملكًا يجلس على العرش وتحف به الطير والإنس والجان، ويوسف شابًا فائق الحسن تحاول زوجة العزيز إغواءه، وهكذا.

الملاحظ هنا أن البعد الزمني الذي يخترعه عقلنا في هذه التصورات يطابق السياق الزمني الذي عاشته تلك الشخصيات لحظة رواية قصصهم لنا، لكن هل هذه هي الصورة الكاملة؟ هل هذا هو كل شيء؟ هل كان أولئك الأنبياء رجالًا طوال عمرهم؟ أم أنهم كانوا أطفالًا صغارًا كأطفالنا؟ هل تخيلت هؤلاء الأنبياء أطفالًا؟ و يا ترى كيف بدأت علاقتهم مع الله ؟ هل بدأت بعد التبليغ أم أنها بدأت منذ طفولتهم، لنقرأ كتاب الله ونر.

إسماعيل عليه السلام، أمه بلغت التسعين، وأبوه جاوز المائة، ويولد لهما هذا الطفل النبي بعد صبر طويل، ويؤمر أباه أن يحمله وأمه ويتركهما في واد غير ذي زرع، فيجوع الطفل ويبكي كما يبكي أطفالنا، فهل غفلت عين الله عنه؟ هل تجاهلت آلامه؟ حاشاه، بل يفجر الله نبع زمزم من تحت قدميه، ويسوق الناس نحوه ونحو أمه، وهذا يوسف الصديق، يلقى وهو طفل لم يتجاوز العاشرة في بئر ماء، ومع أن الله سبق علمه بنجاة يوسف من البئر، إلا أنه يأبى حتى أن يخاف الطفل لساعات، فيخبرنا في واحدة من أرق آيات القرآن أنه أرسل له جبريل داخل البئر ليطمئنه (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هذا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ).

مريم الصديقة، رضيعة، يتنازع الرجال لتربيتها، فهيأ الله لها أن تربى في بيت نبي "وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون" ثم طفلة لم تبلغ الحلم، تعتزل طلبًا للعبادة، فيرسل الله إليها أطباقًا من الفاكهة، "فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب"، وهذا موسى الكليم عليه السلام، طفل رضيع يولد في أجواء عدائية جدًا ضد أي طفل جديد، فيوحي الله إلى أمه أن تلقيه في اليم، ويحيط به الماء، لكن رحمة الله أكبر فيلقيه اليم للشاطئ ويلتقطه فرعون، وينجو الغلام بأعجوبة ويرده الله لأمه لترضعه بعد أن نجا من الموت، وهذا مما قرأنا وعلمنا وأكثر منه ما لم نعلم.

لذلك في المرة القادمة التي ترى فيها طفلًا، لا تستصغره، ولا تنظر له كنصف إنسان، وتذكر أن أنبياء الله العظام كانوا كلهم أطفالًا في لحظة ما، في المرة القادمة التي ترى فيها طفلًا، كن على ثقة أن عين الله ترعاه، وأن من لا يشغله سمع عن سمع ولا بصر عن بصر، يحيط هذا الطفل برعايته، فلا تؤذه أو تكسره، في المرة القادمة التي ترى فيها طفلًا، لاحظ الأمل في عينيه، وتذكر الأطفال الأنبياء.

الضبع

من الأحاديث الرقيقة المروية عن الرسول عليه السلام، حديث قصير لأبي هريرة يقول فيه "ما عاب رسول الله طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه"

طبعًا، بغض النظر عن كمية الأدب الجم في هذا التصرف، لكن السؤال هو، هل يمكن مد هذا التصرف على استقامته، ليشمل أمورًا أخرى غير الطعام؟ هل من الممكن أن نتعامل بنفس الأسلوب مع ما يؤمن به الناس وما لا يؤمنون به؟ مع الأغاني التي لا تعجبنا أو الكتب التي لا تروقنا؟ مع ما يلبسه الناس وما يأكلونه أو يشربونه؟ هل من الممكن أن نشاهد خيارات الناس المختلفة عنا ونمر عليها مرور الكرام؟ هل من الممكن اغتيال ضبع الانتقاد هذا ليحل التجاهل المؤدب محله؟

نقوش على سجادة فارسية

•أن تقع في الحبّ لأول مرة، فأنت محظوظ، أن تقع فيه مرة أخرى، فأنت أحمق.

• قاوم فكرة أن تسخر من أحد، حتى لو أعطيت ملء الأرض ذهبا في مقابل ذلك، سيأتي يوم ويسألك الله، لم سخرت منه، فلا تملك ردًا .

• لستُ بطلًا ولا مقدامًا، لكنني لا أفهم أين تعلم هؤلاء كل هذا الذلّ؟

• إذا أزعجتك تهمة ما، فاعلم أنك مذنب، وأن ما اتهمت به حقيقي، الاتهامات الفارغة لا تزعج، بل تبعث على الضحك.

• إن قيمك الحقيقية ليست تلك التي تقولها، بل تلك التي تحاكم نفسك إليها، فقد تنكر شيء علنا وتقبله سرًا، وقد تدعو لشيء علنًا، ونفسك تنكره.

• مهما تصورت الناس ببالك، فهم خلاف ذلك، في الواقع، أنت لا تعرف أحدًا تمام المعرفة، يظهر الناس لك فقط، ما تتحمل أن تراه.

• الخير له قمة لا يمكن تخطيها، لكن الشر ليس له قاع، مهما توقعت من الشر، ستفاجئ دائمًا بمستويات أدنى وأدنى.

• الحبّ أشبه ما يكون بدجّال، صدق مع القليل، حتى حصل على سمعة طيبة وصدّقه الناس، . ثم خدع الجميع وولى هاربًا.

• العمر قصير، أرسم العالم الذي يعجبني وأعيش فيه.

• الجمال في جوهره ليس اكتمالًا، بل تشوّهًا، لأنه كما القبح، انحراف عن النمط المعياري، كل الأشياء الجميلة تحمل في ثناياها نوعًا من التشوه.

• سواءً كنا نتحدث عن الحب أو الرسم أو الكتابة أو الصلاة أو حتى شرائح لحم العجل، كلها يجب أن تطهى على نار هادئة. اللذة بطبعها شيء بطيء.

• أنا إيجابي جدًا، لكن أي إنسان هذا الذي لا يوصله غضبه لأن يتمنى فناء الجنس البشري ولو مرة واحدة في العام؟ أو الشهر! أو كل ثلاثة أيام!!

• أتعجب ممن يصفون أنفسهم بالوحدة، أنا لم أكن يومًا وحيدًا، كنت إما معك، أو مع طيفك .

• ضعفك يستفز قوتي، وبراءتك تستنفر الوحش الذي في داخلي، أما تلك الرقة المفرطة، فلا هم لها سوى أن تشعل كل العنف الكامن في صدري، ولكل شيء آفة من غير جنسه.

• مع النساء، ضد النسوية.

• الحب ليس أعمى، نحن نرى عيوب الحبيبة بوضوح، لكننا نراها كجزء مسلٍ ولذيذ من تلك الحبيبة، بل واخترنا أن نحب تلكم العيوب أيضًا!

• تعرف أنك تحب شخصًا ما عندما تتمنى لو رأيت حياته قبلك، طفولته، صباه، مراهقته، كل تلك اللحظات الجميلة الخالدة التي فاتتك.

• إن المطر لا يخلق الحزن، إنما يغسل كل ما نبت عليه من أعشاب وتعلق به من تراب فأخفاه، فيتركه عاريًا صقيلًا كالصخر، وكأنما بعث الآن.

• ويبقى السؤال الأبدي مفتوحا وبلا إجابة، "كيف وصلت إلى هنا؟"

• نصف النضوج أن توقن أنه في حقيقة الأمر لا أحد يهتم بك كما تتصور. النصف الآخر هو ألا تمنعك هذه الحقيقة من الاستمتاع بالحياة.

• بالنظر للواقع، ستشهد العقود القادمة في العالم العربي تراجعًا حادًا لمفهومي التدين والزواج، بحيث يصبح النمط السائد هو الشاب الأعزب اللاديني.

• الإيمان ظن، والكفر أيضًا ظن، والموت حقيقة تؤكد هذا الظن أو ذاك. (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين.(

• الليل يجعلني أكثر تفهمًا لعواء الذئب، هذه الحاجة لإخراج ذلك الصوت المستمر الحزين، كامل المعنى بلا كلمات.

• ليس هنالك حل وسط في السياسة إما أن تكتب مبادئك بدمك، أو تتفرغ لتسمين حسابك البنكي ومغازلة النساء ونحن -بكل بساطة- اخترنا ألا نكون شهداء.

• ليس هنالك ما هو أسوأ من اعتبار الزواج هدفًا ومحطة وصول وتتويجا للهوى بامتلاك المحبوب، لا أحد يود البقاء في محطات الوصول، إنما هو بداية.

• لعل أكبر فضائل الوقوع في الحب أن تحب ذاتك، أن ترى انعكاس جمالك في عيني من تحب، ولو لم يكن للحب إلا تلك الفضيلة، لكفاه.

• حجم الإسلاموفوبيا في العالم العربي أضعاف حجمها في الغرب، لكن لا أحد يريد الحديث عن هذا الفيل الذي يملأ الغرفة.

• الجزء الأهم والأصعب في عملية التعليم، ليس إدخال المعلومات إلى رأسك، بل إخراجها منه، أن يصبح لدى عقلك القدرة على غربلة ما تشكل فيه من أفكار.

• بدون الموافقة المبدئية للشخص المقابل، لا تقم بتصويره، أو لمسه، أو الوقوع في هواه.

وهم التفرد

وكان متكئًا فاعتدل، ثم قال:

"لا يفلّ المرأة إلا المرأة. وجديد الهوى يغنيك عن قديمه، كما أن لا أحد بالتفرّد الذي يظنه في نفسه. فالكلّ قابل للاستبدال بمثله أو بأحسن منه. ولا يحلّ لرجل خطّ شارباه، أن تملك حسناء قلبه. أو تسلب لبّه. فإنه إن لم يعلُها، لم تكن تحته. والأرض واسعة والزمان طويل "

ثم قام فانصرف.

الكواليس

بهجة القلب إذا ما خطروا في البال.

الشوق الذي يكاد يفيض فتكتمه بالتنهيد .

محاولاتك أن لا تفضحك عيونك إذا ما حضروا .

الجمل الصادقة التي تود قولها لهم، لكن تستبدلها بمجاملات باردة لا تعنيها .

تصرفاتك البائسة في حضورهم وكأنهم لا يعنون لك شيئًا.

توترك الذي تخفيه بضحك مصطنع.

بوح الهوى الذي يكتمه الحياء.

الحدود التي تتمنى تجاوزها ولا تستطيع.

تلك النخزة في القلب إذا ما غابوا.

الرسائل التي تكتبها ثم تمحوها ثم تكتبها ثم تمحوها.

أحلام اليقظة التي لا يسمع ضجيج ضحكاتها أحد، ولا يرى دموعها أحد.

ما يجوز وما لا يجوز وما هو كائن وما لا يكون.

الدور الذي تتقنه جيدًا خلف الكواليس ولا تؤديه على مسرح الحياة.

الجنون الذي تخفيه،

هذا هو أنت.

الإعجاب

ساكون سخيفًا وكاذبًا لو قلت أن جمالك يثير إعجابي أو ينتزع مني كلمات المديح. هذا هراء وكذب وتزوير. وكلام يقال للوحة فنية ولا يقال لامرأة.

ما يفعله جمالك حقيقة بي، هو أنه يثير قلقي واضطرابي، ويضعني في حالة طاغية من التلبك وعدم الارتياح وكأنما تحاصرني النيران. أحاول طبعًا - مدفوعًا بالأعراف والتقاليد وما يجب وما لا يجب- أن أخفي ذلك، لكن الحقيقة الكامنة خلف كلماتي المنمقة وهدوئي المفتعل مختلفة تمامًا. حضورك يا سيدتي الصغيرة لا يسعدني كما أقول، لكنه يستفز وحشيتي وبدائيتي، وعدائيتي الغريزية تجاه الخطر. لذلك لا يسعني أن أطيل الحديث معك، أو أن أقترب منك كثيرًا، أو أن نبقى وحدنا في مكان ما مثلًا، لأن ذلك إن حدث، فسيتملكني جمالك ويهاجمني كطوفان. وحينئذ لن يكون أمامي سوى خيار واحد، فإما أن يقتلني أو أقتله.

سبحان اللي خلقني

-مرحبا.

-أهلًا.

-أنا بصراحة مش عارف شو لازم أحكي بهيك موقف. يعني أول مرة بقعد مع بنت بدي أخطبها. وهو يعني أنا بطبعي خجول. مع الشباب قبل البنات. وبحكيش كثير. فاعذريني لو يعني ما حكيت. أو تلعثمت بالكلام شوي. لأنه أصلًا أنا مش جاي اليوم عشان أحكي عن حالي. أنا جاي بشكل أساسي عشان أسمع منك. وأتعرف عليك أنت.

-شكرًا إلك. وهاي فرصة يعني عشان....

-لكن عمومًا. ولكسر الجليد. خليني أبدأ إني أعرفك بحالي بشكل مبسط. أنا سائد عرموش. مخلص محاسبة وبشتغل في شركة الألبان الوطنية. عمري 28 سنة. أهلي فلاحين. وأصلنا من ترشيحا بفلسطين. أبوي مدرس وكالة متقاعد ووالدتي ربة بيت. وعندي أختين وأخ. اللي قاعدين هناك. شيماء وعالية لسه طالبات في الجامعة. وصبري متزوج وعنده ولدين.

-أهلًا فيك سائد. أنا لجين. 24 سنة. مخلصة أدب إنجليزي من الأردنية وبشتغل في ....

-أهلًا فيك لجين. ولا مقاطعة بحديثك يعني. بس في شغلة مهمة بدي أقولها قبل ما تكملي. إنه أنا عندي قاعدة بحياتي. إنه مادح نفسه كذاب. فأنا بدي أقول لك إني مش جاي هون عشان أمدح نفسي. لأنه أنا طبعي من وأنا وصغير. بحب دائمًا أترك أفعالي هي اللي تحكي عني. مش أنا اللي أحكي عنها. وهاي شغلة مش مقصودة ولا تمثيل ولا شي. بس سبحان اللي خلقني. هيك طبعي. لكن. لأنه مرات الواحد بخاف إنه لو سألتوا الناس عني. يمكن. يمكن بقول. انهم يضخموا إنجازاتي أو يستحوا يقولوا لكم على عيوبي. وهذا بصير. وصار كثير من قبل. فأنا

قلت لأ. معلش يا ولد. المرة هاي أنت احكي عن حالك. مع إنه زي ما قلت لك مش طبعي وأنا خجول وبحكيش كثير ومادح نفسه كذاب وإلخ. لكن للظروف أحكام.

-أول شي بدي أقول لك إياه يا لجين. إني أنا. كسائد يعني. لو صار نصيب وتزوجنا. بدي تكوني متأكدة 100% إنه ولادك راح يطلعوا أذكياء. لا شو أذكياء؟ الكلمة هاي عاجزة تعبر عن المعنى. عباقرة بإذن الله. لأنه أنا. وأعوذ بالله من كلمة أنا. من أول ما قعدت على كرسي المدرسة بالتمهيدي. ولغاية ما تخرجت من الجامعة وأنا بفضل الله دائمًا كنت الأول. مش على الصف ولا على المدرسة. لأ. على مستوى المحافظة كلها. وعلى المملكة كمان. ومش تقولي إني كنت أدرس ولا أنحت. لا خلص. سبحان اللي خلقني. في دمي الإنجاز والتفوق. إشي هيك متغلغل بين اللحم والدم بتحسي. عرفت كيف؟

حتى المحاسبة. إنه في ناس سألتني. كيف شخص بذكائك وعلاماتك دخل محاسبة؟ ليش ما درست طب نووي؟ أو هندسة برزخية؟ إنه ذكائي هيك مستواه. بقول لهم خلص. أنا المحاسبة هوايتي. وفعلًا. أساتذتي وبروفيسوراتي في الجامعة كانوا ينصعقوا مني ومن طريقتي بالتفكير. وذكائي. فمش عجز إني أدرس شي ثاني. لكن سبحان اللي خلقني خلص. برغبها المحاسبة. فأنا بقول لك وبكرر. موضوع إنك تقلقي من أولادنا إنه يطلع فيهم عرق تياسة أو يطلعوا تنحين أو ما شابه ما تفكري فيه. أو إنه حدا يعايرك إنه ابنك طلطميس أو بنتك بتفهمش الخمسة من الطمسة. لا. بالعكس. اللي لازم تخافي عليهم منه الذكاء المفرط اللي راح يكون عندهم. فمن هاي الناحية تطمني. ما في أي قلق إن شاء الله.

-تطمنت خلص. الله يبارك فيك.

-الحمد لله. أما بالنسبة لموضوع بقلقوا منه البنات كثير. وهو موضوع الكسب المادي والمعيشي. وهل يا ترى راح يقدر العرس يعيشها زي ما كانت عند أهلها ولا لأ. أنا برضه جاي أقول لك اليوم. إنه هذا آخر شي تفكري فيه. يعني ولا تحطي الموضوع أصلًا ضمن اعتباراتك. ومش تقولي محاسب ودخله قليل لا. انا أصلًا راتبي كمحاسب ما بمد إيدي عليه. يعني هو عيب الواحد يحكي. وهذا شي بين الواحد وربه. بس أنا الراتب مخليه للصدقات. بصرف منه لآخرتي.

أما الدنيا والمصاريف، ذكائي اللي متكفل فيها. لأن بقول لك، كوني ذكي ولماح، بلمح الفرص الاستثمارية لمح. مش وهي طايرة. ولا قبل ما تطير. قبل ما تفقس حتى. فبتلاقيني كل شهر، اشتريت أرض أرضين وبعتهم. اشتريت لي حصة بشركة. جبت بضاعة من الصين. وردت خضرة على أميركا. أخذت لي وكالة معدات. هيك. وهذا الشي مخلي حسابي البنكي عامل زي البندول. بهداش. حتى مدير البنك اللي بتعامل معه أبو رضوان، اشتكى لي مرة. قال لي يا سائد مش ملحقين على حسابك. عيننا موظفة بس تتابع حسابك. قد ما عليه حركة ورجل. شوفي لوين وصل الموضوع . قديش بدخل فلوس يعني بالحساب.

-ما شاء الله.

-ومش تقولي أنه بشطارتي هاي الأشياء بتصير. لا لا. الواحد يحكي الصح. هو أنا شاطر فعلًا. بس يعني خلص. سبحان الله. من يوم يومي وأنا مرزوق. الله فاتح لي أبواب الرزق من وسع. من عنده سبحانه وتعالى. ومش تقولي مرزوق وبخيل؟ لا لا لا. في ناس كثير هيك. وشفتهم. بس أنا لأ. سبحان اللي خلقني يا لجين. زي ما بتحكي إمي، اللي بإيدي مش إلي. يعني شو ما أوصف لك قديش أنا كريم. بكون مقصر. مستحيل أعطي كرمي حقه. لو شو ما حكيت.

بتعرفي بالشغل وبالحارة وبالجامعة شو كانوا بنادوني؟ في ناس كثير ترى ما بعرفوا إنه اسمي سائد. اه؟ لأنه ما حدا بنادي علي سائد. كلهم بحكوا. اجا حاتم الطائي راح حاتم الطائي. اجا حاتم. راح حاتم. هيك. من كثر ما بوزع يا شيخة. اشي مش بعقل ما شاء الله. فبعمرك ما تفكري إنه ممكن ينقص عليك شي. بدل التلفزيون خذي اثنين. بدل المطبخ ثلاثة. بدل غرفة النوم أربعة. بهمنيش. اصرفي بدون حساب. الأواعي، لو بدك تلبسي القطعة مرة وتكبيها. ما عندي مانع. الأكل لو بدك ما تطبخي أبدًا. وكل يوم فطور وغدا وعشا بمطاعم خمس نجوم مش مشكلة.

-حلو.

-وعلى ذكر المطاعم والأكل يا لجين. قبل ما أنسى. اوعي عمرك تفكري اني زي هالأزواج اللي ما بعرفوا شكل سيراميك المطبخ كيف. أنا غير. أنا بكل بساطة. وبدون مبالغة غير. رجل مختلف. وهي إمي عندك اسأليها. وهو أنا صحيح ما باكل كثير. بس سبحان اللي خلقني يا لجين. شغلة الأكل والطبخ مزروعة في زراعة.

يعني بحبها حب هيك.. شغف عرفت كيف الشغف؟؟!! يعني لو تذوقي المقلوبة من تحت إيدي؟ ولا المنسف؟ ولا الكبب الحلبية. يا ويلي على الكبب الحلبية اللي بعملها يا ويلي.

بتصدقي يا لجين؟ وبدون مبالغة. أنا صاحبات إمي لما كانوا ينعزموا عنا برمضان. وهي الواحدة منهم إلها 40 سنة واقفة في المطبخ. كانوا ينصعقوا بس يذوقوا الأكل اللي بعمله!! وما يصدقوا أبدًا انه مش شغل فنادق هذا. ومش تقول اني درست الطبيخ في كلية أو من كتب. لا أبدًا. بس خلص. سبحان اللي خلقني الي نفس بالأكل ما حدا عنده إياه. فلا تقلقي أبدًا بموضوع الأكل. ولا راح تحتاجي أصلًا تناديني على المطبخ. بالعكس، راح تحاولي تطلعيني منه.

-سبحان اللي خلقك. يلا طمنتني. لأنه في كتير أزواج بشوفهم ما بدخلوا البيت أبدًا. مش بس المطبخ.

-لا لا لا لا. أنا مش هيك أبدًا. لا لجين لأ. يعني كلمة بيتوتي. هاي اللي بحكوها الناس. لو بدنا نجيب علها مثال حي وواقعي وموجود. فهو سائد عرموش. أنا يا لجين. هاي صار عمري 28 سنة. ويعني هاي شغلة الناس بستصعبوا يصدقوها مرات. لكن يمكن المرات اللي طلعت فها من البيت على غير الشغل أو مدرسة وجامعة. بنعدوا على الأصابع. شغل أو مدرسة أو مسجد. هاي الأماكن الثلاثة اللي بروحها وبس.

وخصوصًا المسجد. لأنه أنا. وما بعرف حكيت لك ولا لأ. من فضل الله من فضل الله. الإنسان ما إله فضل بشي. ما بتذكر إني بحياتي قطعت فرض. حتى في قصة بعرفش يمكن أبوي يقول لكم إياها. إني لما تعلمت الصلاة. كان عمري يمكن أربع سنين أو أقل. كانت رمضان الدنيا. فكان أبوي يوخذني معه على المسجد. ونصلي العشا مع التراويح. ولأني كنت صغير ومش فاهم. فكرت صلاة العشا 24 ركعة. وسحبت معي. وحتى لما كبرت وفهمت إنه هاي تراويح وبتتصلى بس برمضان. إلا إني خلص. سبحان اللي خلقني تعودت. بصلي العشا 24 ركعة.

فموضوع الالتزام الديني هذا. يعني ما تفكري عندي أي تهاون فيه. حتى في شغلة. بس الواحد بحبش يحكي كثير عن حاله. لكن بإذن الله. بإذن الله. ناوي أموت شهيد. وعلى أبواب المسجد الأقصى بإذن الله تعالى.

-الله يعطيك طولة العمر.

-الله يسلمك يا رب. ظل شغلة واحدة حابب أحكي لك عنها، وهو الواحد معوش وقت وزي ما قلنا مادح نفسه كذاب، وهي شغلة إنه أنا بحكم قراءاتي الموسوعية وانفتاحي على كل الطبقات والمشارب في المجتمع، وإلمامي بكل التيارات الفكرية، شفت شغلة، البنات بقلقوا منها وبعانوا منها كثير، وكانت تيجيني يعني استشارات عليها، اللي هي استقلالية الزوج، واستقلالية قراره، وهل قراره نابع من راسه ولا إمه وخواته إلهم دور. ما بدي أحكي كثير عن حالي، بس بدي أقول لك إنه هاي التبعية للأم والأخوات لو بتنطبق على أي زلمة بالكون، بس مش على سائد عرموش، سائد عرموش يا لجين هو آخر زلمة بالكون ممكن حدا يأثر على قراره، أنا يا لجين، على قد ما أنا استقلالي ومستقل ومش تبع لحدا، سميت حالي، اسمي اللي بالهوية أنا اللي اخترته، مش أبوي، مش مصدقة صح؟

-غريب.

-ولا غريب ولا شي، أنا انولدت وكان اسمي أنس، ومع إنه اسم حلو واسم صحابي، يعني، بس خلص سبحان اللي خلقني ما حبيته، وقلت لأبوي ما بدي أنس، بدي سائد، وكم كان عمري؟ ست سنين بس، وفعلا مع استقلاليتي وإصراري، راح أبوي وغيرناه، ولا كان أنس، وبورجيك شهادة الميلاد، فالعبرة إنه اوعي تفكري حدا راح يأثر على قراري أبدًا، أنا شوري من راسي، لا حدا بزن علي ولا حدا برمي كلام في ذاني ولا شي، اللي بقوله بعمله، فمن هاي الناحية ارتاحي.

-الله يطمن قلبك.

-شكرًا،، طبعا بتمنى إنه ما يكون خجلي الفطري وقلة كلامي منعوني أعطيك فكرة وافية عن نفسي، أتمنى يعني بالكلمتين اللي حكيتهم أكون شكلت تصور واضح عندك عني وعن شخصيتي، ولأنه تأخر الوقت، ولازم نمشي احنا، بدي منك بس، تقعدي اليوم وتفكري في كل شي حكيت لك إياه، لأنه زي ما أنت عارفة، هذا زواج مش لعبة، بس قبل ما توخذي قرارك يا لجين، بدي أقول لك قصة قصيرة عن عصافير الحب، كوني كنت أربيهم يعني، وخبير فيهم.

هدول عصافير الحب يا لجين، واللي هم ببغاءات صغيرة بحجم الكف أو أقل، لما يجي شهر التزاوج، بتلاقي الذكر بكون يقرب على الأنثى وعم بنفش ريشه، عشان يبين قوي وحلو وجذاب، طبعًا هو حلو وجذاب، بس مع هيك بحاول يضخم من

مؤهلاته. وبيبين أكبر من حجمه الحقيقي. بحاول يبين في عيونها إنه سيد الطيور وملك الأشياء يعني. عشان يعجبها. وبتزوجوا.

لما يتزوجوا عاد. ويبنوا عش. بتصير الحياة عادية. وبيبين إنه هو طير عادي زيه زي غيره. لا هو أقوى طير في الدنيا ولا أجمل طير ولا أكبر طير. يمكن ما بقدر يجيب لها أكثر من عشر بذور في اليوم. ويمكن أصغر قط بتعشى عليه. وما راح يكون يغني لها ليل نهار زي ما كان يعمل زمان. لكنها مع هيك ما بتتركه. وبتظل تحبه وعايشة معه. عارفة ليه؟ لأنها موقنة إنه ما عمل هالشي عشان يخدعها. عمله لأنه بحبها ومهتم فيها. بتكون مدركة إنه ما حاول يورجها أفضل شي عنده. إلا لأنه بده إياها سعيدة. بده يخفف مخاوفها وقلقها. بده يشعرها بالأمان معه. وصحيح هي بتكون عارفة انه بيهر شوي. وبيبالغ شوي. لكنها بتقبل هاي المبالغة. لأنها نابعة من اهتمام. والاهتمام هو شي أقرب للحب منه للخداع. فكري باللي حكيت لك إياه. ومستني منك رد. وبالمناسبة. عصير البرتقال هذا طيب. هو أنا صح بحبش العصائر. وما بشربهم. ونمط حياتي صحي وإلى آخره. بس سبحان اللي خلقني. هذا العصير دونًا عنهم كلهم. بحبه.



اللاشيء

انزع عنك كل معطف ترتديه.

كل شيء تصورته جزءًا منك.

الوطن الذي يجعلك تحس زورًا بالتفوق على الآخرين.

بطولات قبيلتك المزيفة.

اسم عائلتك الرنّان.

ممثلك المفضل الذي لا يدري بك.

النادي الرياضي الذي تقدسه وكأنه لك.

انزع عنك كل نجاح استعرته لتفرح به، كل إنجاز لم تصنعه يداك.

كل فخر ليس نابعًا من ذاتك.

ولا يهمك بعد ذلك لو لم يبق شيء.

ذلك اللا شيء هو أنت.

لغز الحسد

من الأمور المربكة والملغزة في حياتنا كمسلمين - بل وكمسيحيين حتى في هذه المنطقة من العالم – هو موضوع الحسد، والخوف من الحسد والوقاية من الحسد. هذا الإرباك يحدث نتيجة لتضارب عدة أمور حقيقة، الأمر الأول أننا كأناس درسنا علوم تجريبية لا نفهم كيف يعمل الحسد، بمعنى أننا درسنا الموجات الصوتية، وأشعة الضوء والليزر وأشعة إكس وفوق الحمراء وتحت البنفسجية، لكننا للآن، لا نفهم كنه هذه الأشعة التي تخرج من عين الحاسد فتكسر فنجانا أو تعطل زواجًا أو تصيب طفلًا بمرض!؟
الأمر الثاني أن هذا الشك في آلية عمل الحسد، الذي قد يكمن في صدورنا كإنكار للحسد أساسًا، يقابله نص قرآني واضح في سورة الفلق، لا يأمرنا فقط بالإيمان بالحسد وأذى الحسد، بل وبالاستعاذة منه أيضًا! فهو إذا موجود ومؤذي وحقيقي!! وهذا ما يجعلنا نخافه وإن لم نكن مقتنعين به مائة بالمائة.

الأهم هنا، أن موضوع الحيرة من الحسد بين التصديق والتكذيب، ليس ترفًا فكريًا أو اختلافًا دينيًا بسيطًا يمكن تجاوزه، بقدر ما هو أسئلة نطرحها على أنفسنا بشكل يومي، هل أضع صورة أطفالي على مواقع التواصل أم سيصيبهم الناس بالعين ويمرضون؟ هل أخبر صديقتي العزباء أنني سأتزوج أم قد تحسدني وتعطل الأمر علي؟ هل أخبر أصدقائي وأقاربي أنني سأنتقل لشركة كبيرة أم أكتم الأمر خوفًا من الحسد؟ من أجل ذلك، ولحل هذا اللغز المحير، رأيت أن نستعرض سويًا قصة رجل دارت حياته كلها تقريبًا حول الحسد، بل كاد الحسد أن يكلفه حياته فعليًا، النبي يوسف عليه السلام، فلنبدأ.

من المعروف أن قصة النبي يوسف عليه السلام بدأت بحلمه أن أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يسجدون له، لكننا سنتجاوز هذه الجزئية الآن لنعود لها لاحقًا، ونبدأ قصته من عند إخوته، "إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" هذه الجملة حسد مكتمل الأركان، حاسد ومحسود ونعمة يحسد عليها هي حب الأب، السؤال الآن، هل حسد إخوة يوسف له هنا – كشعور قلبي -

بتمني زوال النعمة أدى إلى ضرر له؟ الجواب قطعًا لا. هذا الحسد لم يؤذ يوسف على الإطلاق. نكمل.

"اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ" هنا تحول الحسد وتطور. من مجرد شعور قلبي بتمني زوال النعمة إلى تآمر حقيقي لنزع هذه النعمة غصبًا عبر قتل صاحبها نفسه. مرة أخرى. هل هذا التآمر أدى إلى ضرر ليوسف؟ مرة أخرى لا. لنكمل.

"فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ " هنا وصلنا إلى مرحلة الفعل المادي. ألقوا يوسف فعليًا في غيابة الجب (بئر الماء). هنا يمكننا فعلًا القول أنّ يوسف قد تعرض لشر وتضرر. لم يتضرر من الحسد. لم يتضرر من التآمر. تضرر من الفعل المادي الذي غذّاه الحسد وكان دافعًا له. تضرر من الشر الذي نتج عن الحسد. فالحاصل. أن الحسد من حيث هو حسد. أي مجرد شعور قلبي بتمني زوال النعمة هو شيء غير مضر. لأنه مرة أخرى شعور قلبي. لا يخرج من قلب صاحبه. قد يدفعه للتآمر وإيذاء المحسود أذى ماديًا ملموسًا محسوسًا. لكنه من حيث كونه شعورًا قلبيًا فهو لا يضر!!

في ضوء ذلك. لنقرأ مرة أخرى وبعيون جديدة الآية التي ترعبنا من الحسد. "ومن شر حاسد إذا حسد". لاحظت شيئًا؟ نعم. الاستعاذة المطلوبة هنا ليست أبدًا من الحسد. بل من شر الحسد. من الشر المادي الملموس الذي يقوم به الحاسد بدافع الحسد!! فإذن لا موجات ولا أشعة ولا أي شيء سحري يخرج من عين الحاسد. هو فقط شعور قلبي. قد يتطور إلى تآمر وكيد وأذى مادي. وقد لا يتطور.

لترسيخ الفكرة. لننظر إلى نبي ثاني تعرض للحسد أيضا. محمد عليه السلام. والنعمة التي حسد عليها هي النبوة. "أألقي عليه الذكر من بيننا بل هو كذاب أشر". مرة أخرى. هل هذا الحسد للنبي عليه السلام تسبب في أذيته. الجواب قطعًا لا. لكن الشر الناتج عن هذا الحسد هو الذي آذى النبي عليه السلام. أخرج من مدينته. حورب. حاولوا قتله وتسميمه. إلخ. ومثل ذلك كثير. ولو كان الحسد فعالًا كما نظن. لما احتاج المشركون واليهود لغيره.

وهنا قد يقول قائل. كيف نوفق بين هذا الكلام وحديث النبي "استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود". نرد ونقول هذا صحيح.

وهو عين ما قاله يعقوب لابنه يوسف لما روى له الحلم. "يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك" لم يقل، لئلا يحسدوك. بل كي لا يكيدوا لك، كي لا يقوموا بفعل مادي يؤذيك، وحديث الرسول يصب في نفس الخانة، لو كان لديك حاجة تود قضاءها. ((لم تقضها بعد))، فاستعن بالكتمان، لئلا يسمعك أحد حسادك فيكيد لك كيدًا ماديًا ويحرمك منها قبل أن تنالها. وبكيده لا بنظراته. وبفعل يده لا بأماني قلبه، أما لو لم يكن في قلبك خوف من أذى حاسد، فليس لك إلا أن تقول للحساد كما قال لهم الله "موتوا بغيظكم".

أتمنى أن تكون فكرتي البسيطة قد توضحت. والسلام ختام.

المسارات المتقاطعة

من الأسئلة التي حيرتني كما حيرت الجميع بلا شك. هو السؤال الخالد. لماذا خلقنا الله؟ وهو سؤال منطقي ومطروح بشكل دائم. وللأمانة لم أقتنع يوما بالتفسير السلفي الذي استند على آية "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" وحصر مفهوم العبادة بالشعائر الفردية. أي أننا خلقنا لنصلي ونزكي وغيره. لذلك ظللت أبحث وأبحث ويلح على هذا السؤال، حتى وجدت تفسيرًا اطمأن له قلبي. تفسير لم يجب فقط على سؤالي. لكنني وجدته يصلح أيضًا كنموذج فسر لي الكثير من الأشياء. ويطيب لي أن أطلق على هذا النموذج الذي أحدثكم عنه اليوم. اسم "نظرية المسارات المتقاطعة"

النظرية تقول ببساطة أنه لكل إنسان فينا من لحظة ولادته حتى لحظة وفاته. مسار خاص يميزه عن مسارات الآخرين. شيء أشبه بالطريق الذي تسير عليه السيارات. لكن هذا المسارات كالطرق أيضًا. متقاطعة بشكل يومي ولحظي. قد يكون المسار قصيرًا إذا مت وأنت طفل مثلًا. وقد يمتد حتى تبلغ من العمر عتيًا. لكنه يبقى مسارا ببداية ونهاية. وقد تكون لحظات تقاطعك مع مسارات الآخرين قصيرة ولحظية كابتسامة عابرة على رصيف. وقد تكون طويلة كزواج يمتد لخمسين عامًا. المهم أن هنالك تقاطعات.

وبما أن جميع هذا المسارات تنتهي في نقطة واحدة هي الموت. تكون الحياة الدنيا هي المسار. والدار الآخرة هي الهدف والمبتغى بحسب الآية "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا". وهذا هو سر الخلق. والسؤال إذن. كيف يحدد الله أداء كل منا على مساره؟ ومن يحصد النقاط الأعلى؟ أي إذا كان الهدف هو وضعنا في مسارات متقاطعة فكيف يكون التقييم؟ النظرية تقول ببساطة أن التقييم يعتمد بشكل أساسي جدًا. ليس على أدائك في مسارك. لكن على أدائك أثناء تقاطع مساراتك مع مسارات الآخرين. وتأثيرك على مساراتهم سلبا أم إيجابا. ولشرح هذا الكلام نأخذ عدة أمثلة.

اليتم مثلًا. اليتم بحسب هذه النظرية هو أن تفقد مسارًا داعمًا بالفطرة لمسارك. بحيث يصبح تقدمك في مسارك ضعيفًا ومشكوكًا فيه. لذلك كان من أعظم الأعمال أجرًا في الإسلام كفالة اليتيم. وقال عنها النبي عليه السلام "انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة" أي أنه ساوى بين النبي وكافل اليتيم للدلالة على عظم الأجر. وبالمقابل، كان التحذير من أكل مال اليتيم في القرآن شديدًا مرعبًا، فقال تعالى "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا".

بر الوالدين هو بحسب النظرية. مساعدة شخص أفنى حياته ليبني مسارك، ووجب عليك بعد أن قوي مسارك أن تساعده فيما تبقى له من مساره. بر الوالدين ربط بعبادة الله سبحانه وتعالى مباشرة. الزكاة والصدقة وكل التعاملات المالية. هل هي إلا دفعة منك لشخص متعثر في مساره؟ الغيبة والنميمة. أليست تدميرا لسمعة شخص ما وتقويض لمساره؟ الزواج وكل ما يتعلق به. أليست كل أحكامه وضعت لكيلا تكون سببًا في تدمير إنسان ارتبطت مسارك بمسارها أو العكس؟ السرقة. ما هي السرقة سوى حرمان إنسان من مجهوداته التي وفرها لتساعده في مساره؟ وقمت أنت بسرقتها لتعيده ألف خطوة للوراء؟ وهكذا يمكننا بفهم هذا النموذج من تفسير كافة أحكام الإسلام. والتي نلاحظ جليًا منها أنها تتعلق بشكل مباشر لا بمسارك أنت. بل بالطريقة التي تتصرف بها حين يتقاطع مسارك مع مسار الآخرين.

نقطة مهمة هنا هي القتل. والقتل ما هو إلا إنهاء إجباري لمسار شخص معين أو عدة مسارات لعدة أشخاص. مسارات لا تملك أنت فعليًا حق إنهائها. لذلك عندما تقتل إنسانًا فأنت لا تنهي مساره فقط. لكنك تقتل فرصته لتصليح مساره. ولنفرض أن هذا الشخص كان سيئًا مثلًا. لكن مساره يسمح له بالتوبة والتعديل. فأنت عندما تقتله تكون سلبته هذه الفرصة. من هنا فعقاب إنهاء المسار لا يكون إلا إنهاء مسارك أنت أيضًا. بالإضافة طبعًا إلى غضب الله عليك لإنهاء مسار هذا الرجل (أو المرأة). والتأثير على المسارات التي كانت تعتمد عليه كأولاده وعائلته إلخ. لذلك كان القتل من أعظم الحرمات عند الله. لهذا السبب تحديدًا.

بنفس المنطق يمكننا وبكل بساطة فهم مبدأ الشهادة. أي أن يكون الإنسان شهيدًا. ومرجعي الأول والأساسي في هذا الفهم هو حديث الرسول عليه السلام

"سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله" السؤال، ماذا بالضبط فعل هذا الرجل حتى استحق لقب سيد الشهداء؟ بكل بساطة، ضحى بمساره الشخصي لكي تكون مسارات الآخرين أفضل، أي أنه ضحى بفرصته لتحسين مساره من أجل أناس لا يعرفهم، وهذه هي التضحية التي استحق عليها أن تغفر ذنوبه، ويحشر مع الأنبياء والصديقين.

الحاصل أنني هكذا أرى الدنيا وهكذا أفهم الإسلام (وإن لم أكن ملتزمًا)، وهكذا أفهم تصرفاتي وتصرفات الآخرين، وهكذا أقيم نفسي والآخرين، وأحببت أن أشارككم هذه الرؤية، بدون طبعًا أن يتم التركيز على الجانب السلبي للمسارات، فبنفس القدر الذي من السيئ فيها أن تؤذي مسارات الآخرين ولو بتعطيلهم في معاملة حكومية، من الرائع أيضًا أن تساعدهم في مساراتهم وتسرعها وتسهلها لهم، الموضوع ذو حدين، وهذا ما يجعل النبي محمد صلى الله عليه وسلم أعظم المسلمين لأنه ساعدنا جميعا في مساراتنا.

في الختام، بقي أن أقول أنّ ما دفعني بشكل أساسي لكتابة هذه المقالة، هو سخرية قرأتها على موقع تويتر من شخص يتحدث عن أن كسر قلب أنثى يستوجب أن لا تقبل صلاتك أو صيامك، إلخ، وكانت التعليقات أن هذا الكلام على فقه الإمام تامر حسني، طبعًا لا شك أن تغريدة الشخص فيها الكثير من الخطأ، لكن ضمن نظرية المسارات، فلا شك أن دخولك العابث في مسار حياة إنسانة لعدة سنوات ثم تركها بعد أن دمرت مسارها، هو شيء ستدفع ثمنه غاليًا، وغاليًا جدًا، ولربما يكون الثمن أكبر بكثير من مجرد قبول صلاتك أو صيامك.



المسألة في الحب

المسألة في الحب، ليس فقط أنه يجعل الإنسان سعيدًا، هذا تبسيط مضلل، الحقيقة أن الحب ينهي كل أسئلة الإنسان تجاه نفسه، القلق بشأن المظهر، انعدام الثقة بالنفس، النظرة الدونية للذات، العلاقة المرتبكة مع الجسد، إلخ، كل حفر الروح المؤلمة هذه يردمها الحب كأن لم تكن، يردمها ويجعل أرضية القلب خضراء وجاهزة لاستقبال أي سعادة، فترى العاشق يفرحه أي شيء بسيط، ولو زقزقة عصفور أو لعب طفل، أو حتى الفراغ، يفرحه الفراغ.

لذلك، عندما تعبث بقلب إنسان أو إنسانة بدعوى الحب، وتدخله تلك الجنة الوهمية ثم تخرجه منها فجأة، فالموضوع أكبر من حزن عابر، هو لا يصبح حزينًا، هذا أيضًا تبسيط مخل!! ما يحدث حقيقة أن كل الحفر القديمة في نفسه تعود لتظهر مرة أخرى، لكن مضخمة عشرات المرات هذه المرة!! يعود قلقه ونظرته الدونية لنفسه، وأسئلته التي تؤلمه، كل هذا يعود ويزخم أكبر.

الحياة، كل الحياة، تدور حول أن يحبك شخص واحد فقط، تكتفي به ويكتفي بك، لذلك لو لم تكن ترى في الشخص المقابل اختيارًا مناسبًا ودائمًا فلا داعي حقيقة للعبث بالناس، رفقًا بالقوارير، رجالًا ونساءً.



لا أعلم إن كان هذا شيئا جيّدا أم سيّئا.. لكنني بعد أن أحببتك لم يعد لدي دافع لأن أكون لطيفا مع أحد.. أو أن أتودد لأحد، أو يعنيني رأي أحد..

هنالك أنتِ.. ثمّ لا أحد..

تصميم الغلاف أحمد زردق



عصير الكتب